

٥٨ الكاتبة

لثقافة الإنسانية والتقدم

العدد

ثامن والخمسون

شباط - ١٩٨٥

- لاى منهج سياسي صوت طلبية
بيرزيت
- ثلاثة ايام غيرت وجه التاريخ
وثلاثون شمعة على قبر الشهيد
حسني بلال .
- الاهمية الاقتصادية للاغوار
- مشاكل العمال الجزائريين في فرنسا
- المسرح الفلسطيني مسيرته الشائكة
بين الكبر والفر .
- الشوقينية والكوزموبوليتية والحل
الماركسي للمسألة القومية .
- بدائل لاستخدام فضلات
الحيوانات .
- الاديب المحلي الحقبة
- الذكرى السنوية الاولى لرحيل
الشاعر التقدمي معين بسيسو .
- بيان عن اللقاء الثاني للاحزاب
الشيعية والعمالية في منطقة شرق
البحر المتوسط والشرق الادنى
والاوسط والبحر الاحمر .

تَحَالَفٌ دِيمُوقَرَاتِيٌّ لَا مَحَاوِرَ جَدِيدَةٍ

AL-KATEB

for human culture
and progress

editor -

Asa'd Al-Asa'd

Tel. 856931

P.O. Box 20489

Jerusalem

مرحباً بالمتأخرين - المراسلات

أسعد الأسعد
القدس

الكاتب
للثقافة الإبداعية والتقدم

مؤسس التحرير

أسعد الأسعد

سيرة التحرير: محمد شاهين

الاشتراكات:

بالدولار أو ما يعادل من سنة واحدة

محلياً ١٥ دولار

أوروبياً ٣٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المتعلقة ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

فهرست المراسلات

ريثام الصالحي / تيسير عاروري

جميل التلجوث / صالح زقوت

عادل الزاغة / عمر حمش

معتد البطراوي / محمود الشيخ

السودان بدوي / يحيى شقير

صف درمنان / عيسى زوهرين

المراسلات:

الكاتب - ص ٢٤٨٩: القدس
تلفون ٨٥٦٩٣١

توزيع المواد في هذا العدد يوضع عند الطلب

لا ترد المواد لمصلحة إذا لم تكن

قصة

- ٢ - تحالف ديموقراطي لا محاور جديدة
 ١٠٤ - امامة العنة
 - اراهمس
 - تامي الكلاسي
 - الفارعة لن نمي في الاتجاه الاخر ١٠٦

كلمتنا

دراسات وابحاث

● لجنة الاعانة الزراعية
 - الاهمية الاقتصادية للاعوار

- ٢٥ - فاز اوسنة
 ٣٥ - مشاكل العمال الجرائيس في فرنسا
 ١١٢ - راضي د. شحاده
 - عدنان الصناح
 ١١٤ - حروف من نار
 - محمد اولسن
 ١١٦ - يوميات الجوع
 ٥٣ - المسرح الفلسطيني. مسيرته السائكة بين
 - الكرك والفقر
 - على الحريري
 - الشوفينية والكورمبوليتيد والحل
 - الماركسي للمساءلة القومية
 ٦٣ - عبد العزيز اعزاز - ورياد مفل

وثائق

- سان عن اللقاء الثاني للاحزاب
 - السوميد والعمالية في منطقة شرق
 - البحر المتوسط والشرقين الادنى
 ٩٦ - والاوسط والبحر الاحمر
 - دراسات فولكلورية حول تسميات الارض
 - والانسان في قرية فلسطينية
 ٧١ - د. عدنان بفر
 - بدائل لاستخدام فترات الحيوانات
 ٧٦

شخصيات

مداخلات

- محمد الطراوي
 ١٢١ - رنايل وردود
 ١٢٤ - امداة نقافية
 - لاي منهج سياسي صوت طلبه بيرزيت ٤
 - خالد عبد الرحمن
 - ثلاثة ايام غيرت وجه التاريخ وثلاثون
 ١٤ - شمعة على قبر الشهيد حسني بلال
 - محمد الطراوي - صحي حروري
 ٩١ - الاديب المحلي الحفيقي

كلمتنا

المساعي الحثيثة التي تبذلها بعض الاطراف الفلسطينية والصديقة للتحضير لمرحلة جديدة من الحوار الفلسطيني، يجب ان تتعزز، بحيث تتم المساعدة في تقديم ما يمكن لدفع هذا الحوار بالاتجاه الصحيح، وعلى اسس صحيحة. ومن خلال قنوات صحيحة.

فان كنا نرى المخاطر التي تنتوى عليها تحركات اليمين الفلسطيني باتجاه الانظمة العربية، ومحاولة هذه الانظمة وهذا اليمين جر منظمة التحرير برمتها نحو موقف يتنافى والطريق الثوري المؤدي الى تحقيق الحد الادني من الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، فانه يجب ان لا يغيب عن بالنا المخاطر التي تنتوى عليها محاولة خلق محاور جديدة، داخل الساحة الفلسطينية، مهما كانت تسميتها، ومهما كانت مبرراتها، وخاصة اذا تضمنت هذه المحاور الجديدة اطرافاً من التحالف الديمقراطي، الذي اثبت مصداقية، سياسةً واطاراً على الساحة الفلسطينية، وقدرته على القيام بدور هام في اعادة اللحمة لمنظمة التحرير، على ارضية اتفاقية عدن - الجزائر، والتي لا تزال تشكل الاساس السالح لحوار فلسطيني شامل، تمهيداً للوصول الى الوحدة الوطنية المنشودة.

ان الدعوة لاقامة جبهة عريضة، لا يمكن ان يعارضها احد، او يقف في طريقها، لو جاءت في وقت غير هذا الوقت، وفي ظرف غير هذا الظرف، لينفي عنها "تهمة" ايجاد اطار بديل لم.ت.ف. وتكريس الانشقاق فيها، كما ان الدعوة لاقامة مثل هذه الجبهة يعني الخروج عن التحالف الديمقراطي، وبالتالي الوقوف في موقف يتعارض وما وقع هذا التحالف مع قيادة فتح في عدن - والجزائر، بالاضافة الى ان هذه الجبهة ستشكل في غالبيتها من اطراف عارضت ولا تزال اتفاقية عدن - الجزائر.

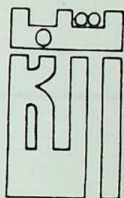
تَحَالُفٌ ديموقراطيٌّ لا محاورَجَدِيدَة

ان المخاطر التي تنطوي عليها مثل هذه الخطوة ، لا يمكن تجاهلها ، اذ ان من شأنها اضعاف قدرة التحالف الديموقراطي على القيام بالدور المنوط به ، كما ان تمسك المخلصين من ابناء الشعب الفلسطيني بهذا التحالف ، وایمانهم بمبدئية توجهه ، يجب ان تشكل حافزا لاطراف هذا التحالف بتعزيز مكانته وقدراته ، وقد يكون النداء الذي وجهته "اللجنة الوطنية المستقلة للحوار الفلسطيني الشامل في الكويت" واعتبرت ما تم التوقيع عليه في عدن اساسا صالحا للحوار الشامل بين الاطراف الفلسطينية من اجل الوحدة الوطنية وحل كافة الخلافات القائمة ، يشكل دليلاً واضحاً على صحة نهج التحالف الديموقراطي ، واهمية التمسك به وتعزيز دوره ، من هنا فان التفاؤل بإمكانية قيام التحالف الديموقراطي بلعب دور اللبنة الاساسية التي يتوقف عليها ارساء الاساس القادر على حمل البيت الفلسطيني بكل همومه ومعياناته وآماله وآلامه منوط بالمصداقية التي يجب ان يتمتع بها اطراف هذا التحالف ، وثقتهم بقدرة هذا التحالف على الفعل والتأثير باتجاه اعادة اللحمة لمنظمة التحرير انطلاقاً من مقررات عدن - الجزائر .

من هنا فان ثقة اطراف التحالف الديموقراطي بقدرتهم على الفعل والتأثير ، وایمانهم بصحة ما تم تحقيقه حتى الان ، وتمسكهم بالمبادئ التي طرحها التحالف لتحقيق الوحدة الوطنية ، والاسس التي يجب ان تقوم على اساسها العلاقة بين كافة الفصائل الفلسطينية ، كقيلة بتعزيز دور هذا التحالف وبالتالي كسب قطاعات اوسع من جماهير الشعب الفلسطيني الى جانبه ، مما يساعد على دفع قدراته لتحقيق الامل الكبيرة والمعلقة عليه وصيانة منظّمه التحرير الفلسطينية من التمزق والانحلال .

الكاتب

لأيّ منهج سياسي صوّتَ طلبة بيرزيت؟!



بقلم - أبو وديعة

تتميز الانتخابات في جامعة بيرزيت ، لمجلس الطلبة او لنقابة العاملين ، باستقطابها لاهتمام اوساط واسعة في الداخل والخارج ، معينة بقياس حالة الرأي العام وتوجهاته السياسية داخل الارض المحتلة، أما سر اهتمامها بهذه الانتخابات فيعود لكونها تمثل في نظرها ، نوعا من الاستفتاء تعتقد بدقة تعبيره عن الواقع .

وتحتل انتخابات هذا العام لمجلس الطلبة مركزا خاصا ، ذلك انها تجيء بعد عقد اجتماع عمان وما ترتب عليه من تعميق الخلاف في الصف الوطني الفلسطيني وبرز توجه واضح لدى قيادة منظمة التحرير الجديدة المنبثقة عن ذلك الاجتماع، اضافة للجنة فتح المركزية ، بالقبول او بالغلل لمشاريع الحلول الامريكية. كما تجيء في اعقاب استفتاءات لقياس الرأي العام وتوجهاته السياسية، جرى نشرها قبل اجتماع عمان وتحديث عن نسب تراوحت بين ٨٥ واكثر من ٩٠ بالمئة تؤيد اجتماع عمان والتوجهات السياسية التي قادت له والتي تكرست فيه .

وللتأكيد على اهمية الانتخابات ، والنظرة الخاصة لها في معرض قياس توجهات الرأي العام السياسية داخل الارض المحتلة كتبت الزميلة " الفجر " في مقدمة اللقاء الذي أجرته يوم ١٦/١١ مع مرشحي تحالف كتلتي حركة الشبيبة والوحدة الطلابية ، وعلى مساحة صفحتها الثامنة كلها ، ما يلي : " لا نتعدى الحقيقة ان قلنا ان صوت بيرزيت الواضح يمثل " باروميتر" التوجه السياسي داخل الارض المحتلة وليس ادل على ذلك من الصدى الايجابي الواسع الذي احداثه خبر التحالف بين حركة الشبيبة وكتلة الوحدة " .

ورغم قناعتي بأن بيرزيت هي عينة اختيارية منتقاة ، وان نتائج الاستفتاء ليست " باروميتر" للتوجه السياسي في الارض المحتلة ، وأن نتائج الاستفتاء لعينة عشوائية قد تكون اقرب الى الدقة

في قياس توجهات الرأي العام السياسي، الا انني اقر بأن نتائج الاستفتاء تصلح مؤشرا على معرفة هذا التوجه السياسي. ومع ذلك نقبل بتقييم "الفجر"، وعليه يتوجب أن نسأل بعد صدور النتائج وفوز تحالف حركة الشبيبة والوحدة بمقاعد المجلس التسعة، ماذا قال هذا الباروميتر؟ وهل يعني الفوز بالمقاعد التسعة تأكيد نتائج الاستفتاءات المفبركة قبل اجتماع عمان او ينسفها؟

وللاجابة على هذا السؤال يتعين علينا الاجابة على اسئلة اخرى وهي: هل يمكن اعتبار نتائج انتخابات المجلس تصويتا بالثقة على النهج السياسي للقيادة الجديدة لمنظمة التحرير وللجنة فتح المركزية؟ وإذا لم يكن الامر كذلك فلصالح اي منهج سياسي جرى التصويت؟ وشعارات اي القوى هي التي طرحت واجمع عليها الطلبة؟ وهل تتقبل القيادة الجديدة لمنظمة التحرير توجه الجماهير وتعدل من مسارها على اساس هذه التوجهات؟

من البداية

قبل تبلور كتل التحالفات لخوض المعركة الانتخابية، وقبل صدور بياناتها السياسية والنقابية شهدت ساحة الجامعة نشاطا سياسيا مكثفا للكتل الطلابية. واجاب عدد من المدرسين في الجامعة، معروفين باهتمامهم بمتابعة نشاطات الطلبة، على سؤال عن الفروقات في الطروحات السياسية للكتل، وفي مختلف القضايا، وبصورة خاصة تلك التي تطرحها وتتخذ منها القيادة مواقف واضحة، اجابوا: بانهم لا يلمسون فروقا جوهرية بين طروحات مختلف الكتل، الا في الموقف من النظام السوري ومواجهته في لبنان مع القوى الوطنية اللبنانية للمؤامرة الامريكية الاسرائيلية. ومرة اخرى وجوبا على سؤال يقول كيف يكون ذلك وهناك خلافات واضحة بين التحالف الديمقراطي والقيادة الجديدة لمنظمة التحرير ولجنة فتح المركزية في النهج السياسي وبالتالي وعلى ضوءه في المواقف من قضايا رئيسية مثل مبادرة الملك حسين، والتعاون الاردني الفلسطيني والتحرك المصري الاردني، والسعي لتحسين العلاقات الفلسطينية المصرية والموقف من مشروع ريفان وكامب ديفيد وتمتين العلاقة مع انظمة الرجعية العربية وتبني الدعوة لعقد قمة عربية لاعادة مصر كامب ديفيد الى الصف العربي، والدعوة لآخذ القرارات في الجامعة العربية بالاغلبية العددية والاقتراب من مشروع ريفان عبر المبادرة الاوروبية، وتقديم الاسترحامات لادارة ريفان لبعث الروح في مشروع ريفان... وعشرات المواقف المماثلة؟. جوابا على هذا السؤال قال المدرسون ان كتلة الشبيبة لا تطرح هذه المواضيع ولا تدافع عن مواقف قيادتها وعلى العكس تتبنى مواقف قاطعة وحازمة رفضها، اي بصورة تتعارض كليا مع مواقف قيادتها.

وعلى نحو مماثل ولكن اكثر تحديدا اجاب طلبة وعاملون على الاسئلة السابقة بقولهم انه على العموم فان جميع الكتل تتبنى سياسة التحالف الديمقراطي وتدافع عنها بحارز وينحصر الخلاف على الموقف من سوريا والحركة الوطنية اللبنانية.

ما تقوله البيانات السياسية .

وبعد الاعلان عن تحالف كتلتي حركة الشبيبة والوحدة اصدر التحالف بيانا سياسيا ونقابيا، حدد فيه موقفه من مختلف القضايا السياسية . وكانت الزميلة : " الفجر " وفي المقدمة المشار اليها سابقا في عدد ١/١٦ قد اشارت الى الخطوط العامة لسياسة هذا التحالف وكأنما لتؤيد رأي المدرسين والعاملين المشار اليه حيث قالت " ورغم الخلاف بين الكتل الوطنية الطلابية فانها جميعا اكدت على مبادئ العمل الوطني واهمها اعتبار م.ت.ف. ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني والتمسك بالحقوق الوطنية لشعبنا وعلى رأسها حق اقامة الدولة المستقلة وحق العودة وحق تقرير المصير كما انها التقت حول رفض " مشاريع التصفية من ٢٤٢ ومروا بكامب ديفيد وانتهاء بمشروع ريغان ومبادرة حسيين " .

وفي حين اكدت " الشعب " بعرض البرنامج النقابي، قدمت مجلة العودة في عددها ٥٨ بتاريخ ١٧/١/٨٥ عرضا وافيا للبرنامج السياسي محددا في نقاط على النحو التالي :

" لقد تم التحالف بين كتلتي حركة الشبيبة والوحدة الطلابية أ.و. - على اساس برنامج سياسي ونقابي موحد يقوم على التالي :

- (١) ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجده .
- (٢) اعتبار اتفاق عدن - الجزائر مدخلا صالحا لاعادة اللحمة لصفوف م.ت.ف. ومواصلة الحوار بروح اتفاقيات عدن - الجزائر، تعتبر عرفات واللجنة التنفيذية الجديدة ان الوحدة اتمت في اجتماع عمان واما الذين لم يحضروا الاجتماع فخارجون عليها أ.و. - .
- (٣) ادانة التحالف الوطني لعدم موافقته على اتفاق عدن - الجزائر وادانة نهج الانقلاب العسكري والانشاققي كاسلوب لحل الخلافات على الساحة الفلسطينية .
- (٤) دعوة سوريا لتصحيح علاقاتها مع م.ت.ف. وان تبادر لهذه الخطوة على ارضية احترام القرار الوطني المستقل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وادانة التهديدات السورية بسحب الاعتراف بم.ت.ف. كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني .
- (٥) ادانة اعادة العلاقات المصرية - الاردنية واحياء البرلمان الاردني - لجنة فتح المركزية ترفض الادانة واعتبرت احياء البرلمان شأنا داخليا ٥.٢ - .
- (٦) الدعوة للالتزام بمقررات قمة فاس العربية - مبادرة الملك حسين تتناقض تناقضا صارخا معها أ.و. -
- (٧) دعوة المؤسسات والاطر اتخاذ هذا البرنامج كأساس صالح للوحدة الوطنية في كافة المؤسسات .

اما صحيفة " الفجر " وفي عددها الصادر في ١/١٢ فقد عرضت نفس البيان السياسي على النحو التالي : " اكد البيان على ضرورة اعتبار الوحدة الوطنية الفلسطينية مهمة مركزية وذلك على اسس كفاحية - هذه احدى اهم المقاصل في سياسة التحالف الديمقراطي أ.و. - ورفض لكافة محاولات الوصاية والاحتواء مع التاكيد على التمسك بشعار الدولة الفلسطينية المستقلة وضمان حق

تقرير المصير - طالبت مبادرة حسين بالتخلي عنها وقالت القيادة الجديدة انها تدرسها بعناية^{١٠} و - والحفاظ على القرار الوطني المستقل بما يخدم اهداف شعبنا - تحديد لمحتوى القرار المستقل مقابل عمومية طرح القيادة الجديدة^{١٠} و -

دعا البيان لاستمرار الحوار الوطني الشامل على اساس اتفاق عدن - الجزائر لانجاز الوحدة الوطنية الفلسطينية - مفصل اساسي آخر في سياسة التحالف الديمقراطي^{١٠} و - مدينا نهج الانقسام والانتقال العسكى ومحاولات خلق بدائل هزيلة او موازية لمنظمة التحرير - نفس موقف التحالف الديمقراطي^{١٠} و - وادانة مواقف النظام السوري من م.ت.ف. وادان البيان موقف التحالف "اللاوطني".

ودعا البيان ايضا الى اقامة الجبهة الوطنية الفلسطينية داخل الارض المحتلة على اساس التصدى لسياسة الاستيطان والتهويد. ورفض مشاريع تطوير الاراضي المحتلة ولجنة التنمية الاقتصادية - وهذا يمثل تناقضا صارخا مع سياسة القيادة الجديدة ولجنة فتح المركزية^{١٠} و -

وعلى الصعيد العربي والدولي طالب البيان بتصحيح العلاقات الفلسطينية - السورية على اساس استقلالية القرار الفلسطيني المناهض للحلول الاستسلامية - مفصل آخر هام في سياسة التحالف الديمقراطي^{١٠} و - ورافضا المشاريع التصفية مثل القرار ٢٤٢ ومشروع ريفان وداعيا لتمتين العلاقات والتحالفات الاستراتيجية مع حركات التحرر العربية والدولية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي

المرشحون تمسكوا بنصوص البيان السياسي

لقد لجأت الى هذا الاقتباس الطويل من مجلة "العودة" ومن "الفجر" لاجتناب تهمة عدم الموضوعية في عرض البيان السياسي لتحالف الشبيبة والوحدة. ولاصل ايضا الى السؤال هل اخلص مرشحو هذا التحالف لنصوص بيانهم السياسي؟

في عدد "الميثاق" الصادر في ١٧/١/٨٥ تحدث مروان البرغوثي المرشح لرئاسة المجلس عن التمسك باتفاق عدن - الجزائر " بوصفه مدخلا صالحا لمواصلة الحوار الوطني بين كافة القوى الوطنية المخلصة وبنفس روح هذا الاتفاق" وطالب " بادانة التحالف الوطني لرفضه هذا الاتفاق" و"ادانة احياء البرلمان الاردني ، رفض اي تفويض او انابه او مشاركة للمنظمة من اي نظام عربي كان وكذلك التأكيد على مشروع فاس للسلام العربي والمبادرة السوفييتية بعقد مؤتمر دولي ورفض كافة المشاريع التي تنكر حقوقنا الوطنية الثابتة والمتمثلة بحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة بقيادة م.ت.ف.".

كما لخص عبد السلام الريماوى مرشح سكرتير اللجنة الفنية في مقابلة مع الفجر ١٦/١/٨٥ البيان السياسي على النحو التالي .

(١) نعم للحوار الوطني من اجل الوصول الى اتفاق وطني كامل .

(٢) نعم للوحدة الوطنية على اساس اتفاقات عدن - الجزائر .

(٣) لا والى لا لكافة التحركات العربية والرجعية الهادفة للنيل من حقوقنا الوطنية ونخص بالذكر

مشروع الملك حسين .

٤) الدعوة لتصحيح العلاقة الفلسطينية السورية على اساس الاحترام المتبادل واستقلالية القرار الفلسطيني .

٥) الدعوة التحالفية مع كافة قوى التحرر العربية والعالمية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي . وعلى هذا النحو سارت احاديث المشاركين الاخرين في المقابلات التي نشرتها " الميثاق " ، "العودة" ، "الفجر" .

ان المسألة المهمة في رأيي تتمثل في ان مختلف الطلاب والمدرسين والعاملين اكدوا على التزام مرشحي كتلة تحالف الشبيبة - الوحدة ، بهذه النصوص في دعايتهم الشفوية ايضا داخل جدران الحرم الجامعي وفي بيوت الطلبة الامر الذي يشير الى ان المسألة هي اكثر من كونها مجرد استجابة ، املتها اغراض دعائية انتخابية ، لمزاج جمهور الطلبة . انها تعبر عن قنوات برفض المنهج الاستسلامي الذي يقود الى التفريط بكافة الحقوق الوطنية وفي مقدمتها الوطن ذاته والهوية ذاتها .

علام كان الخلاف ولماذا لم يتم انجاز الوحدة ؟

على ضوء هذه التصريحات والالتزام بالمواقف السياسية القاطعة في وضوحها وتحديداتها هل يمكن القول بأن حركة الشبيبة تبنت هذه السياسة بتأثير من كتلة الوحدة ؟ التي هي في الاصل احد اطراف التحالف الديموقراطي ؟ وقبل الاجابة يلاحظ كل مهتم بما جرى في بيرزيت انه رغم الكثير من نقاط اللقاء بين برنامجي التحالفين فشل التحالفان في انجاز الوحدة الطلابية ؟ التي اكد مختلف ممثلي الكتل في اللقاءات السابقة الذكر على اهمية وضرورة انجازها فقد قال مروان البرغوثي مثلا " لا شك انه يقع على عاتق حركتنا الطلابية دور بارز في هذه المرحلة للخروج بوحدة وطنية " . الميثاق ٨٥/١/١٢ . وقال رباح جبر في نفس المقابلة " تنطلق كتلة الوحدة الطلابية في فهمها للعملية الانتخابية لهذا العام من التأكيد على ضرورة تشكيل قائمة وطنية وحدوية " . وحدد كل من ناصر عزت عن جبهة العمل الطلابي ، وناصر عبد الجواد عن اتحاد الطلبة التقدمية ، تصوراتهما المشتركة لبرنامج الوحدة السياسي والنقابي . فيم اذن كانت نقاط الخلاف وما طبيعتها ؟ وما دور الوحدة الطلابية في التأثير على حركة الشبيبة ؟

اكد مروان البرغوثي في مقابلة مع " الفجر " بتاريخ ٨٥/١/١٢ " حرص الشبيبة التام على الوحدة الطلابية التي تعثر التوصل اليها بشكل كامل بسبب المواقف المسبقة لبعض الكتل التي تترنم بالجمال الثورية " . . . اما في مقابلته مع الميثاق ٨٥/١/١٧ فقد قال " ان حركة الشبيبة وللتدليل على مصداقيتها في الدعوة للوحدة اعتبرت ان دورة ال ١٧ هي موضوع خلاف يجب تجاوزها - هذه المسألة لا تتساهل فيها قيادة فتح اطلاقا - واحتفاظ كل طرف بموقفه تجاهها " .

لكنه في مقابلة " الفجر " ٨٥/١/١٦ كان اكثر تحديدا لنقاط الخلاف حيث قال : " طرح بوضوح ان هناك خلافا سياسيا ولكن يمكن تجاوزه اذا توفرت الواقعية والمسؤولية لدى الجميع ،

وحرصا على الوحدة قبلنا بتجاوز الدورة ١٧ بشرط اذانة التهديدات السورية بسحب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واذانة التحالف "اللاوطني" على جرائمه والتي ارتكبها بحق شعبنا ونضاله ولرفضه اتفاق عدن - الجزائر . واذانة محادثات ميرفي ولم يستجب لذلك الا كتلة الوحدة الطلابية "هذه هو كل تأثير الوحدة على حركة الشبيبة أ" - وبديهي ان مسألة القبول بتجاوز الدورة ١٧ تمثل تعارضا صارخا مع لجنة فتح المركزية والقيادة الجديدة ل م . ت . ف . .

وبوضوح اكبر تحدث غسان سمارة - ابو حاتم مرشح سكرتير اللجنة الاجتماعية في الفجر ٨٥ / ١ / ١٦ قائلا : " مع كل اسف نقولها ان البعض يرفض الاتفاق على الحد الأدنى لمعنى الوحدة الوطنية حيث انهم نصبوا انفسهم حماة لنظام اسد والدفاع عنه رغم سحبه لاعتراض نظامه بمنظمة التحرير الفلسطينية كذلك عدم صراحة اعتراف البعض ل م . ت . ف . والمطالبة باعادة اللحمة الى م . ت . ف . "

من الجانب الاخر قدم ناصر عبد الجواد من التحالف الديمقراطي ، ممثل كتلة اتحاد الطلبة التقدمية في مقابلة مع الميثاق ٨٥ / ١ / ١٧ ، عرضا لموضوعات الخلاف فقال : " كان هناك موقف مختلف عليه هو قضية محادثات الناقورة . ارادت حركة الشبيبة ان ندين هذه المحادثات في البيان السياسي ، ونحن قلنا بالحرف الواحد ان الحركة الوطنية اللبنانية والقوى الحليفة والمقاومة للغزو الاسرائيلي لها وحدها الحق في ان تقرر استمرار المحادثات او وقفها . وان الموجود هو كامب حسين - مبارك وامثالهم من الفلسطينيين . وان كامب ميرفي سقط بسقوط اتفاق ١٧ ايار وسقط عندما طردت القوات الاطلسية من بيروت وعندما تم تحجيم مشروع الكتاب وتحرير القوى الوطنية للجليل اللبناني " .

ولقد نبه مراقبون غير متحيزين لأى من الكتل في الجامعة الى حقيقة وجود توافق كبير في موضوع الخلاف هداى العلاقة مع سوريا والحركة الوطنية اللبنانية بين موقعي تحالف الشبيبة - الوحدة والكتلة الاسلامية . فلقد ركزت الاخيرة معظم دعايتها السياسية في الهجوم على النظام السوري ونعمته بالحماة ووصفه بالعمل لامريكا واصدرت عددا من الكاريكاتيرات تصور " عمالة سوريا لامريكا " وذكر المراسلون ميما كاريكاتيرا عبارة عن رسم لجسم كلب برأس اسد مربوط بسلسلة طرفها الاخر تى يد العم سام . وذكر هؤلاء المراقبون انه فيما عدا ذلك لم تطرح الكتلة الاسلامية مصوصا ساسه معارضا مع طروحات التحالف الديمقراطي .

وماذا ايضا

لكن الدعاية الساسه لتحالف الشبيبة - الوحدة لم تقتصر على ما تم ذكره فقط وان كان يلفت الانباه بصورة حاده ما بدا نوعا من التناقض الصارخ بين اعتزاز الشبيبة بشخص ياسر عرفات وماصه الكفاحي وحكمه الساسه ، والامر نفسه ينطبق على رفاقه الآخرين ، وبين تجنبهم ترديد او حتى ذكر بصريحانهم وانوالهم في الفترة الاخيرة ، وحتى انهم لجأوا الى التهرب بهذا الشكل او ذاك من الدفاع عن مواقف وتصريحات لهؤلاء القادة كان يوردها وينفذها اعضاء التحالف الديمقراطي .

ويشير مراقبون الى ان كتلة الشبيبة وهي ترفع مئات الصور الملونة لعرفات وتردد اغاني وانشيد فتح وشعاراتها ما قبل بيروت وتعلو هتافاتها في تمجيد دور عرفات وشخصه في بيروت وقبلها الى ما يقرب من محاولات التآليه كما وصفها هؤلاء المراقبون، او على الاقل اظهاره بصورة الزعيم الاوحد، ولمدى الحياة، على طريقة احزاب وحركات تحرر عربية سابقة، كانت هذه الحركة ترفض الدفاع عن العلاقات مع الاردن ومصر .. والمبادرة الاوروبية ... الخ وعلى العكس ترفض كما اسلفنا مشروع الملك حسين وكامب ديفيد والتحريك المصري ... الخ رفضا حازما وقاطعا، وكان في رأى هؤلاء المراقبين مثل هذا الموقف شيئا يستعصي على الفهم ولا يوجد له تفسير .

لكن ليس صحيحا الاستنتاج بأن هؤلاء وقفوا عاجزين عن مواجهة نقد التحالف الديموقراطي لقد ظهروا في كثير من الاوقات وفي كثير من الطروحات السياسية انهم يذهبون بعيدا الى يار التحالف الديموقراطي وحتى التحالف الوطني .

لقد ركّزوا على شعارات التحرير الكامل وعبر فوهة البندقية " القابلة القانونية لولادة التاريخ " ورفعوا غالبا شعارات عن شلالات الدم وثورة المئة الف شهيد .. وغيرها وغيرها . واثاروا صخيا عاليا جدا ضاع فيه في احيان كثيرة صوت الحديث السياسي الهاديء الموجه للعقل والشعارات التي سبق الحديث عنها .

ومن غير الممكن هنا تقدير التأثير النفسي لهذه الشعارات ، او للطريقة الديمagogية التي كانت تطرح بها ، الا ان هذه الشعارات فضلا عن حجبها للتفكير العقلاني ، ومنعها للمفاضلة المنطقية بين شعارات وشعارات ، ومنح الصوت على اساس هذه المفاضلة والقناعة المترتبة عليها .. قاد عددا كبيرا من الشباب الصغار لمنح اصواتهم لهذه الكتلة وفاء لامجاد الماضي العريق قبل بيروت واما الصخب والضجيج المعقود بالهتافات والاغاني ... الخ فقد نجح في ان يغطي على اجتماع عمان وان يحجب التوجه التفريطي لاصحاب المنهج الاستسلامي من خلال الغزل غير العذري مع الحلول الامريكية عبر انظمة عمان وبغداد والقاهرة .

لكن لماذا ؟

ومع ذلك بظل التناقض الصارخ الذي اشرنا اليه بين الاعتزاز غير المحدود بشخص ياسر عرفات وحكمة قيادته والامتناع عن نشر تصريحات ومواقف القيادة والدفاع عنها وحتى معارضتها بحزم ، بحاجة الى محاولة اجابة .

ان التفسير الوحيد هو ان النهج اليميني الاستسلامي والغزل مع الحلول الامريكية عبر الانظمة العربية التابعة لامريكا غير مقبول لاوسع الفئات الشعبية في الارض المحتلة . وجرى التعبير عن عدم القبول هذا بترديد وتبني شعارات التحالف الديموقراطي ونهجه الذي تبين انه المقبول جماهيريا .

واكثر ما يعبر عن ذلك المقارنة التي كانت تطرح بين نهج شرائح في البرجوازية المصرية الكبيرة والذي قاد الى توقيع اتفاقات كامب ديفيد والصلح الاستسلامي ونهج شرائح في البرجوازية الفلسطينية الكبيرة التي تدفع في الاتجاه ذاته .

ونائج المقارنة واضحة للمواطن في الأرض المحتلة. فإذا كانت شرائح في البرجوازية المصرية الكبيرة قد ضحت بجزء من سيادة الوطن وحتى من ترابه، وبالقضية الفلسطينية للحفاظ على مصالحها المتمثلة في نهب أكبر قسم من الثروة المصرية، فإن البرجوازية الفلسطينية تقع في وضع آخر. إن المطلوب منها للحفاظ على مصالحها، وهي على الأغلب ضمان الاستقرار الآمن في بلدان الشتات التي تعيش فيها، وتطور يضمنه هذا الاستقرار الآمن، هو التخلي عن الوطن ذاته وتمزيق الهوية الفلسطينية وهذا أمر ما لا يمكن أن تقبله سائر الفئات الاجتماعية الفلسطينية الأخرى.

إن طلبة بيرزيت منحدرين في غالبيتهم من هذه الفئات التي تتعارض مصالحها، بل تتصادم مع مصلحة شرائح من البرجوازية الفلسطينية الكبيرة المشار إليها. فالوطن والهوية هما الضمان الوحيد لبقائها وتطورها اللاحق. والتنازل عنه من أجل سواد عيون برجوازيتنا المصونة أمر غير وارد في الحساب إطلاقاً.

ماذا قالت نتائج الاستفتاء

وحتى إذا تجاوزنا كل ما سلف، تجاوزنا البيان السياسي لتحالف الشبيبة - الوحدة وتصريحاتهم في الصحف وشفويا وأمام الجماهير... الخ. وقلنا أنهم دافعوا عن نهج القيادة الجديدة بعد اجتماع عمان فماذا قالت النتائج؟ وماذا قال الاستفتاء؟

لقد جرى التركيز على اظهار مسألة واحدة فقط أن تحالف الشبيبة - الوحدة فاز بالمقاعد التسعة هذا صحيح، لكن هل هو يمثل الاغلبية؟ ولا نقول ٩٠ بالمئة كما قالت استفتاءات الرأي المفبركة قبل اجتماع عمان؟

لقد اقترح في الانتخابات ٢٠٧٧ طالبا من اصل ٢٣٩٣ وجاءت النتائج للكتل الاربعة على النحو التالي.

اسم الكتلة	الحد الاعلى	الحد الادنى	المتوسط	النسبة المئوية على اساس المتوسط
(١) الشبيبة - الوحدة	٨٢٠	٧٨٥	٨٠٥	٣٨,٨ /
(٢) التحالف الديمقراطي	٥٨١	٥٠٠	٥٤٨	٢٦,٤ /
(٣) التحالف الوطني	١١٧	١٠٧	١١٢	٥,٣ /
(٤) الكتلة الاسلامية	٦٣٧	٦٠٣	٦١٧	٢٩,٥ /

أى أن تحالف الشبيبة - الوحدة الفائز بالمقاعد التسعة حصل على أقل من ٤٠ بالمئة، في حين حصلت الشبيبة لوحدها على أكثر من ٤٥٪ من أصوات المقترعين في العام الماضي وهذا يمثل تراجعاً كبيراً

لو قلنا أن هؤلاء صوتوا كلهم لصالح نهج القيادة الجديدة لمنظمة التحرير واللجنة المركزية لفتح فإن ما حصلوا عليه يمثل أمراً بالغ الدلالة.

وهناك مسألة أخرى مهمة وهي حقيقة ان حركة الشبيبة فازت باصوات كتلة الوحدة ، فقد دخلت التحالف مع الشبيبة ، كما ذكرت اوساط في كواليس لجنة التنسيق والحوار ، على اساس ان لها ٢٥٠ صوتا انتخابيا اي ما يقرب من ١٢ بالمئة . وقد اكد مروان البرغوثي في حديثه للفرع انهم عرضوا توزيع مقاعد المجلس على اساس تقدير دقيق لقوى الكتل الانتخابية بواقع ٥ للشبيبة ٢ للوحدة وواحد لكل من الاتحاد التقدمية وجبهة العمل الطلابي اللتين كونتا التحالف الديمقراطي وحصلتا على ٤ ر ٢٦ بالمئة .

وحتى لو قبلنا ما قالوه فيما بعد بأن الوحدة مجرد كتيلة " لا تعدل ولا تميل " وان لها نصف الاصوات فقط اي حوالي ٦ ٪ من اصوات الناخبين فيكون ما حصلت عليه حركة الشبيبة هو اقل من ثلث اصوات الناخبين ومرة أخرى ليس ٩٠ بالمئة والاعلبية الساحقة الخ

ماذا عن التحالف الديمقراطي كاطار

وبالتدقيق مرة أخرى في النسب المئوية للنتائج ، وفي عدد الاصوات التي حصلت عليها الكتل يتضح انه لو دخلت اطراف التحالف الديمقراطي الثلاثة معا ، وتجنبنا الضرر الذي الحقه خروج الوحدة وانضمامها للشبيبة على هيئة التحالف الديمقراطي ومصادقته ، وتجنبنا الدور الذي قامت به كتلة الوحدة نيابة عن حركة الشبيبة بالافتراء والتشهير باطراف التحالف الديمقراطي ، بصفتها من داخل البيت ، هذا الافتراء الذي وصل حد اتهام التحالف الديمقراطي بانه بديل لمنظمة التحرير وانكار حقيقة دوره الموحد والمسؤول ، لحقيقة تصديه الباسل لمحاولات خلق بديل لمنظمة التحرير سواء بالطريق المباشر ، كما طرح التحالف الوطني في البداية ، او بطريق ملتوي يقضي بخلق مركز مقابل للمركز الذي اوجده اجتماع عمان عبر شعارات " الجبهة البديلة " و " الجبهة العريضة " و " القيادة الشرعية " وغيرها من التسميات ، نقول لو تم تجنب ذلك وتم اجتذاب الاصوات المحسوبة لهذا التحالف والتي ضاعت بالاستنكاف عن التصويت او اعطائها للتحالف الوطني ، كنوع من الاحتجاج على خروج الوحدة منه ، لو تم ذلك لحصل التحالف الديمقراطي على اكثر من ثلث الاصوات ولفاز هو بالمقاعد التسعة ولحصلت الوحدة على ثلاثة مقاعد بدلا من اثنين وهذا يوضح ان التحالف الديمقراطي كاطار ، اضافة اليه كسياسة ، هو المقبول جماهيريا " ، ويتطلب اعماق المسؤولية في الحفاظ عليه وتطويره .

وقد يكون مفيدا التذكير بان تحالف الكتل الثلاثة للتحالف الديمقراطي في العام الماضي حصل على حوالي ٢٢ بالمئة من اصوات المقترعين ، وعليه يكون قد تقدم كثيرا هذا العام رغم ما حدث وعلى حساب حركة الشبيبة في حيث حافظت الكتلة الاسلامية على وزنها النسبي .

البرنامج النقائلي

ان من غير المنطقي قصر الحديث عن النتائج السابقة على البرامج السياسية للكتل فقط ، ان الطالب صاحب مصالح نقابية حقيقية ومعني بحل المشاكل الناجمة عنها . ان مسائل الاقصاء واثمان الكتاب وأجور البيوت ... وغيرها الكثير الكثير تؤثر تأثيرا حاسما في توجيه صوت الانتخابي وللكتلة التي سيمنحها اياه .

لكن مراجعة متأنية ، مدققة للبرامج النقابية للكتل الاربعة المتنافسة تبين عدم وجود فروق جوهرية في البنود والقضايا او طريقة عرضها .

المسألة الحاسمة في ظني تتلخص في النهج المطروح لتحقيق هذه المطالب . وقد برز نهجان متعارضان . نهج التحالف الديمقراطي الذي يدعو لتحقيق المطالب عن طريق النضال الشاق وطويل النفس . والنهج الآخر الذي يتلخص في توفير المال اللازم من المعونات التي ستتوقف حتما في حالة فوز التحالف الديمقراطي ، وتحقيق كل المطالب دفعة واحدة ربما ، وبدون نضال او تعب او وجع دماغ . باختصار طريق سهل ومضمون .

ومن غير المعقول ان يطالب الطالب العادي بترك الطريق السهل والمضمون ، اذا فاز تحالف الشبيبة - الوحدة ، وسلوك الطريق الصعب والشاق وغير المضمون النتائج في ذات الوقت .

على هذا لا يكون افتراء على الحقيقة ، او تضخيما للامور اذا قلنا ان هذه الوعود وليس غيرها هي التي اعطت الشبيبة عددا كبيرا من الاصوات واذا قلنا انها تمسك بخناق هذه الاصوات . وليس هنا المجال لشرح اخطار هذه السياسة على مستقبل العمل الثوري . ان اقاعد الناس عن النضال ، ونعبتهم بان البترو دولار هو حلال كل العقد، يتنافى مع ايسر متطلبات التعبئة ورفع الروح الكفاحية لدى الجمهور لتحصيل الحقوق المشروعة بما فيها الدولة المستقلة . وهو بمثابة تهيئة مدروسة لتمرير النهج التفريطي . بدولة او بدون دولة ، بوطن او بدون وطن ، يوفر البترو دولار عيشة رخيصة وحتى رفاها باذخا فلماذا التعب اذن ؟؟

لكن لا بد ان يلاحظ المسوءولون عن هذا النهج ان فيه ما هو اكثر من مجرد العبث بمقولاتهم عن استقلالية القرار والتنظيم المستقل وكل ما يمت للاستقلال بصله . انهم يطالبون الناس بالحصول على حسن سلوك من المخابرات الاردنية حتى يتم ضمان سيل البترو دولار الى خزائهم ولكي يتم تنفيذ الوعود . ولا اتحدث هنا عن قدرة النظام الاردني في هذه الحال على تجبير قاعدتهم الاجتماعية اليه في اللحظة الحرجة المناسبة .

ولا بد ان يتنبهوا الى حقيقة ان اكثر من ٦٠ بالمئة من الطلبة في بيرزيت صوتوا لصالح الذين طالبوهم بالسير في طريق النضال ، النضال المطليبي . وان اقل من ٤٠ بالمئة هم ضحايا هذا الاغراء الملعون . ومع ذلك فان ولاء هؤلاء غير مضمون للقيادة الجديدة لمنظمة التحرير وليس ادل على ذلك مما جرى في انتخابات نقابة شركة الكهرباء العربية في القدس . فلقد وصل الامر حد تخويف العمال بارتكاب خيانة قومية بقطع كامل المساعدات عن الشركة ، هذا عدا عن تهديدهم بقطع راتبي الشهرين الثالث عشر والرابع عشر . وللتأكيد على صدق نواياهم في تنفيذ هذه التهديدات كانت تجربة السنتين الماضيتين بحجز مخصصات النقابة البالغة ٧ الاف دينار سنويا ، ماثلة للعيان . وفوق هذا تكتل اليمين ، وهو ليس من حصة القيادة الجديدة لمنظمة التحرير في نهاية المطاف ، واغلبه ليس كذلك الان ، في كتلة واحدة لاول مرة . وعمل بتنسيق كامل مع ادارة الشركة واستغل رئاسات الاقسام حيث التحكيم المباشر في مآثر الموظفين والعمال . ومع ذلك رفضت نسبة عالية من العمال هذا الواقع تجاوزت الاربعين بالمئة . وستثبت الايام ان طريق قيادتها المناضلة هو الطريق الصحيح الذي لا طريق امامهم غيره .

وبعد اظن ان الجواب للسؤال الذي اخترناه عنوانا لهذا المقال قد صار واضحا . لقد جرى التصويت لصالح نهج التحالف الديمقراطي السياسي وهذا النهج هو الفائز الحقيقي في هذه الانتخابات وانهمزم هزيمة ساحقة نهج الاستسلام والتفريط وعلى الذين يتحدثون عن ديمقراطية غابة البنادق ان يرضخوا لصوت الجماهير .

ثلاثة أيام غيّرت وجه التاريخ
وملائون شحمة على قبر
الشهيد حسني بلال



بقلم . خالد عبد الرحمن - غزة

ثلاثة ايام مجيدة لم ينسها التاريخ لهذا الشعب ، وان كان بعض ابنائه يتناسونها حيناً ويذكرونها حيناً آخر . ولكن الايام الثلاثة ستبقى رغم كل شيء علامة من ابرز علامات تاريخ هذا الشعب ، وشهادة ميلاد جديدة سطرتهما دماء الشهداء الذين سقطوا قبلها وخلالها وبعدها وحفرت حناجر جماهير قطاع غزة في ذاكرة التاريخ الصخرية تلك الملحمة البطولية التي خاضها شعبنا لثلاثة ايام متتالية، والتي دارت رحاها بين حكم الكلمة وحكم البندقية، لكن الكلمة كانت اقوى من كل البنادق والمدافع ... فما بالك حين تكون الكلمة هي حكم الجماهير ؟ ولعل اولئك الذين يتناسون اليوم هذه الملحمة يعيدون قراءة التاريخ، فما يريدونه اليوم لابناء شعبنا لا يختلف كثيراً عما ارادوه له في تلك الايام .. فهل يمكن ان تختلف النتائج ؟

لم تكن قد مرت سنوات سبع على نكبة شعبنا وهجرته الجماعية، كانت رائحة الارض وزهور البرتقال تملأ صدور ابنائه، تحملها النسمة اليهم كل صباح عبر الاسلاك الشائكة، وتحمل معها العشق والحنين الى الارض والوطن، وظلت جذوة الامل تتقد في قلوب ابناء القرى والمدن الذين

اجبروا على تركها ، ويزداد اشتغالها يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، وكان القهر والبؤس والحرمان والخوف والتشرد ودماء الشهداء الذين يتساقطون كل يوم ، تشكل وقودا لا ينضب ، .

كانت نكبة ١٩٤٨ قد دمرت كل البنى التحتية للمجتمع الفلسطيني ، فلم يبق انتاج او ملكية او علامات انتاج محددة ، حتى الملكية العقارية التي سلمت من الاحتلال هجرها اصحابها الى مصر ولم يكن بإمكان مجتمع كهذا ان يفرز حتى ذلك الوقت طبقة "برجوازية" او "بروليتاريا" جديدة ، وشكلت جموع اللاجئين القابعين في المخيمات خليطا عجيبا من ابناء القرى والمدن ، وتوحد الكل في ظل البؤس الجماعي الذي ساد المخيمات ، وصارت كلمة "لاجيء" تعبر عن الفقر والبؤس والجوع والبطالة . لكن البنى الفوقية للمجتمع الفلسطيني ظلت مجمدة على ما كانت عليه قبل النكبة ، وظل عشق الارض والوطن يسرى في دماء فلاحي بلادنا وعمالها الذين هجروا ارضهم ومعالمهم ، وتحولت مخيمات اللاجئين الى بؤر للافكار الثورية ، وسأهم ازدهام السكان بها ووحدة المعاناة في سرعة انتشار افكار التمرد على الواقع المر ، كان الحنين الى الارض يدفع بالثقات من الفلاحين لعبور الحدود الى قراهم ، عليهم يتمكنون من استعادة شيء ما ... ربما لم تكن له قيمة ... وبدأت منذ السنوات الأولى غزوات فلاحي المخيمات عبر الحدود ، ودفع المئات منهم حياتهم ثمنا لعشق الارض والوطن .

كان يراد لهذا المارد ان يبقى حبيس القمقم الذي اختارته له انظمة الحكم العربية الرجعية وحلفاؤها ، لكن المارد ما لبث ان تمرد على قمقمه الذي لم يعد يتسع له ، فانتفض محطما قمقمه وكل قيوده مرة واحدة ... التعايش مع الفقر والعوز والحرمان ؟ ... ربما ، لكن التعايش مع الذل كان مستحيلا ، وقد ارادوا لهذا الشعب ان يبقى حبيس قمقم الذل والخنوع . كانت المحاولات قد بدأت منذ اللحظة الاولى التي وطأت فيها قوات مصر فاروق ارض فلسطين ، ففي منتصف ليلة ١٥/٥/١٩٤٨ ، أعلن الماوى باشا قائد القوات المصرية الى فلسطين انه قد تم احتلال غزة ، وكان اول امر عسكري له ينص فيما ينص على ما يلي :

- (١) حل كافة التنظيمات السياسية في غزة وحل عصبة التحرير الوطني الفلسطيني .
- (٢) تسليم كافة الاسلحة الموجودة بحوزة المواطنين في غزة .

وجاء رد شعبنا ابلغ من كل رد ممكن ، تحل عصبة التحرير الوطني الفلسطيني ؟ الرد ان تتحول عصبة التحرير الوطني الى خلايا سرية في طول البلاد وعرضها ، تتحول كل خلية الى بؤرة ثورية تحميها الجماهير ، وتحمي الجماهير ... ان تسلم كافة الاسلحة الموجودة بحوزة المواطنين ؟ الرد ان تتسلح الجماهير بالافكار الثورية ، هل يمكن ان يصادر الماوى باشا الافكار والكلمات ؟ مصادرة الحريات العامة ، لم تبق للجماهير شيئا تخشى ان تفقده ، وتفشى الغضب الثوري بين صفوف العمال والفلاحين والمعلمين والطلاب وكل فئات الشعب . لكن امر الماوى باشا وغيره من قادة جيوش الهزيمة الذين مثلوا بحق رؤسائهم وانظمتهم ، كان المقدمة الضرورية للهزيمة وتسليم

إرض فلسطين قطعة بعد قطعة . وسرعان ما بدأت الحلقة التالية في سلسلة محاولة اذلال هذا الشعب . . وربما كانت في قطاع غزة أكثر وضوحا من غيرها ، منذ بدأت الاوساط الرجعية وصانيتها في مصر وممثليها في قطاع غزة ، تكل تهم العمالة والخيانة والتجسس على ابناء الشعب الفلسطيني في القطاع ، كانت آثار الحروق او الجروح تعتبر دليلا دافعا تقبل به المحاكم العربية على ان حاملها عميل وحاسوس ، واسيع عبر الصحافة الرجعية المصرية ان الجندي المصري كان يُباع في فلسطين بأبخس الاثمان . كان يراد لشعبنا بهذا ان يبقى ذليلا حتى تبرر الرجعية العربية خيانتها ، لكن شعبنا لم يقبل الذل ، وظل مرفوع اليامة ، عالي الرأس ، كانت خلايا عصبة التحرر الوطني تعمل ليل نهار في مخيمات اللاجئين وفري ومدن القطاع ، نفضح المؤامرة ، ونثير الحواس بين الجماهير ففي حين فقدت القيادات التقليدية الرجعية في قطاع غزة مكانتها القيادية ونفوذها الشعبي ، تحول انباء عصبة التحرر الوطني الى قادة للجماهير وممثلين لنطلعاتهم الحقيقية ، وكان قانون الديالكتيك حول التراكمات الكمية وتحولها الى تغيرات كيفية يفعل فكل ببطيء شديد .

كان قرب قطاع غزة من مصر وانفتاحه عليها يتيح للقوى الوطنية ان تؤثر وتتأثر بما يحدث في مصر ، وكان الطلاب الدارسون في الجامعات المصرية يشكلون الطلائع وقنوات الاتصال بين الحركة الوطنية المصرية والقطاع ، وسرعان ما بدأت حركة نهوض وطني في مصر تمثلت في نجاح حزب الوفد في انتخابات ١٩٥٠ ، ثم بداية معارك القنال التي شارك فيها جزء من الطلائع الطلابية الفلسطينية في مصر ، وكان معين بسيسو ذلك الطالب والشاعر الشيوعي على رأس هذه الطليعة التي جسدت التعبير العملي عن التضامن الكفاحي للشعوب ، وتجلت هذه المشاركة في ديوان معين الاول " المعركة " الذي اصدرته الحركة الوطنية المصرية . وجاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ لتحرر مصر من الحكم الملكي الاقطاعي ، وبدأت حركة نهوض جديدة وواسعة في مصر ، غير ان هذا النهوض لم ينعكس على ممارسات الادارة المصرية لقطاع غزة ، وظلت هذه الممارسات صورة طبق الاصل لما كان يجري قبل الثورة ، دمرت سنوات طويلة ومربرة قبل ان تتضج الثورة المصرية ويتضح خطاها السياسي في الداخل والخارج ، وتميزت سنواتها الاولى بالتخطيط واقترباها من الامبريالية الامريكية الي بدأت تحل تدريجيا محل الاستعمار البريطاني في ممارسة دور الموجه السياسي للنظام المصري ، وظلت الحالة المزرية التي يعيشها اللاجئين الفلسطينيون في قطاع غزة تعمل جبا الى جنب مع ممارسات الادارة المصرية على تغذية الروح الثورية لدى الجماهير . وما ان استفاد الحكم للثورة المصرية حتى اضيف عامل جديد الى عوامل تغذية الروح الوطنية الفلسطينية ، اذ سرعان ما قدمت الولايات المتحدة مشروعها لتوطين اللاجئين الفلسطينيين فيما عرف بمشروع جونسون ، وكانت الموافقة على هذا المشروع هي الشرط المسبق للامبريالية الامريكية لتقديم العون للحكومة المصرية . فقد ظلت قضية اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة تؤرق نالوث الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، اذ تصور هذا النالوث انهم قد تخلصوا الى الابد من مشكلة اللاجئين الذين نزحوا الى الضفة الغربية بعد ضمها القسري الى امارة شرق الاردن في ما يسمى

بالمملكة الاردنية الهاشمية، ولم يبق امامهم سوى ما يقارب الربع مليون لاجي في قطاع غزة، يغذيهم تطلعهم للعودة الى ديارهم في خلق المشكلات امام مخططات الامبريالية للمنطقة، وكان توطين هؤلاء اللاجئين بعيدا عن وطنهم يمثل الحل النموذجي للامبريالية، بل وكان يمثل حلا افضل مما تحقق باقامة المملكة الاردنية الهاشمية ذات النظام الرجعي العميل . وبدأت اعتبارا من عام ١٩٥٣ مباحثات جادة بين الولايات المتحدة والحكومة المصرية ومندوبي وكالة الفوث التي كان الامريكيون وعملاء المخابرات المركزية الامريكية يسيطرون على معظم المراكز العليا فيها، وتم طرح مشروع مفصل لتوطين لاجئي قطاع غزة في قسم من صحراء سيناء . ورغم ان تفاصيل المشروع ظلت في طي الكتمان في ذلك الوقت، الا ان الادارة المصرية بقطاع غزة بدأت في التمزج اراء بعض القوى حول هذا المشروع، وتحول هذا الاستمزاج تدريجيا الى تهديد ووعد للقوى الوطنية وخاصة الشيوعيين في قطاع غزة، وكان رجال المخابرات المصرية يرددون امام الشيوعيين جملة واحدة " ان لم تقبلوا بالذهاب الى سيناء بالشاحنات المصرية فسوف تذهبون اليها مشيا على اقدامكم " .

ورغم الضربات المتتالية التي وجهت لعصبة التحرر الوطني الفلسطيني في قطاع غزة، الا ان العصبة تمكنت في كل مرة من تجاوز آثار تلك الضربات، والعودة من جديد لقيادة جماهير الشعب في المخيمات والقرى والمدن، فقد كانت اكثر القوى قدرة على تحسس مشاعر الجماهير ومشاكلها وكان رفاقها يشكلون القدوة والطليلة في كل نضال وطني رغم استمرار الملاحقة واعتقال ومحاكمة العديد من اعضائها، وتقرر في سنة ١٩٥٣ تحويل فرع عصبة التحرر الوطني الفلسطيني في قطاع غزة الى الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة بعد ان حلت العصبة بحكم الواقع الجديد والفواصل الجغرافية بين فروعها . وفي مؤتمره الاول وضع الحزب قضية التحرر الوطني والعمل على افشال كافة المؤامرات التصوفية في مقدمة اهدافه ونضالاته، وادرك الحزب سريعا ان هناك مؤامرة تحاك لاعادة توطين اللاجئين واغلاق ملف القضية الفلسطينية، وادرك كذلك ان استمرار الحالة المزرية لمخيمات اللاجئين تشكل الدور الذي تقرر ان تمارسه وكالة الفوث للضغط على اللاجئين في قطاع غزة من اجل القبول بمشروع التوطين . وتبنى الحزب قضية فضح المؤامرة في ادبياته ونشاطات اعضائه، ونشط الحزب في جمع آلاف التواقيع على عريضة تعلن رفض الموقعين عليها لأي مشروع يستهدف اسقاط القضية الفلسطينية وتوطين اللاجئين في غير وطنهم، وكانت تلك العريضة تمثل اول تحد علني للادارة العسكرية المصرية في قطاع غزة . وجرت مطاردة واسعة للشيوعيين، ترافقها حملة اوسع لاجبار الموقعين على سحب توقيعاتهم، الا ان جهود الادارة المصرية ذهبت هباء .

وفي ٢٩ / ٨ / ١٩٥٣، قامت القوات الاسرائيلية بغارة وحشية على مخيم البريج للاجئين دون اي مبرر، وكانت حصيلة العدوان ستة وعشرين قتيلًا ذبحوا ذبحا وهم نيام الى جانب عشرات الجرحى، وهيت جماهير المعسكرات الوسطى (مخيمات البريج والنصيرات والمغازي ودير البلح) في مظاهرة عفوية ضخمة، وتبنى الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة هذه الانتفاضة، وبدأ

أعضائه يقودون المظاهرات الصاخبة العنيفة، احتجاجاً على العدوان، ورفع الحزب لأول مرة مطالبة بتسليح المخيمات حتى تتمكن من الدفاع عن نفسها وتقوية دفاعات الحدود، كما طلب أيضاً برفض أي مشروع لتوطين اللاجئين خارج الأرض الفلسطينية واعتبر الحزب أن الغارة الإسرائيلية على مخيم البريج هي جزء من مؤامرة تستهدف النيل من صمود اللاجئين في المخيمات وإجبارهم على القبول بمشروع التوطين، وحدد الحزب بعد ذلك من أن الاعتداءات قد تتكرر مرات عديدة ودعى الجماهير إلى التسلح باليقظة تجاه المؤامرة التي تدبر لها. ورغم أن المظاهرات لم تستمر طويلاً. إلا أنها أجبرت الإدارة المصرية على تشكيل أول كتيبة فلسطينية، غير أن هذه كتيبة اعدت إلى رفح بعيداً عن مناطق خطوط الهدنة.

ومع نهاية ١٩٥٤ أصبح واضحاً للحزب أن الاتفاق قد تم بين الحكومة المصرية وحكومة الولايات المتحدة على تنفيذ الجزء الخاص بقطاع غزة من مشروع جونسون، وبدأ الحزب يعد العدة للقيام بانتفاضة عارمة لأفشال هذا الاتفاق، وفي منتصف فبراير ١٩٥٥ تمكنت س.س. صديقة الحزب الوفية أن تحصل من مكاتب وكالة الغوث في غزة على صورة من الاتفاق والتقارير المرفقة به، وسرعان ما أدركت بحسبها الوطني أن الوثيقة والمشروع الذي تحمله تشكل أكبر خطر على قضية شعبنا منذ كارثة النزوح وأدركت كذلك أن الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة هو القوة الوحيدة التي تولى أهمية بالغة لهذا الأمر، ولم تتردد لحظة في تسليم الوثيقة والتقارير للرفيق معين بيسو. الأمين العام للحزب في ذلك الوقت. وفي اليوم نفسه دُعيت اللجنة المركزية للحزب لاجتماع عاجل، وتم عرض الوثيقة عليها، واتخذت اللجنة المركزية قرارها بطبع الوثيقة وتوزيعها على الشخصيات الوطنية في القطاع مع إيضاح موقف الحزب من هذه المؤامرة، وصدر القرار كذلك بالأعداد الفوري للانتفاضة. ويذكر معين في كتابه دفاثر فلسطينية "ورغم اعتراف المهندسين باستحالة الحياة في تلك المنطقة من جهنم في صحراء سيناء لقلة المياه والتكاليف الباهظة لاستصلاح الرمال"، ورغم ما كتبه الأطباء عن الأمراض التي ستداهم اللاجئين والتي ستهدد حياتهم وبالذات حياة الأطفال حيث لا تستطيع عيونهم ولا رئاتهم تحمل ذلك الهواء المثل بالتراب، إلا أن التقرير حمل موافقة الخبراء على المضي في تنفيذ المشروع، ولكنهم اقترحوا أن تتم التجربة على عشرين ألف لاجئ، بدرس الخبراء بعدها على الطبيعة إرسال الدفقات الأخرى من اللاجئين، هكذا.. كان يراد لآباء شعبنا أن يتحولوا إلى فئران تجارب. لكن المؤامرة لم تمر، ففي ١٩٥٥/٢/٢١ أصدر الحزب أول منشور جماهيري له، وكان المنشور يحمل نص الوثيقة ورأي الحزب في مشروع التوطين، ويدعو الجماهير إلى اليقظة والاستعداد لمواجهة المؤامرة، وحدد الحزب في منشوره كذلك من احتمال قيام إسرائيل بغارات جديدة تكون أكثر عنفاً من مذبحه البريج، وتستهدف توجيه ضغط نهائي على جماهير اللاجئين للموافقة على مشروع التوطين، وكان الحزب بالتعاون مع الشخصيات والقوى الوطنية قد شكل لجناً وطنياً في المخيمات والقرى والمدن، ونشطت هذه اللجان في التحضير للانتفاضة القادمة، وكانت اللجان الوطنية في المدارس الثانوية تشكل الطليعة الصدامية للحزب.

كان الحزب منذ قيامه قد أولى مسألة إقامة المنظمات الجماهيرية والنقابية أهمية بالغة، وتمكن من تحويل المدارس الى بؤر للاشعاع الثوري، وحقق انتصاره الاول في اواخر ١٩٥٤ بانتزاع موافقة السلطة على تشكيل نقابة لمعلمي مدارس اللاجئين، وقدر لهذه النقابة ان تلعب دورا هاما في الانتفاضة القادمة. وحين جرى انتخاب مجلس النقابة تم انتخاب معين بيسو القائد الشيوعي رئيسا لها، وفتحي البلعاوي، احد كبار قادة الاخوان المسلمون نائبا للرئيس، ورغم ان اغلبية اعضاء مجلس النقابة كانوا ينتمون الى جماعة الاخوان المسلمين، الا ان الحزب تمكن من تحويل النقابة الى مركز للنشاطات الوطنية والثورية، وجرى تنظيم الندوات والمحاضرات التي شاركت فيها العناصر الوطنية والتقدمية، وكانت قضية شعبنا هي المحور الوحيد لكل نشاطات النقابة، واذكت هذه النشاطات روح العمل الوطني في صفوف المثقفين، وتحولت النقابة الى مركز استقطاب للعناصر والقوى الوطنية والتقدمية التي اسهمت في التحضير للانتفاضة.

وبدا التملل واضحا في ازمة مخيمات اللاجئين وكان الوضع ينتظر الشرارة لينفجر. فقد كانت قناعة الجماهير بوجود المؤامرة، واستمرار الاوضاع المزرية للانسانية التي يعيشها اللاجئين في المخيمات، ومحاولات الاذلال المستمرة تارة على يد الادارة المصرية وتارة على يد وكالة الغوث التي عاملت اللاجئين كأنما هم متسولون او لصوص، واستمرار الهجمات الاسرائيلية على المخيمات حيث يذبح الناس بلا رحمة، وتردي الاوضاع الاقتصادية في القطاع بشكل عام، تشكل قاعدة للانتفاضة القادمة للجماهير. فلم يكن بمستطاع اي قوة ان تقهر شعب ثورة ١٩٣٦ والذي تحمل ببطولة ليس لها مثل اطول اضراب في التاريخ. وعمل الحزب الشيوعي ليل نهار، لم تكن آلة الرونيو التي اهداها الحزب الشيوعي المصري اليه تكف عن العمل، فالمنشور يليه المنشور، وتلقفت ايدي الجماهير هذه المنشورات ووضعتها على القلب وفي القلب. كان كل شيء جاهزا للانتفاضة، ولكن متى؟ وتدرس اللجنة المركزية للحزب مسألة التوقيت، لكن الشرارة تأتي من خلف الاسلاك الشائكة التي تحدد خط الهدنة ففي مساء ٢٨ / ٢ / ١٩٥٥ قامت القوات الاسرائيلية بالتسلل الى معسكر لجنود سلاح الحدود قرب محطة السكة الحديدية في غزة، وقتلت سبعة عشر جنديا فاجأتهم وهم نيام، وذبحوا ذبحا، وفي نفس اللحظة كانت قوة اخرى تهاجم البوليس الحربي على طريق غزة - رفح، وتمكنت من احتلالها بعد ان تغلبت بسهولة على الجنود الخمسة الذين كانوا يرباطون فيها واستخدمت القوة الاسرائيلية الهاتف الميداني لنقطة البوليس الحربي لاستدعاء نجدة من الكتيبة الفلسطينية في رفح، وقبل ان تصل القوة كانت الكمائن في انتظارها، واستشهد ٥٦ مقاتلا فلسطينيا.

وفي الصباح تحول خبر المذبحة الى الشرارة المنتظرة، وكانت البداية «سلاسل» كان مبكرا جدا، وغدا سيكون متأخرا جدا... اما الان فلا بد ان تبدأ الانتفاضة - ابلغ الحزب اللجنة الوطنية للطلبة في مدرسة فلسطين الثانوية بقرار الانتفاضة والتظاهر المفتوح، وانطلقت اول موجة للانتفاضة من مدرسة فلسطين الثانوية لتبلغ اللجنة الوطنية للطلبة في كل من كلية غزة ومركز التدريب المهني بقرار الحزب. ويتلاحم الطلاب في مظاهرة عارمة، وهتفت المظاهرة بالشعارات

التي أقرتها اللجنة المركزية للحزب : لا توطين ولا اسكان يا عملاء الامريكـان
 وضمت المظاهرة الى صفوفها كل من صادفها في الطريق من عمال وفلاحين وطلاب ومعلمين
 وتجار وباعة متجولين وغيرهم ، وتحولت مظاهرة الطلاب الى مظاهرة جماهيرية يشارك فيها الآلاف
 كتفا الى كتف ، وظلت المظاهرة تهتف بصوت واحد ، اقوى من الرعد :

لا توطين ولا اسكان يا عملاء الامريكـان

سارت المظاهرة بطول شارع عمر المختار من مدرسة فلسطين حتى مستشفى تل الزهور مروراً بسراب
 الحكومة ومقر الحاكم العام ، وكان في انتظارها هناك اعضاء قيادة الحزب وكوادره الذين تقرر ان
 يشاركوا في قيادة الانتفاضة . صار الحزب بمثابة القلب للجماهير ، وارتفع قاداته فوق الاعناق ،
 وكانت بداية الملحمة البطولية التي استمرت لايام ثلاثة غيرت وجه التاريخ في المنطقة العربية
 بأسرها . وتحولت ساحة التاكسيات في غزة الى بحر هادر من البشر تتجه اعينهم وأذانهم الى
 القادة الشيوعيين ، ولم تكن هناك قوة تقدر على وقف هذا الزلزال . وطرح الشيوعيون شعارات
 الانتفاضة ... اسقاط مؤامرة التوطين .. تسليح الجماهير في المخيمات للدفاع عن نفسها ..
 فرض التجنيد الاجباري واقامة جيش وطني فلسطيني .. اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير ..
 تحسين الاوضاع في المخيمات والقرى والمدن في قطاع غزة .. العمل بجدية من اجل تحرير
 الوطن . وسلمت الجماهير بقيادة الحزب للانتفاضة ، كان الحزب يحظى باحترام كل ابناء الشعب ،
 فقد آمن الشعب بصحة الخط السياسي للحزب وبصدقه في تبني الكفاح الوطني . وكان الشيوعيون
 في المقدمة دائماً - هكذا كانوا في الانتفاضة كما كانوا في كل عمل ، وتحمل الحزب دون غيره كل
 التضحيات البطولية خلال الكفاح الوطني واستحق بجدارة احترام جماهير الشعب وجبها .

وفي خضم الانتفاضة اتخذت الجماهير قرارها بتشكيل لجنة وطنية عليا للانتفاضة بقيادة
 الشيوعيين ، وانتخب معين بيسو قائدا لهذه اللجنة وتقرر ان تصبح نقابة المعلمين المقابلة لسراي
 الحكومة مقراً لها وضاعت اللجنة مطالب الجماهير كما حددها الحزب ، وتقرر ان تتجه المظاهرة الى
 سراي الحكومة حيث مقر الحاكم العام وان تتقدم باسم جماهير الشعب الفلسطيني في قطاع غزة
 بمطالبها ، وعادت المظاهرة في اتجاه الغرب يتقدمها معين ورفاقه ، وظلت شعارات الحزب ..
 شعارات الشعب ندوى في الافاق ، تزلزل الارض تحت اقدام عملاء المباحث والمخابرات الذين
 حاولوا حرف الانتفاضة عن اهدافها ، وتفشل مساعيها ، وقررت السلطة ان تواجه الحناجر بالرصاص
 وعلى بعد اقل من نصف كيلومتر من سراي الحكومة وقفت قوات سلاح الحدود والشرطة والمباحث
 والمخابرات وجنود الجيش المصري وبعض جنود الكتيبة الفلسطينية الذين جلبوا من مواقعهم في
 انتظار المظاهرة . كانت الاوامر تقضي بقتل قادة المظاهرة قبل تفريقها ، وحين وقفت القوة في
 مواجهة الجماهير نكس جنود الكتيبة الفلسطينية اسلحتهم ، ورفضوا الانصياع للامر باطلاق
 الرصاص ، كذلك فعل رجال سلاح الحدود هؤلاء السودانيون الطيبون .. واطلق الجزء الاكبر من
 رجال الشرطة الفلسطينيين كل رصاصهم في الهواء ، ولم يبق في وجه المظاهرة سوى بعض عملاء

المباحث والمخابرات ونفر قليل من رجال الشرطة، وصوب احدثهم بندقيته في اتجاه معين الذي ظل على رأس المظاهرة، واطلق كل رصاصاته دفعة واحدة لينفذ امر اسياده واولياء نعمته، لكن يد الشعب كانت اسرع من الرصاص المحمل بالحق على الجماهير، وسقط حسني بلال فداء لمعين، وكان اول شهيد شيوعي في تاريخ الحزب الوليد، وكان من المقرر ان تنفض التظاهرة بعد ان سال الدم الفلسطيني الطاهر على الارض الفلسطينية بيد فلسطينية ما العمل ؟

كان التراجع يعني الخنوع والى الابد ... وكان التقدم يعني المزيد من الدم .. ولم لا ؟ وليكن دما شيوعيا ايضا، هكذا كان القرار، وفي لحظة هب معين ممزقا قميصه وفاتحا صدره للرصاص وعاد يهتف من جديد ويغني للدم المسفوح .. دم دم .. سال الدم ... دم دم ... عاش الدم . والتأمت المظاهرة من جديد ، لكنها صارت اكثر صلابة، فقد تعمدت بالدم ، وفرّ الجنود امام الجماهير تاركين سياراتهم واسلحتهم طعاما للنيران ، واصبح الطريق الى سراى الحكومة مفتوحا، لم تكن هناك قوة تكفي لحماية رجال الادارة العسكرية المصرية، ولم يجد الحاكم العام ورجاله بدا من الفرار الى العريش ، تاركين سعد حمزة مدير المباحث وحاكم مدينة غزة ليتدبر الامر . وكان الحاكم العام قبل فراره قد قام باستدعاء عدد من الوجهاء الرجعيين ورجال الدين وكبار الموظفين ، وطلب منهم العمل على تهدئة الوضع ، وحين وصلت المظاهرة الى سراى الحكومة حاول احد رجال الدين ان يحول مسار المظاهرة وعلمت قيادة اللجنة الوطنية العليا بما كان من فرار الحاكم العام وبطانته ، فقدمت مطالبها الى سعد حمزة ليتولى نقلها الى رؤسائه الفارين وتقرر الاستمرار بالتظاهر حتى تلبي مطالبهم ، واتجهت المظاهرة الى حي الشجاعة ... جي الفلاحين الاوفياء للارض .. وعلى الطريق بالقرب من الشجاعة ، كانت قوة من الجيش المصرى في انتظار المظاهرة، ولكن رغم استخدامها لسلاحها عجزت عن صد الجماهير التي كان يقودها ذلك العارى الصدر، وتلاحمت جموع الشعب في اكبر مظاهرة عرفها تاريخ غزة، واختفى كل رجال السلطة من الشوارع والأزقة، وفرض الشعب على الحكومة نظام منع التجول، واستمرت المظاهرات حتى مغيب الشمس، وانفضت على موعد للقاء جديد في صباح اليوم التالي . وفي ساعات المساء اجتمعت اللجنة الوطنية العليا لبحث الوضع وتقرر الاستمرار في التظاهر حتى تتحقق كافة المطالب العادلة للجماهير . وقررت اللجنة المركزية للحزب ان تشمل المظاهرات كافة انحاء القطاع واصدرت توجيهاتها للجان الوطنية في المخيمات والقرى والمدن والاعداد لليوم التالي ، ودارت آلة الرونيو من جديد لتحمل للناس اول احبار الانتفاضة .

وفي صباح اليوم الثاني من مارس اعلنت اذاعة لندن ان الشيوعيين قد باتوا يسيطرون على كل الشريط الساحلي في قطاع غزة، كان واضحا للجميع ان اذاعة الخبر بهذا الشكل يستهدف تحريض الحكومة المصرية واسرائيل من اجل التدخل الفوري لقمع الانتفاضة، وكانت ساعات الليل قد شهدت تسلل عناصر من القوات المصرية وتمركزها في مواقع موهبة جيدا في مختلف انحاء مدينة غزة، لكن الخوف كان يسيطر على قلوب الجنود مما سمعوه عما حدث في اليوم السابق .



ومع فجر ٢ مارس اجتاحت المظاهرات كل انحاء القطاع ، تهتف كلها نفس الهتافات ، وترفع الشارات نفسها ، جابت المظاهرات الصاخبة مدينة غزة بطولها وعرضها دون ان يعترضها احد ، وتقرر ان تشترك المظاهرة كلها في تشييع جثمان الشهيد حسني بلال ، وما ان اقتربت الجنازة من مستشفى تل الزهور حتى فوجيء الجميع بالرصاص ينهمر في اتجاه نعش حسني بلال ، وكأنما ارادوا ان يقتلوا استشهاده في سبيل الشعب والوطن ، واصابت النعش رصاصات عديدة ، غير ان احدا من الجبناء الذين طلقوه لم يقول على الظهور ، وتحولت جنازة حسني بلال الى عرس وطني ، وتحول ديد الى زنايق حمراء تزين صدور قادة الانتفاضة . كان الغضب يغلي في قلوب الجماهير ، لكن الدعوة للانتقام كانت تعني الدعوة الى الحرب الاهلية ... والعدو على الابواب ، والادارة المصرية لم يد لها وجود فعلي في القطاع .. فما العمل ؟ كانت اللجنة الوطنية العليا في حالة انعقاد مستمر في مبنى نقابة المعلمين ، وكوادر الحزب تقود المظاهرات في كل مكان ... التراجع مستحيل والتصعيد ؟ الى اين ؟ هل يمكن ان تستولي الانتفاضة على السلطة في القطاع وتعلن قيام دولة فلسطينية مستقلة ؟ سواء ليلح على العديد من الرفاق والشخصيات الوطنية ... وكان قرار الحزب هو الفصيل .. لا تراجع مهما كانت التضحيات ، فالتراجع كان يعني التنفيذ الفوري لمشروع التوطين ، والبطش بصورة لم يسبق لها مثيل بالحركة الوطنية والحزب ، والتنكيل بأبناء شعبنا دون رحمة . ولم يكن لتصعيد حلا للموقف ، فرغم سيطرة الانتفاضة على القطاع وقدرتها على تحقيق نصر نهائي على الادارة المصرية ، فان خطوة كهذه كانت تمثل دعوة مفتوحة لانسحاب القوات المصرية واحتمال احتلال اسرائيل للقطاع ، ولم تكن هناك مقومات لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ولا امكانية للدفاع عنها في حالة قيامها . كان القرار هو المحافظة على الزخم الثوري للانتفاضة والابقاء على الطابع السلمي لها والعمل على منع اراقة الدماء ولكن دون تنازل . لقد نجح الحزب في المعركة ، فالشيوعيون يعرفون دائما ما يريدون ، لكن الصلة مع الادارة المصرية تكاد تكون مقطوعة . وتقرر ان توجه اللجنة الوطنية العليا نداء آخر للادارة المصرية لبحث مطالبها ولكن دون جدوى ؟ اذا فلتستمر الانتفاضة وتبقى المظاهرات تجوب الشوارع الخالية من رجال الجيش والشرطة والمخابرات حتى مغيب الشمس .

وفي مساء تعود اللجنة الوطنية العليا للاجتماع من جديد لبحث التطورات ، وتقرر توجيه اذار نهائي للادارة المصرية لتعلن قبولها بالمطالب العادلة للجماهير حتى مساء الخميس ١٩٥٥/٣/٤ ، واتفق على التحضير لمظاهرة كبرى في مدينة غزة تشترك فيها الجماهير الفلسطينية من كل انحاء القطاع على ان تجري تلك المظاهرة صباح الجمعة ١٩٥٥/٣/٥ . وفي ساعات الليل يحاول من تبقى من رجال الادارة فرض حظر التجول على القطاع في اليوم التالي ، الا ان الصباح حمل معه هتافات المتظاهرين القادمين من مخيمات اللاجئين الى قلب المدينة ، وتفشل الادارة في فرض حظر التجول ولو لساعة واحدة . وما زالت المظاهرات تحتل كل ساحات المدينة ، وتعم كل المخيمات ، وتبدأ بعض العناصر المستقلة في التهرب من الاستمرار في قيادة الانتفاضة ، ويبقى الشيوعيون واقرب اصدقائهم في الميدان ، وسط حشود الجماهير ، وتظل



نيران الانتفاضة تتأجج رغم كل شيء حتى ساعات المساء .

وفي ظلمة الليل يتسلل الحاكم العام المصري اللواء عبدالله رفعت بصحبة قوات كبيرة الى داخل القطاع . الدبابات والمدافع والجنود الذين لم يظهروا لرد المعتدين جاءوا لمواجهة الصدور العارية لابناء المخيمات المطالبين بأبسط الحقوق وهو الحفاظ على حياتهم وهويتهم . ويتحسّن خ.ع. المشرف على مدارس اللاجئين في القطاع ، هذا الرجل المافي المطلب كحجر الماس كما يصفه معين ، يتحسّن الخطر المقبل ، فالحكومة المصرية قررت ان تفرق الانتفاضة في بحر من الدم ، حفاظا على ماء وجهها ، اذ ان المطالب العادلة لجماهير اللاجئين الفلسطينيين كانت تريق ماء الوجه ، اما ذبح العشرات والمئات من الجنود والمدنيين فلم يكن يؤثر في قلوبهم وكرامة البرجوازي الصغير النائم الجالس على كرسي الحكم هي اكثر اهمية من كل ارواح البشر ، ويتسائل خ.ع. ما العمل ؟ اليوم هو الاربعاء ، وعدا ينهي الموعد الذي حددته قيادة الانتفاضة للاستجابة لمطالبها ، والا فيسكون يوم الجمعة يوم مذبحه للشعب . لم يفكر هذا الوطني المخلص في الضغط على قيادة الانتفاضة من اجل التراجع ، بل فكر في حسر الهوة بين مطالب الانتفاضة العادلة ، وموقف الادارة المصرية المتصلب ، وتوجه الى مبنى قيادة الانتفاضة في نقابة المعلمين وشرح لهم تخوفه مما قد يجرى في الغد ، وأوضح رغبته في القيام بدور الوسيط تجنباً لسفك الدماء وكان يدرك ان القوة المسلحة المصرية التي تسللت الى القطاع ستعجز عن هزيمة الانتفاضة خاصة حين يقودها عراة الصدور واستمع الى وجهه نظر قيادة الانتفاضة التي أعلنت عن موافقتها على المفاوضة ، وبدأ الوسيط دوره الصعب بين قيادة الانتفاضة والحاكم العام الذي عاد الى القطاع تحميه الدبابات ، وجرى استعراض المطالب التي قدمتها قيادة الانتفاضة باسم الجماهير :

- (١) الغاء مشروع التوطين في سيناء فوراً .
- (٢) تدريب وتسليح المخيمات الفلسطينية لتمكين من الدفاع عن نفسها وتقوية دفاعات الحدود .
- (٣) فرض التجنيد الاجباري وتشكيل جيش وطني فلسطيني .
- (٤) محاكمة المسوءولين عن الأمر باطلاق الرصاص على المتظاهرين ومقتل الشهيد حسني بلال واطلاق النار على جنازته .
- (٥) اطلاق الحريات العامة وعلى رأسها حرية الاجتماع والتعبير والاضراب .
- (٦) عدم المساس بالمشاركين بالانتفاضة وقادتها .

وابلغ الحاكم العام الوسيط ان مشروع توطين اللاجئين في سيناء قد اصبح عبر ذي موضوع بعد ان اعلن الشعب الفلسطيني في قطاع غزة اجماعه على رفضه واعلن موافقته على المبدئية على البنود الاخرى على ان ترفع للقيادة المصرية للتصديق عليها وابدى تحفظه في بداية الامر بالنسبة للبند السادس ، غير ان خ.ع. ابلغه ان عدم الاستجابة لهذا البند تعني سعي الادارة المصرية للقيام بمذبحه لا يمكن لـ حد ان يتنبأ بنتائجها ، فاضطر الحاكم العام ان يعلن موافقته على هذا البند واقسم بشرفه العسكري على احترام هذا الوعد . وتم نقل الاتفاق الى قيادة الانتفاضة في

نقابة المعلمين والتي قبلت به رغم كل تخوفها . واعتبرت ان افشال مؤامرة التوطين في سيناء يشكل انتصاراً حاسماً للحركة الوطنية، وجرى توقيع اتفاق مكتوب بين الادارة المصرية لقطاع غزة واللجنة الوطنية العليا ، ووضعت الادارة سياراتها تحت تصرف قيادة الانتفاضة لتوزيع البيان على الجماهير، وطار خبر الانتصار بسرعة البرق ليدخل كل بيت في مخيمات قطاع غزة، وتحولت مظاهرات الغضب والتمرد والحزن على الضحايا الى فرحة وطنية عارمة، وكانت تلك هي النهاية .. وكانت تلك هي البداية ايضا . لقد تحولت دماء الشهداء الذين سقطوا اثناء الانتفاضة الى نيران احرق مشروع التوطين في سيناء الى الابد ، واضطر صانعوه ان يدفنوه في الوحل قبل ان يرى هذا الوليد المشثوم السنور ، وسقطت القيادات التقليدية في قطاع غزة بعد ان تخلت عن جماهير الشعب وقت الشدة ، وبدماء الشهداء الذين سقطوا في الانتفاضة كتبت شهادة ميلاد جديدة لهذا الشعب وسطرت شهادة للعالم ولقيادة العالم العربي ان شعبنا لا يقهر وان لهذا الشعب قضية عادلة ، وبرزت لأول مرة منذ ١٩٤٨ الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة . وكانت البداية لرحلة عيد الناصر في الاتجاه الصحيح الذي اضطر بعد ذلك بسنوات ان يعترف بأن احداث قطاع غزة كانت حرجاً الزاوية في تغيير سياسته الخارجية ولم تمض ايام قلائل حتى كانت نهاية نقابة المعلمين وبداية رحلة العذاب لقيادة الانتفاضة في اتجاه السجون المصرية بعد ان اخل الحاكم العام بقسه بشرفه العسكري ، لكن المارد لم يعد الى قممه بعد ذلك ، فقد تربى في الانتفاضة جيل يعرف معنى الوطن والنضال ، وكانت الانتفاضة في قطاع غزة هي البداية لمرحلة نهوض وطني عارم شملت كل الوطن العربي وغيّرت تاريخه .

الأهمية الاقتصادية للأغوار



لجنة الاغاثة الزراعية

تتمتع منطقة الغور بمركز متميز في القطاع الزراعي للضفة الغربية، نظرا لتوفر المصادر الطبيعية الاساسية للزراعة في تلك المنطقة ولانفرادها بظروف مناخية دافئة خلال اشهر الشتاء .
ان مساحة الاراضي الزراعية في الأغوار محدودة . ولكنها تساهم بنسبة مرتفعة في الانتاج الزراعي ويعود ذلك اساسا ، الى نسبة الاراضي المروية العالية، حيث تضم الاغوار نصف المساحة الاجمالية للاراضي المروية في الضفة الغربية .
ويصل انتاج الخضروات الى ٣٧ ٪ من اجمالي انتاج الخضار في الضفة الغربية، وتعتبر الخضار المحصول الاساسي في الاغوار وتنتج منطقة الاغوار ٣٢ ٪ من انتاج البندورة و ٧٢ ٪ من انتاج الباذنجان و ٥٠ ٪ من انتاج الكوسا و ٦٣ ٪ من انتاج الفلفل .
يعتمد مزارعو الجفتلك في معيشتهم على محصولين رئيسيين هما البندورة والباذنجان ، وتقدر مساحة الاراضي التي تزرع بهذين المحصولين في هذه المنطقة بخمسة الاف دونم التي تعادل ٤٥ ٪ من المساحة الكلية للبندورة والباذنجان في الاغوار . كما يزرعون خضروات اخرى مثل الكوسا ، الخيار ، الفلفل ، الفاصوليا والفول والتي تقدر ب ٢٥٠٠ دونم .
ويوجد في الجفتلك ٣٠ ٪ من مجموع مساحات الحمضيات في الاغوار الشمالية والوسطى ويزرعون ايضا القمح والشعير والبطيخ والموز .

وتقدر الكميات التي يستخدمها مزارعو الجفتلك للزراعة بحوالي ٧ره مليون م ٣ سنويا وتعادل نصف مياه الري في الاغوار الشمالية والوسطى ، ٣٧ مليون م ٣ تضخ من الابار الارتوازية، ٢٥ مليون متر مكعب يحصل عليها من مياه الينابيع وتقدر عدد الابار الارتوازية المرخصة في الجفتلك ب ٢٩ بئرا ، ويبلغ تعداد برك الري والتي هي ضرورية للري الحديث (الري بالتنقيط)

ستون بركة وتعادل ٨٠ ٪ من مجموع البرك الموجودة في الاغوار الشمالية والوسطى . كما يوجد في الجفتلك حوالي ٢٠ - ٢٥ ٪ من مجموع الآلات والمكينات الزراعية في الاغوار .

× ان مشاكل المزارعين في الجفتلك نابعة من المشاكل الرئيسية التي تواجهها الزراعة في المناطق المحتلة نورد منها :

(١) مشكلة التسويق : تواجه المنتجات الزراعية العربية بمنافسة شديدة من المنتجات الزراعية الاسرائيلية التي تنحرك في الاراضي المحتلة بحرية لا تقل عن حرية تحرك المستوطنين ، وهذا الوضع يجعل الحاجة ماسة الى تسويق هذه المنتجات في السوق الخارجي وتحديد السوق الاردني وسوق البلدان العربية المجاورة ولكن هذا السوق الخارجي اخذ يتقلص هو الآخر في وجه منتجات الاغوار بسبب تطور الانتاج الزراعي في منطقة الاغوار الشرقية والدعم الحكومي له ولاغراض سياسية بحثة ، وحتى حينما يكون التصدير ممكنا فان كميته لا تتجاوز نصف المحصول حسب الشروط الاردنية وينفس الوقت الذي يعتبر فيه انتاج الخضار بمثابة ميزة يندر توفرها نتيجة للمناخ الملائم في الاغوار ، فانها من الجهة الاخرى تعتبر نقطة ضعف اساسية في حالة عدم توفر الاسواق لاي سبب كان ، فقد تعرض انتاج البندورة والذي يعتبر المحصول الاساسي للزراعة في الجفتلك الى صدمة قوية في موسم ٨١ / ١٩٨٢ ، فقد كان من العادة ان يتم تصدير نصف الانتاج الى الضفة الشرقية بينما يتم تصريف النصف الباقي محليا ، وفي الموسم المذكور لم تزد كمية الانتاج المسموح بتصديره عن ٢٥ ٪ من الانتاج ، وفي موسم ٨٣ / ٨٤ الماضي تراكمت كميات الخضار وخاصة البندورة والباذنجان في الاسواق المحلية واسواق الضفة الشرقية مما ادى الى انخفاض سعرها انخفاضاً كبيراً بحيث لم يسد عائد الانتاج تكاليف التعبئة والنقل الامر الذي سبب خسائر مالية باهظة ، وترك كثير من الانتاج في الارض ، وقد تكبل المزارعون بكميالات ذات قيمة عالية لاصحاب الاراضي والكومسيون بحيث يبقون مدينين لهم لعدة سنوات قادمة .

٢- ارتفاع تكاليف الانتاج والتسويق : يدفع المزارعون اثماناً متزايدة سنوياً لمنتجات الصناعة الزراعية الاسرائيلية والتي تعتبر المستفيد الاساسي من انتاج الخضروات الغورية ، حيث تقوم بتصدير منتجاتها من ادوات رى ومواد بلاستيكية ومبيدات كيميائية الى الاسواق المحلية . وكذلك تصدير الشاحنة الواحدة من الخضروات بمائة وخمسون ديناراً كأجرة نقل ورسوم تصاريح اردنية واسرائيلية للبضاعة والسائق .

٣ - قلّة المياه وتزايد الملوحة ، وذلك بسبب حفر الابار العميقة في المستوطنات الاسرائيلية ، حيث بلغ عمقها ما بين ٣٠٠ - ٤٠٠ م بينما الابار العربية لا يتجاوز عمقها التسعين متراً ، ومنها تناقص كمية المياه بسبب هذا الفارق الكبير في عمق الابار ، كما ان عدداً كبيراً من الابار الارتوازية مع استعمالها . واخرى لم تعد صالحة للاستعمال ، ويمنع حفر البئر بعمق اكبر من الحالي ، بالاضافة لمنع حفر ابار جديدة او تصليح الابار غير المستعملة ، وباتت بعض القرى تشتري مياهها من

شركة مكوروث الاسرائيلية باسعار باهظة .

٤ - نقص الخدمات الضرورية :

تفتقد التجمعات السكانية في الجفثلك الى حدود تنظيمية ولذلك يمنع البناء بها او ترميمها وتعاني من نقص شديد ومزرى في الخدمات ، فالكهرباء لا تصل لاءى تجمع سكاني بالمنطقة . ويشترك المقعدرون ماديا من المزارعين في شراء ما تور للانارة ، لا يستطيعون تشغيله الا ساعات قلائل في الليل لارتفاع اسعار المحروقات . وينطبق الوضع كذلك على الخدمات الصحية والتعليمية حيث يضطر الاهالي للسفر ما لا يقل عن ثلاثين كيلومترا لتلقي مثل هذه الخدمات ، ومياه الشرب تؤخذ من قنوات الري التي تتسرب اليها مجارى مدينة نابلس ، ويشير تقرير اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية الى " انتشار الامراض الجلدية ، والمعدية ، والديدان الطفيليات في هذه المنطقة بشكل ملحوظ " . بالاضافة الى الحواجز العسكرية التي تمنع المواطنين في الليل من الخروج من المنطقة .

٥ - مشكلة الاستقرار السكاني والنفسى وممارسة الزراعة الموسمية بهدوء وطمانينة ، حيث تسن اوامر وقوانين عسكرية تحد من التوسع في الزراعة وتسويق المنتجات الزراعية ولا تتوقف ملاحظات السلطات للاهالي وذلك بهدم بيوتهم واخلائهم من المنطقة .

الاورامر والقوانين العسكرية

١ - قانون تحديد كميات المياه المستخرجة من الابار الارتوازية :

بدى بتطبيق هذا القانون قبل حوالي عشرة سنين ، وقد طلب من المزارعين في ذلك الوقت تركيب عدادات ماء لقياس كمية الماء التي تضخ من الابار الارتوازية ، وقد البس هذا القانون في البداية ثوبا علميا . ويتعرض المزارعون الى محكمة عسكرية وتفرض عليهم غرامات باهظة في حالة تجاوز كمية المياه المحددة لهم . ويتضرر المزارعون من هذا القانون وذلك بعدم تمكنهم من زراعة مساحات من الاراضي البكر ، والى عطش مزروعاتهم وتلفها . ويقصد من هذا القانون ايضا السيطرة على الاراضي العربية غير المستغلة وضمها للمستوطنات المجاورة .

٢ - قانون تحديد مساحات البندورة والبادنجان :

وبموجب هذا القانون لا يحق للمزارع العربي زراعة هذين المحصولين دون الحصول على

رخصة من دوائر الزراعة ويعاقب المخالف بالسجن والغرامات الباهظة وتحترق ارضه ، وبالفعل قامت دائرة الزراعة بحساب المتوسط الحسابي لمساحات هذين المحصولين لثلاث سنوات متتالية هي ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، وبعدها خصم ٢٠ ٪ . وعلى هذا الاساس اعطيت رخص باسم ملاك الاراضي في موسم ٨٣ / ٨٤ . وفي الوقت الذي لم يبيع فيه هذان المحصولان في الاسواق قامت لجنة مؤلفة من موظفي دوائر الزراعة بقياس مساحات البندورة والبادنجان وحررت للمزارعين المخالفين للقانون انذارات تهددهم باتخاذ الاجراءات اللازمة بحقهم في حالة تكرار الزراعة بدون رخصة او زراعة مساحة اكبر من المقرر لهم في الرخصة .

وقد فسر هذا القانون في البداية من قبل المسؤولين المختصين بالشؤون الزراعية في بين ايل بأنه تخطيط زراعي منظم يوازن بين العرض والطلب في الاسواق وينصف المزارعين الصغار ، ولكن النتائج جاءت عكسية تماما وفشل ما يسمى " بالتخطيط الزراعي " لاجلاق الاسواق الاسرائيلية امام الانتاج العربي ، وفتح الاسواق العربية امام الانتاج الاسرائيلي .

وقد كانت المساحات المزروعة بالبندورة والبادنجان في الاغوار هي ١٣ الف دونم و ٨ الف دونم على التوالي . وذلك قبل تطبيق القانون المذكور ، وفي الموسم الاول لقانون التحديد ٨٣ / ٨٤ تقلصت المساحة الى ٩٣٠٠ دونم بندورة و ٥٠٠٠ دونم بادنجان ، وفي الموسم الحالي ٨٤ / ٨٥ تقلصت حتى ٧٥٠٠ دونم بندورة و ٤٠٠٠ (اربعة الاف) دونم بادنجان ، حيث خص ايضا ٢٠ ٪ من مساحات محصولي الموسم الحالي ايضا ويستوجب مرور اربعين سنة فقط لكي يُقضى بهذه الطريقة على هذين المحصولين الرئيسيين في الاغوار . ويهدد ذلك مصالح الاف المزارعين بفقدهم مصدر رزقهم ومصادرة اراضي الملاكين العرب وتهجيرهم من الاغوار .

٣ - امر ابعاد الاراضي الزراعية عن الشوارع الرئيسية والفرعية بما لا يقل عن مئة متر :
ان تطبيق هذا الامر سيكون طريقة مباشرة في قتل الزراعة العربية في الاغوار وذلك لمحاولة الاراضي الزراعية لهذه الشوارع ، كما تحاذي الاراضي المستغلة من قبل المستوطنات لنفس الشوارع فهل سيطبق هذا القانون على الاراضي العربية دون الاراضي المصادرة من قبل المستوطنات ؟

٤ - امر تحديد ساعات تواجد المزارع في مزارعهم شرق شارع ايلات - بيسان من الساعة السادسة صباحا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكما يمنع بناء اية عريشة تقي من الحر الشديد في الصيف والمطر في الشتاء ، ويعمل في هذه الاراضي ما لا يقل عن مائة عائلة ، وتعود لملاكين من القدس ونابلس وهي محاذية للاراضي التي تزرع من قبل مستوطنة مسواة بالنخيل والنف والبطيخ والخضروات وغيرها ، ولذلك فهي معرضة للمصادرة قبل غيرها من الاراضي العربية .

٥ - قرار منع تسويق منتجات الضفة الغربية بما فيها منطقة الاغوار الى الاسواق الاسرائيلية والسوق القدس العربية والسماح للمنتجات الاسرائيلية بدخول الاسواق العربية . وتسوق المنتوجات

الزراعية الى قطاع غزة بتصاريح من دائرة الزراعة . وتصدر اوامر يستمر مفعولها لمدة معينة كمنع التصدير الى اسواق الضفة الغربية من الاغوار في بعض ايام الاسبوع . ومنع تسويق الحمضيات بكمية تقل عن ٢٠ ر . طن .

مزارعو الجفتلك وقضية هدم البيوت

نبذة قصيرة عن سكان الجفتلك

يعتمد سكان الجفتلك على الزراعة ، حيث تعتبر الارض هي المصدر الوحيد للرزق . ويبلغ عدد سكان الجفتلك حوالي ألفي نسمة يعتمدون جميعا على الزراعة ويمضون كل اوقاتهم في العمل في المزارع حيث يشترك في العمل كافة افراد الاسرة القادرين على ذلك . ويتعلم اطفال المزارعين في مدرسة وكالة الغوث ، ويبلغ عدد تلاميذها ٦٠٠ تلميذ وتلميذة . ويقضي المزارعون حوائجهم الضرورية من مدينة نابلس واريحا اللتان تبعدان ثلاثون كيلومترا عن الجفتلك .

يعيش ملاكوا الاراضي الكبار في نابلس والقدس، والقليل منهم يعيشون في الجفتلك ، اما المزارعون فيعيشون في المنطقة منذ سنة ١٩٤٨ ويقدرّون الان بنصف عدد المزارعين ، ويسكن النصف الاخر في المنطقة بعد سنة ١٩٦٧ وهم من طمون وطوباس ، قدموا الى الجفتلك بعد صادرة حوالي عشرة الاف دونم من الاراضي الغنية زراعيا تعود ملكيتها لسكان طمون وطوباس وبالرغم من ابرارهم وثائق الملكية التي جلبوها من تركيا وبريطانيا .

ويسكن مزارعو الجفتلك في بيوت طينية واخرى من الخشب والزينكو ، وتعيش الان العائلات التي هدمت بيوتهم في اكواخ من البراميل واكياس الخيش والبلاستيك وغيرها والتي يسمونها "بالخبوشة" واخرين التجأوا الى بركسات الدجاج الغير صالحة حتى لتربية الدواجن . ويعيش المزارعون في خمسة تجمعات سكنية وبامتداد طولي يصل الى خمسة كيلومترات وعرض كيلومتر . واحد وذلك للوصول الى المزارع بأسرع وقت ممكن مشيا على الاقدام .

وبالاضافة للزراعة يعتمد القليل من العائلات التي سكنت المنطقة من بئر السبع منذ ١٩٤٨ على تربية المواشي ، وقد تضررت من جراء طردهم من المناطق التي يوجد بها ماء ، وتحجز مواشيهم في "الكارتينا" عدد من المرات لحين دفع الغرامات الباهظة بحجة تجاوز المنطقة المسموح فيها بالرعي .

ادعاءات السلطات الاسرائيلية بهدم البيوت

(١) اعتبار الاراضي التي اقيمت عليها البيوت منطقة عسكرية مغلقة ومحظورة امنياً :

ان هذه الحجة هي عارية عن الصحة فالسكان يمنعون منذ ١٩٨٠ من التواجد شرق شارع ايلات - بيسان اى " المنطقة الزراعية المحظورة للسكن " ، وقد سكنوا في ارض قرية قراوة الفوقا منذ ١٩٨٠ بعلم كامل وبموافقة ورغبة وبأمر الحكم العسكرى . وربما يقصد من الادعاء ان المنطقة عسكرية مغلقة " للعرب ومفتوحة للزراعة من قبل المستوطنين .

٢ - الاراضي التي اقيمت عليها البراكيات هي ارض حكومية :

اقيمت البراكيات التي هدمت على اراضى مشاع ، سجلت باسم قرية قراوة الفوقا وعلى اراضى اخرى مسجلة باسم ملاكين من نالسى مثل شاهر الفياض وتوجد وثائق بها مسجلة في سنة ١٩٢٧ عند الحكم العثماني .

لذا فهذه الحجة واهية ، لآن المقصود من هدم البيوت هو ترحيل المزارعين ، ولا فرق للسلطات الاسرائيلية ان اقيمت البراكيات والخشابييات على اراضى " حكومية " او اراضى الملاكين العرب عند الهدم . كما ان معظم بيوت القرى المحاورة هي مقامة على اراضى مشاع او " حكومية " كما يحلو للسلطات تسميتها فهل بدأ مخطط هدم البيوت وطرد السكان العرب من الجفتلك وسيتم في القرى العربية الاخرى في الاعوار ؟ ١ .

٣ - بناء المزارعين للبيوت دون حصولهم على رخصة :

تمنع السلطات الاسرائيلية المزارعين من البناء ، ولم يحدث في السابق ان حصل احد السكان على رخصة من مجلس التنظيم الاعلى بالرغم من المطالبة المتكررة لذلك وقد هدمت براكيات لمزارعين يقيمون في المنطقة منذ ما لا يقل عن عشرة سنين ، كما هدمت بيوت طينيين اخرى بنيت قبل عام ١٩٦٧ .

٤ - اعتبار المزارعين عبارة عن عمال زراعيين يمكنهم الاقامة في مناطقهم الاصلية اثناء الليل والعودة للعمل في المزارع اثناء النهار .

ظهرت هذه الحجة الحديثة في اذارات الهدم التي وزع فوج منها في ١٢/١٢/١٩٨٤ ، وهي تبصر صراحة ، ولاول مرة بشكل تباليغ مكتوبة ، عن نية الاحتلال بطرد السكان وهدم بيوتهم . وهذا ما خباؤه لبعض الوقت بحجج " قانونية " . كما سلمت لبعض المزارعين تباليغ تطلب بصراحة

تامة اخلاء الاراضي التي اقيمت عليها البيوت وحتى الاراضي الزراعية، حيث اعتبرت جميعها اراض حكومية وهذه سابقة خطيرة من اجل مصادرة الاراضي العربية .

يقتسم مالكو الاراضي مع المزارعين تكاليف الزراعة ونتاج المحاصيل الزراعية عن طريق المناصفة ويبدل المزارع مجهوداً فصيلاً مقابل الارض والماء التي يقدمها مالك الارض ، ويسمر العمل من شهر ايلول وينتهي الموسم الزراعي للخضروات في منتصف ايار . لذلك فالمزارع في هذه الحالة لا يعتبر عاملاً زراعياً يتقاضى اجرا يوميا او شهريا وإنما مشارك كامل مع المالك يقضي طيلة نهاره مع أسرته في المزرعة .

ويعتمد المزارع اثناء الموسم في مصروفه اليومي على السلف من الملاك والحسنة وهو مكل منذ السنة السابقة بكمبيالات لهما . فكيف يستطيع هذا الفلاح سد مصاريف المواصلات والتي تقصر على وسيلة نقل باص موديل عام ٥٤ يخرج في الرابعة صباحا من نابلس ويعود إليها في النائية عشرة ظهرا ولو استطاع جدلا المزارع من الناحية المادية ذلك وتوفرت وسيلة النقل فان مزرعته تتعرض الى العطش والتلف لاسباب كثيرة، كما ان طبيعة زراعة الخضروات تتطلب من المزارع عناية في الصباح الباكر والمساء كرى المزروعات ورشها بالمبيدات الكيماوية والتأخر عن القيام بذلك بسبب تعطل وسيلة النقل او منع تجول في جنتين او نابلس وارجاع المزارع عند المحسوم وغيرها يعرض تعب الموسم الى الضياع . بالاضافة لما ذكر فاولاد المزارعين ينتسبون الى مدرسة وكالة الثوث في الجفتلك وهم لا يستطيعون مغادرة المنطقة الا في العطلة الصيفية .

يطلب من المزارعين العودة الى القرى الاصلية، فهل تعيد السلطات الاسرائيلية الالف الدونمات التي صودرت من مزارعي طمون وطوباس في سنة ١٩٦٧ مثل منطقة البرزة في طوباس والبقاعة في طمون، والتي تحولوا بعدها الى " عمال زراعيين " في الجفتلك . وهل تسمح هذه السلطات بعودة مزارعي عجور وبئر السبع وغيرها الى ، قراهم الاصلية" والتي طردوا منها سنة ١٩٤٨ .

ج- عملية هدم البيوت في الجفتلك :

يرجع تاريخ الهدم في الجفتلك الى سنة ١٩٦٧ حيث هدم مخيم العجاجة الذي سكنه اهالي عجور قضاء الخليل - واقامت بدلا منه مستوطنة مسواد ومعسكر جيش، كما هدمت تجمعات سكانية اخرى مثل المخروق وطرود الاف من السكان الى الضفة الشرقية، وبعدها هدمت جميع البيوت الطبيعية " الزائدة" التي هجر اصحابها منها والتي وقعت ضمن التجمعات السكانية الحالية .

في سنة ١٩٨٠ قامت السلطات العسكرية بارغام مزارعي طمون وطوباس بهدم براكياتهم في المنطقة التي تقع شرق شارع بيسان - ايلات ويروي الناس عن عملية تعذيب الجنود لاحد الشباب الذي احتج على ذلك وادى الى موته ، وتم ذلك بأمر من حاكم عسكري اريحا .

وقد سمح احد كبار الضباط في الحكم العسكري الكولونيل هراري - مستشار ومنسق الشاغلان في الضفة الغربية لهؤلاء المزارعين باعادة بناء براكياتهم في منطقة "البيادر" والتي هدم بيوتهم عليها بعد ذلك .

وفي صيف سنة ١٩٨٣ قام حاكم عسكري اريحا باستدعاء الملاكين والمزارعين في الجفتلك ، وهدد مزارعي طمون وطوباس بالطرد من المنطقة وذلك بحجة تأخرهم في المزارع التي تقع شرق شارع بيسان - ايلات وبنائهم العرائش التي تقبهم حرارة الشمس ، وكذلك لعدم تليبيتهم لاستدعاء في المرة الاولى .

بعد ذلك قام بعض المسؤولين الاسرائيليين بوضع علامة x على عدد من البيوت المهددة بالهدم وقام الملاكون والمزارعون بالطلب من مكتب المحامي عزيز شحادة بالدفاع عنهم ، وقد حصل المحامي المذكور على كتاب في شهر اذار ١٩٨٤ من المستشار القانوني بوعدهم عدم هدم البيوت في فصل الشتاء القادم . ويطلب الحصول على رخصة لهذه البيوت ، وتوجه اصحاب البيوت الى مجلس التنظيم الاعلى فرفضت طلباتهم جميعا ولم يعر المزارعون التهديدات بالهدم الاهتمام الكافي . وربما لان معظمهم لا يملكون النقود لتوكيل المحامين . كما ان بعض الملاكين لا يرغبون بدفع اتعاب المحاماه ، لذا قام كبار الملاكين بمصاحبة مسؤولين كبار في الحكم العسكري "لفحص المنطقة" ودار الحديث عن تعيين تجمع ثابت ومناسب للمزارعين .

وفي مؤتمر التنمية والصمود ، والذي عقد في ايار عام ١٩٨٤ عن الوضع الاقتصادي في الاغوار جرى التحذير من سياسة الاحتلال بطرد سكان طمون وطوباس من المنطقة واقترح تشكيل لجنة محامين للدفاع عنهم ، وقد حضر المؤتمر عدد من ملاكي الاغوار .

وفي شهر تشرين اول وزعت نشرات التباليغ على المزارعين ، وطلب من الكثير منهم التوجه الى المجلس الاعلى للحصول على مثل هذه التباليغ وذلك لعدم معرفة اسمائهم . وحصل احد الملاكين المقربين من "النظام الاردني على وعد من مركز قيادة عليا" بعدم هدم البيوت وقد ادى ذلك الى تأخير متابعة القضية عن طريق مكتب رجا شحادة والمحامي اليهودي الكسندر راماتي المستشار القانوني السابق ، وساد اطمئنان عند الملاكين الكبار بعدم اتفاق نقود اضافية للمحامين والمزارعون بعدم هدم بيوتهم ، وبلغ المزارعون في ٣١ / ١٠ / ١٩٨٤ بالتجمع في منطقة ابو العجاج وذلك لمقابلة حاكم عسكري اريحا في اليوم التالي واستبشر البعض خيرا . وفي ١ / ١١ / ١٩٨٤ قدم الحاكم العسكري مع جرافة واعداد كبيرة من الجيش وسيارة اسعاف وقام باعطاء المزارعين ساعة واحد ، وذلك لاجراء الاغراض الضرورية من البراكيات ، وهدمت ٣٣ براكية واستمرت عملية الهدم من الساعة التاسعة حتى الواحدة بعد الظهر ، وهدد الحاكم العسكري المزارعين بهدم البراكيات المتبقية بعد اسبوع وعلى نفقة المزارعين الخاصة في حالة عدم هدمها بأيديهم .

بالمملكة الاردنية الهاشمية ، ولم يبق امامهم سوى ما يقارب الربع مليون لاجيء في قطاع غزة ، يغذيهم تطلعهم للعودة الى ديارهم في خلق المشكلات امام مخططات الامبريالية للمنطقة ، وكان توطين هؤلاء اللاجئين بعيدا عن وطنهم يمثل الحل النموذجي للامبريالية ، بل وكان يمثل حلا افضل مما تحقق باقامة المملكة الاردنية الهاشمية ذات النظام الرجعي العميل . وبدأت اعتبارا من عام ١٩٥٣ مباحثات جادة بين الولايات المتحدة والحكومة المصرية ومندوبي وكالة الغوث التي كان الامريكيون وعملاء المخابرات المركزية الامريكية يسيطرون على معظم المراكز العليا فيها ، وتم طرح مشروع مفصل لتوطين لاجئي قطاع غزة في قسم من صحراء سيناء . ورغم ان تفاصيل المشروع ظلت في طي الكتمان في ذلك الوقت ، الا ان الادارة المصرية بقطاع غزة بدأت في الاهتمام اراء بعض القوى حول هذا المشروع ، وتحول هذا الاهتمام تدريجيا الى تهديد ووعيد للقوى الوطنية وخاصة الشيوعيين في قطاع غزة ، وكان رجال المخابرات المصرية يرددون امام الشيوعيين جملة واحدة " ان لم تقبلوا بالذهاب الى سيناء بالشاحنات المصرية فسوف تذهبون اليها مشيا على اقدامكم " .

ورغم الضربات المتتالية التي وجهت لعصبة التحرر الوطني الفلسطيني في قطاع غزة ، الا ان العصبة تمكنت في كل مرة من تجاوز آثار تلك الضربات ، والعودة من جديد لقيادة جماهير الشعب في المخيمات والقرى والمدن ، فقد كانت اكثر القوى قدرة على تحسن مشاعر الجماهير ومشاكلها وكان رفاقها يشكلون القدوة والطليعة في كل نضال وطني رغم استمرار الملاحقة واعتقال ومحاكمة العديد من اعضائها ، وتقرر في سنة ١٩٥٣ تحويل فرع عصبة التحرر الوطني الفلسطيني في قطاع غزة الى الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة بعد ان حلت العصبة بحكم الواقع الجديد والفاصل الجغرافية بين فروعها . وفي مؤتمره الاول وضع الحزب قضية التحرر الوطني والعمل على افشال كافة المؤامرات التصفية في مقدمة اهدافه ونضالاته ، وادرك الحزب سريعا ان هناك مؤامرة تحاك لاعادة توطين اللاجئين واغلاق ملف القضية الفلسطينية ، وادرك كذلك ان استمرار الحالة المزرية لمخيمات اللاجئين تشكل الدور الذي تقرر ان تمارسه وكالة الغوث للضغط على اللاجئين في قطاع غزة من اجل القبول بمشروع التوطين . وتبنى الحزب قضية فضح المؤامرة في ادبياته ونشاطات اعضائه ، ونشط الحزب في جمع آلاف التواقيع على عريضة تعلن رفض الموقعين عليها لأي مشروع يستهدف اسقاط القضية الفلسطينية وتوطين اللاجئين في غير وطنهم ، وكانت تلك العريضة تمثل اول تحد علني للادارة العسكرية المصرية في قطاع غزة . وجرت مطاردة واسعة للشيوعيين ، ترافقها حملة اوسع لاجبار الموقعين على سحب توقيعاتهم ، الا ان جهود الادارة المصرية ذهبت هباء .

وفي ٢٩ / ٨ / ١٩٥٣ ، قامت القوات الاسرائيلية بغارة وحشية على مخيم البريج للاجئين دون اي مبرر ، وكانت حصيلة العدوان ستة وعشرين قتيلا ذبحوا ذبحا وهم نيام الى جانب عشرات الجرحى ، وهبت جماهير المعسكرات الوسطى (مخيمات البريج والنصيرات والمغازي ودير البلح) في مظاهرة عفوية ضخمة ، وتبنى الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة هذا الانتفاضة ، وبدأ

أعضائه يقودون المظاهرات الصاخبة العنيفة، احتجاجاً على العدوان، ورفع الحزب لأول مرة مطالبة بتسليح المخيمات حتى تتمكن من الدفاع عن نفسها وتقوية دفاعات الحدود، كما طلب أيضاً برفض أي مشروع لتوطين اللاجئين خارج الأرض الفلسطينية واعتبر الحزب أن الغارة الإسرائيلية على مخيم البريج هي جزء من مؤامرة تستهدف النيل من صمود اللاجئين في المخيمات وإجبارهم على القبول بمشروع التوطين، وحدد الحزب بعد ذلك من أن الاعتداءات قد تتكرر مرات عديدة ودعى الجماهير إلى التسليح باليقظة تجاه المؤامرة التي تدبر لها. ورغم أن المظاهرات لم تستمر طويلاً، إلا أنها أجبرت الإدارة المصرية على تشكيل أول كتيبة فلسطينية، غير أن هذه كتيبة أبعد إلى رفع بعيداً عن مناطق خطوط الهدنة.

ومع نهاية ١٩٥٤ أصبح واضحاً للحزب أن الاتفاق قد تم بين الحكومة المصرية وحكومة الولايات المتحدة على تنفيذ الجزء الخاص بقطاع غزة من مشروع جونسون، وبدأ الحزب يعد العدة للقيام بانتفاضة عارمة لافشال هذا الاتفاق، وفي منتصف فبراير ١٩٥٥ تمكنت س.س. صديقة الحزب الوفية أن تحصل من مكاتب وكالة العوثر في غزة على صورة من الاتفاق والتقارير المرفقة به، وسرعان ما أدركت بحسبها الوطني أن الوثيقة والمشروع الذي تحمله تشكل أكبر خطر على قضية شعبنا منذ كارثة النزوح وأدركت كذلك أن الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة هو القوة الوحيدة التي تولي أهمية بالغة لهذا الأمر، ولم تتردد لحظة في تسليم الوثيقة والتقارير للرفيق معين بيسو. الأمن العام للحزب في ذلك الوقت. وفي اليوم نفسه دُعيت اللجنة المركزية للحزب لاجتماع عاجل، وتم عرض الوثيقة عليها، واتخذت اللجنة المركزية قرارها بطبع الوثيقة وتوزيعها على الشخصيات الوطنية في القطاع مع إيضاح موقف الحزب من هذه المؤامرة، وصدر القرار كذلك بالأعداد الفورية للانتفاضة. ويذكر معين في كتابه دفاتر فلسطينية "ورغم اعتراف المهندسين باستحالة الحياة في تلك المنطقة من جهنم في صحراء سيناء لقلة المياه والتكاليف الباهظة لاستصلاح الرمال، ورغم ما كتبه الأطباء عن الأمراض التي سداهم اللاجئين والتي تستهدف حياتهم وبالذات حياة الأطفال حيث لا تستطيع عيونهم ولا رئاتهم تحمل ذلك الهواء المثل بالتراب، إلا أن التقرير حمل موافقة الخبراء على المضي في تنفيذ المشروع، ولكنهم اقترحوا أن تتم التجربة على عشرين ألف لاجئ، يدرس الخبراء بعدها على الطبيعة إرسال الدفقات الأخرى من اللاجئين، هكذا.. كان براد لاساء شعبنا أن يتحولوا إلى فئران تجارب. لكن المؤامرة لم تمر، ففي ١٩٥٥/٢/٢١ أصدر الحزب أول منشور جماهيري له، وكان المنشور يحمل نص الوثيقة ورأي الحزب في مشروع التوطين، ويدعو الجماهير إلى اليقظة والاستعداد لمواجهة المؤامرة، وحذر الحزب في منشوره كذلك من احتمال قيام إسرائيل بغارات جديدة تكون أكثر عنفاً من مذبحة البريج، وتستهدف توجيه ضغط نهائي على جماهير اللاجئين للموافقة على مشروع التوطين، وكان الحزب بالتعاون مع الشخصيات والقوى الوطنية قد شكل لجناً وطنياً في المخيمات والقرى والمدن، ونشطت هذه اللجان في التحضير للانتفاضة القادمة، وكانت اللجان الوطنية في المدارس الثانوية تشكل الطليعة الصدامية للحزب.

كان الحزب منذ قيامه قد أولى مسألة اقامة المنظمات الجماهيرية والنقابية اهمية بالغة ، وتمكن من تحويل المدارس الى بؤر للاشعاع الثوري ، وحقق انتصاره الاول في اواخر ١٩٥٤ بانتزاع موافقة السلطة على تشكيل نقابة لمعلمي مدارس اللاجئين ، وقُدِّر لهذه النقابة ان تلعب دورا هاما في الانتفاضة القادمة . وحين جرى انتخاب مجلس النقابة تم انتخاب معين بيسو القائد الشيوعي رئيسا لها ، وفتحي البلعاوي ، احد كبار قادة الاخوان المسلمون نائبا للرئيس ، ورغم ان اغلبية اعضاء مجلس النقابة كانوا ينتمون الى جماعة الاخوان المسلمين ، الا ان الحزب تمكن من تحويل النقابة الى مركز للنشاطات الوطنية والثورية ، وجرى تنظيم الندوات والمحاضرات التي شاركت فيها العناصر الوطنية والتقدمية ، وكانت قضية شعبنا هي المحور الوحيد لكل نشاطات النقابة ، واذكت هذه النشاطات روح العمل الوطني في صفوف المثقفين ، وتحولت النقابة الى مركز استقطاب للعناصر والقوى الوطنية والتقدمية التي اسهمت في التحضير للانتفاضة .

وبدا التمليل واضحا في ازمة مخيمات اللاجئين وكان الوضع ينتظر الشرارة لينفجر . فقد كانت قناعة الجماهير بوجود المؤامرة ، واستمرار الاوضاع المزرية اللانسانية التي يعيشها اللاجئون في المخيمات ، ومحاولات الاذلال المستمرة تارة على يد الادارة المصرية وتارة على يد وكالة الغوث التي عاملت اللاجئين كأنما هم متسولون او لصوص ، واستمرار الهجمات الاسرائيلية على المخيمات حيث يذبح الناس بلا رحمة ، وتردى الاوضاع الاقتصادية في القطاع بشكل عام ، تشكل قاعدة للانتفاضة القادمة للجماهير . فلم يكن بمستطاع اى قوة ان تقهر شعب ثورة ١٩٣٦ والذي تحمل ببطولة ليس لها مثل اطول اضراب في التاريخ . وعمل الحزب الشيوعي ليل نهار ، لم تكن آلة الزونيو التي اهداها الحزب الشيوعي المصري اليه تكف عن العمل ، فالمنشور يليه المنشور ، وتلقت ايدي الجماهير هذه المنشورات ووضعتها على القلب وفي القلب . كان كل شيء جاهزا للانتفاضة ، ولكن متى ؟ وتدرس اللجنة المركزية للحزب مسألة التوقيت ، لكن الشرارة تأتي من خلف الاسلاك الشائكة التي تحدد خط الهدنة ففي مساء ٢٨ / ٢ / ١٩٥٥ قامت القوات الاسرائيلية بالتسلل الى معسكر لجنود سلاح الحدود قرب محطة السكة الحديدية في غزة ، وقتلت سبعة عشر جنديا فاجأتهم وهم نيام ، وذبحوا ذبحا ، وفي نفس اللحظة كانت قوة اخرى تهاجم البوليس الحربي على طريق غزة - رفح ، وتمكنت من احتلالها بعد ان تغلبت بسهولة على الجنود الخمسة الذين كانوا يرباطون فيها واستخدمت القوة الاسرائيلية الهاتف الميداني لنقطة البوليس الحربي لاستدعاء نجدة من الكتيبة الفلسطينية في رفح ، وقبل ان تصل القوة كانت الكمان في انتظارها ، واستشهد ٥٦ مقاتلا فلسطينيا .

وفي الصباح تحول خبر المذبحة الى الشرارة المنتظرة ، وكانت البداية حمالا من كان مبكرا جدا ، وغدا سيكون متأخرا جدا ... اما الان فلا بد ان تبدأ الانتفاضة - ابلغ الحزب اللجنة الوطنية للطلبة في مدرسة فلسطين الثانوية بقرار الانتفاضة والتظاهر المفتوح ، وانطلقت اول موجة للانتفاضة من مدرسة فلسطين الثانوية لتبلغ اللجنة الوطنية للطلبة في كل من كلية غزة ومركز التدريب المهني بقرار الحزب . ويتلاحم الطلاب في مظاهرة عارمة ، وهتفت المظاهرة بالشعارات

التي أقرتها اللجنة المركزية للحزب : لا توطين ولا اسكان يا عملاء الامريك
وضمت المظاهرة الى صفوفها كل من صادفها في الطريق من عمال وفلاحين وطلاب ومعلمين
وتجار وباعة متجولين وغيرهم ، وتحولت مظاهرة الطلاب الى مظاهرة جماهيرية يشارك فيها الآلاف
كثفا الى كثف ، وظلت المظاهرة تهتف بصوت واحد ، اقوى من الرعد :
لا توطين ولا اسكان يا عملاء الامريك

سارت المظاهرة بطول شارع عمر المختار من مدرسة فلسطين حتى مستشفى تل الزهور مروراً بـ
الحكومة ومقر الحاكم العام ، وكان في انتظاها هناك اعضاء قيادة الحزب وكوادره الذين تقرر ان
يشاركوا في قيادة الانتفاضة . صار الحزب بمثابة القلب للجماهير ، وارتفع قادته فوق الاعناق ،
وكانت بداية الملحمة البطولية التي استمرت لايام ثلاثة غيرت وجه التاريخ في المنطقة العربية
بأسرها . وتحولت ساحة التاكسيات في غزة الى بحر هادر من البشر تتجه اعينهم واذانهم الى
القادة الشيوعيين ، ولم تكن هناك قوة تقدر على وقف هذا الزلزال . وطرح الشيوعيون شعارات
الانتفاضة ... اسقاط مؤامرة التوطين .. تسليح الجماهير في المخيمات للدفاع عن نفسها ..
فرض التجنيد الاجباري واقامة جيش وطني فلسطيني .. اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير ..
تحسين الاوضاع في المخيمات والقرى والمدن في قطاع غزة .. العمل بجدية من اجل تحرير
الوطن . وسلمت الجماهير بقيادة الحزب للانتفاضة ، كان الحزب يحظى باحترام كل ابناء الشعب ،
فقد آمن الشعب بصحة الخط السياسي للحزب وبصدق في تبني الكفاح الوطني . وكان الشيوعيون
في المقدمة دائماً - هكذا كانوا في الانتفاضة كما كانوا في كل عمل ، وتحمل الحزب دون غيره كل
التضحيات البطولية خلال الكفاح الوطني واستحق بجدارة احترام جماهير الشعب وجبها .

وفي خضم الانتفاضة اتخذت الجماهير قرارها بتشكيل لجنة وطنية عليا للانتفاضة بقيادة
الشيوعيين ، وانتخب معين بسيسو قائدا لهذه اللجنة وتقرر ان تصبح نقابة المعلمين المقابلة لـ
الحكومة مقراً لها وطلّغت اللجنة مطالب الجماهير كما حددها الحزب ، وتقرر ان تتجه المظاهرة الى
سراى الحكومة حيث مقر الحاكم العام وان تتقدم باسم جماهير الشعب الفلسطيني في قطاع غزة
بمطالبها ، وعادت المظاهرة في اتجاه الغرب يتقدمها معين ورفاقه ، وظلت شعارات الحزب ..
شعارات الشعب ندوى في الافاق ، ترتلزل الارض تحت اقدام عملاء المباحث والمخابرات الذين
حاولوا حرف الانتفاضة عن اهدافها ، وتفشل مساعيها ، وقررت السلطة ان تواجه الحناجر بالرصاص
وعلى بعد اقل من نصف كيلومتر من سراى الحكومة وقتت قوات سلاح الحدود والشرطة والمباحث
والمخابرات وجنود الجيش المصري وبعض جنود الكتيبة الفلسطينية الذين جلبوا من مواقعهم في
انتظار المظاهرة . كانت الاوامر ثقفي بقتل قادة المظاهرة قبل تفريقها ، وحين وقتت القوة في
مواجهة الجماهير نكس جنود الكتيبة الفلسطينية اسلحتهم ، ورفضوا الانصياع للامر باطلاق
الرصاص ، كذلك فعل رجال سلاح الحدود هؤلاء السودانيون الطيبون .. واطلق الجزء الاكبر من
رجال الشرطة الفلسطينيين كل رصاصهم في الهواء ، ولم يبق في وجه المظاهرة سوى بعض عملاء

المباحث والمخابرات ونفر قليل من رجال الشرطة، وصوب ادهم بندقيته في اتجاه معين الذي ظل على رأس المظاهرة، واطلق كل رصاصاته دفعة واحدة لينفذ امر اسياده واولياء نعمته، لكن يد الشعب كانت اسرع من الرصاص المحمل بالحق على الجماهير، وسقط حسني بلال^٢ فداء لمعين، وكان اول شهيد شيوعي في تاريخ الحزب الوليد، وكان من المقرر ان تنفض التظاهرة بعد ان سال الدم الفلسطيني الطاهر على الارض الفلسطينية بيد فلسطينية ما العمل ؟

كان التراجع يعني الخنوع والى الابد ... وكان التقدم يعني المزيد من الدم .. ولم لا ؟ وليكن دما شيوعيا ايضا، هكذا كان القرار، وفي لحظة هب معين ممزقا قميصه وفتاح صدره للرصاص وعاد يهتف من جديد ويغني للدم المسفوح .. دم دم .. سال الدم دم دم عاش الدم . والتأمت المظاهرة من جديد ، لكنها صارت اكثر صلابة، فقد تمدت بالدم ، وفرّ الجنود امام الجماهير تاركين سياراتهم واسلحتهم طعاما للنيران، واصبح الطريق الى سراى الحكومة مفتوحا ، لم تكن هناك قوة تكفي لحماية رجال الادارة العسكرية المصرية، ولم يجد الحاكم العام ورجاله بدا من الفرار الى العريش ، تاركين سُد حمزة مدير المباحث وحاكم مدينة غزة ليتدبر الامر . وكان الحاكم العام قبل فراره قد قام باستدعاء عدد من الوجهاء الرجعيين ورجال الدين وكبار الموظفين ، وطلب منهم العمل على تهدئة الوضع ، وحين وصلت المظاهرة الى سراى الحكومة حاول احد رجال الدين ان يحول مسار المظاهرة وعلمت قيادة اللجنة الوطنية العليا بما كان من فرار الحاكم العام ويطانته ، فقدمت مطالبها الى سُد حمزة ليُنْوَلَى نقلها الى رؤسائه الفارين وتقرر الاستمرار بالتظاهر حتى تلبى مطالبهم ، واتجهت المظاهرة الى حي الشجاعة حي الفلاحين الاوفياء للارض .. وعلى الطريق بالقرب من الشجاعة ، كانت قوة من الجيش المصرى في انتظار المظاهرة، ولكن رغم استخدامها لسلحها عجزت عن صد الجماهير التي كان يقودها ذلك العارى الصدر، وتلاحمت جموع الشعب في اكبر مظاهرة عرفها تاريخ غزة، واختفى كل رجال السلطة من الشوارع والأزقة، وفرض الشعب على الحكومة نظام منع التجول، واستمرت المظاهرات حتى مغيب الشمس، وانقضت على موعد للقاء جديد في صباح اليوم التالي . وفي ساعات المساء اجتمعت اللجنة الوطنية العليا لبحث الوضع وتقرر الاستمرار في التظاهر حتى تتحقق كافة المطالب العادلة للجماهير . وقررت اللجنة المركزية للحزب ان تشمل المظاهرات كافة انحاء القطاع واصدرت توجيهاتها للجان الوطنية في المخيمات والقرى والمدن والاعداد لليوم التالي، ودارت آلة الرونيو من جديد لتحمل للناس اول احبار الانتفاضة .

وفي صباح اليوم الثاني من مارس اعلنت اذاعة لندن أن الشيوعيين قد باتوا يسيطرون على كل الشريط الساحلي في قطاع غزة، كان واضحا للجميع ان اذاعة الخبر بهذا الشكل يستهدف تحريض الحكومة المصرية واسرائيل من اجل التدخل الفوري لقمع الانتفاضة، وكانت ساعات الليل قد شهدت تسلسل عناصر من القوات المصرية وتمركزها في مواقع موهبة جيدا في مختلف انحاء مدينة غزة، لكن الخوف كان يسيطر على قلوب الجنود مما سمعه عما حدث في اليوم السابق .



ومع فجر ٢ مارس اجتاحت المظاهرات كل انحاء القطاع ، تهتف كلها نفس الهتافات ، وترفع الشعارات نفسها ، جابت المظاهرات الصاخبة مدينة غزة بطولها وعرضها دون ان يعترضها احد ، وتقرر ان تشترك المظاهرة كلها في تشييع جثمان الشهيد حسني بلال ، وما ان اقتربت الجنازة من مستشفى تل الزهور حتى فوجيء الجميع بالرصاص ينهمر في اتجاه نعش حسني بلال ، وكأنما ارادوا ان يقتلوا استشهادا في سبيل الشعب والوطن ، واصابت النعش رصاصات عديدة ، غير ان احدا من الجبناء الذين طلقوه لم يقو على الظهور ، وتحولت جنازة حسني بلال الى عرس وطني ، وتحول دم الى زنايق حمراء تزين صدور قادة الانتفاضة . كان الغضب يغلي في قلوب الجماهير ، لكن الدعوة للانتقام كانت تعني الدعوة الى الحرب الاهلية ... والعدو على الابواب ، والادارة المصرية لم يد لها وجود فعلي في القطاع .. فما العمل ؟ كانت اللجنة الوطنية العليا في حالة انعقاد مستمر في مبنى نقابة المعلمين ، وكوادر الحزب تقود المظاهرات في كل مكان ... التراجع مستحيل والتصعيد ؟ الى اين ؟ هل يمكن ان تستولي الانتفاضة على السلطة في القطاع وتعلن قيام دولة فلسطينية مستقلة ؟ سؤال ظل يلح على العديد من الرفاق والشخصيات الوطنية ... وكان قرار الحزب هو الفصل .. لا تراجع مهما كانت التضحيات ، فالتراجع كان يعني التنفيذ الفوري لمشروع التوطين ، والبطش بصورة لم يسبق لها مثيل بالحركة الوطنية والحزب ، والتفكيك بأبناء شعبنا دون رحمة . ولم يكن لتصعيد حلا للموقف ، فرغم سيطرة الانتفاضة على القطاع وقدرتها على تحقيق نصر نهائي على الادارة المصرية ، فان خطوة كهذه كانت تمثل دعوة مفتوحة لانسحاب القوات المصرية واحتمال احتلال اسرائيل للقطاع ، ولم تكن هناك مقومات لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ولا امكانية للدفاع عنها في حالة قيامها . كان القرار هو المحافظة على الزخم الثوري للانتفاضة والابقاء على الطابع السلمي لها والعمل على منع اراقة الدماء ولكن دون تنازل . لقد نضج الحزب في المعركة ، فالشيوعيون يعرفون دائما ما يريدون ، لكن الصلة مع الادارة المصرية تكاد تكون مقطوعة . وتقرر ان توجه اللجنة الوطنية العليا نداء آخر للادارة المصرية لبحث مطالبها ولكن دون جدوى ؟ اذاً فلتستمر الانتفاضة وتبقى المظاهرات تجوب الشوارع الخالية من رجال الجيش والشرطة والمخابرات حتى مغيب الشمس .

وفي مساء تعود اللجنة الوطنية العليا للاجتماع من جديد لبحث التطورات ، وتقرر توجيه اذار نهائي للادارة المصرية لتعلن قبولها بالمطالب العادلة للجماهير حتى مساء الخميس ١٩٥٥/٣/٤ ، واتفق على التحضير لمظاهرة كبرى في مدينة غزة تشترك فيها الجماهير الفلسطينية من كل انحاء القطاع على ان تجرى تلك المظاهرة صباح الجمعة ١٩٥٥/٣/٥ . وفي ساعات الليل يحاول من تبقى من رجال الادارة فرض حظر التجول على القطاع في اليوم التالي ، الا ان الصباح حمل معه هتافات المتظاهرين القادمين من مخيمات اللاجئين الى قلب المدينة ، وتفشل الادارة في فرض حظر التجول ولو لساعة واحدة . وما زالت المظاهرات تحتل كل ساحات المدينة ، وتعم كل المخيمات ، وتبدأ بعض العناصر المستقلة في التهرب من الاستمرار في قيادة الانتفاضة ، ويبقى الشيوعيون واقرب اصدقائهم في الميدان ، وسط حشود الجماهير ، وتظل

نيران الانتفاضة تتأجج رغم كل شيء حتى ساعات المساء .

وفي ظلمة الليل يتسلل الحاكم العام المصري اللواء عبدالله رفعت بصحبة قوات كبيرة الى داخل القطاع . الدبابات والمدافع والجنود الذين لم يظهروا لرد المعتدين جاءوا لمواجهة الصدور العارية لابناء المخيمات المطالبين بأبسط الحقوق وهو الحفاظ على حياتهم وهويتهم . ويتحسن خ.ع. المشرف على مدارس اللاجئين في القطاع ، هذا الرجل الصافي الملبس كحجر الماس كما يصفه معين ، يتحسس الخطر المقبل ، فالحكومة المصرية قررت ان تفرق الانتفاضة في بحر من الدم ، حفاظا على ماء وجهها ، اذ ان المطالب العادلة لجماهير اللاجئين الفلسطينيين كانت تربق ماء الوجه ، اما ذبح العشرات والمئات من الجنود والمدنيين فلم يكن يؤثر في قلوبهم وكرامة البرجوازي الصغير التائه الجالس على كرسي الحكم هي اكثر اهمية من كل ارواح البشر ، ويتسائل خ.ع. ما العمل ؟ اليوم هو الاربعاء ، وعدا ينتهي الموعد الذي حددته قيادة الانتفاضة للاستجابة لمطالبها ، والا فسيكون يوم الجمعة يوم مذبحه للشعب . لم يفكر هذا الوطني المخلص في الضغط على قيادة الانتفاضة من اجل التراجع ، بل فكر في حسر الهوة بين مطالب الانتفاضة العادلة ، وموقف الادارة المصرية المتصلب ، وتوجه الى مبنى قيادة الانتفاضة في نقابة المعلمين وشرح لهم تخوفه مما قد يجري في الغد ، وأوضح رغبته في القيام بدور الوسيط تجنباً لسفك الدماء وكان يدرك ان القوة المسلحة المصرية التي تسللت الى القطاع ستعجز عن هزيمة الانتفاضة خاصة حين يقودها عراة الصدور واستمع الى وجهة نظر قيادة الانتفاضة التي اعلنت عن موافقتها على المفاوضات ، وبدأ الوسيط دوره الصعب بين قيادة الانتفاضة والحاكم العام الذي عاد الى القطاع تحميه الدبابات ، وجرى استعراض المطالب التي قدمتها قيادة الانتفاضة باسم الجماهير :

- (١) الغاء مشروع التوطين في سيناء فوراً .
- (٢) تدريب وتسليح المخيمات الفلسطينية لتتمكن من الدفاع عن نفسها وتقوية دفاعات الحدود .
- (٣) فرض التجنيد الاجباري وتشكيل جيش وطني فلسطيني .
- (٤) محاكمة المسوءولين عن الأمر باطلاق الرصاص على المتظاهرين ومقتل الشهيد حسني بلال واطلاق النار على جنازته .
- (٥) اطلاق الحريات العامة وعلى رأسها حرية الاجتماع والتعبير والاضراب .
- (٦) عدم المساس بالمشاركين بالانتفاضة وقادتها .

وابلغ الحاكم العام الوسيط ان مشروع توطين اللاجئين في سيناء قد اصبح غير ذي موضوع بعد ان اعلن الشعب الفلسطيني في قطاع غزة اجماعه على رفضه واعلن موافقته على المبدئية على البنود الاخرى على ان ترفع للقيادة المصرية للتصديق عليها وابدى تحفظه في بداية الامر بالنسبة للبند السادس ، غير ان خ.ع. ابلغه ان عدم الاستجابة لهذا البند تعني سعي الادارة المصرية للقيام بمذبحة لا يمكن لحد ان يتنبأ بنتائجها ، فاضطر الحاكم العام ان يعلن موافقته على هذا البند واقسم بشرفه العسكري على احترام هذا الوعد . وتم نقل الاتفاق الى قيادة الانتفاضة في

نقابة المعلمين والتي قبلت به رغم كل تخوفها . واعتبرت ان افشال مؤامرة التوطين في سيناء يشكل انتصاراً حاسماً للحركة الوطنية ، وجرى توقيع اتفاق مكتوب بين الادارة المصرية لقطاع غزة واللجنة الوطنية العليا ، ووضعت الادارة سياراتها تحت تصرف قيادة الانتفاضة لتوزيع البيان على الجماهير ، وطار خبر الانتصار بسرعة البرق ليدخل كل بيت في مخيمات قطاع غزة ، وتحولت مظاهرات الغضب والتمرد والحزن على الضحايا الى فرحة وطنية عارمة ، وكانت تلك هي النهاية . . وكانت تلك هي البداية ايضا . لقد تحولت دماء الشهداء الذين سقطوا اثناء الانتفاضة الى نيران احرق مشروع التوطين في سيناء الى الابد ، واضطر صانعوه ان يدفنوه في الوحل قبل ان يرى هذا الوليد المشئوم النور ، وسقطت القيادات التقليدية في قطاع غزة بعد ان تخلت عن جماهير الشعب وقت الشدة ، وبدماء الشهداء الذين سقطوا في الانتفاضة كتبت شهادة ميلاد جديدة لهذا الشعب وسطرت شهادة للعالم ولقيادة العالم العربي ان شعبنا لا يقهر وان لهذا الشعب قضية عادلة ، وبرزت لأول مرة منذ ١٩٤٨ الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة . وكانت البداية لرحلة عبد الناصر في الاتجاه الصحيح الذي اضطر بعد ذلك بسنوات ان يعترف بأن احداث قطاع غزة كانت حجرة الزاوية في تغيير سياسته الخارجية ولم تمض ايام قلائل حتى كانت نهاية نقابة المعلمين وبداية رحلة العذاب لقادة الانتفاضة في اتجاه السجون المصرية بعد ان اخل الحاكم العام بقسمه بشرفه العسكري ، لكن المارد لم يعد الى قممه بعد ذلك ، فقد تربى في الانتفاضة جيل يعرف معنى الوطن والنضال ، وكانت الانتفاضة في قطاع غزة هي البداية لمرحلة نهوض وطني عارم شملت كل الوطن العربي وغيّرت تاريخه .

الأهمية الاقتصادية للأغوار



لجنة الاغاثة الزراعية

تتمتع منطقة الغور بمركز متميز في القطاع الزراعي للضفة الغربية، نظرا لتوفر المصادر الطبيعية الاساسية للزراعة في تلك المنطقة ولانفرادها بظروف مناخية دافئة خلال اشهر الشتاء.

ان مساحة الاراضي الزراعية في الأغوار محدودة، ولكنها تساهم بنسبة مرتفعة في الانتاج الزراعي ويعود ذلك اساسا، الى نسبة الاراضي المروية العالية، حيث تضم الاغوار نصف المساحة الاجمالية للاراضي المروية في الضفة الغربية.

ويصل انتاج الخضروات الى ٣٧٪ من اجمالي انتاج الخضار في الضفة الغربية، وتعتبر الخضار المحصول الاساسي في الاغوار وتنتج منطقة الاغوار ٣٢٪ من انتاج البندورة و٢٢٪ من انتاج الباذنجان و ٥٠٪ من انتاج الكوسا و ٦٣٪ من انتاج الفلفل.

يعتمد مزارعو الجفتلك في معيشتهم على محصولين رئيسيين هما البندورة والباذنجان، وتقدر مساحة الاراضي التي تزرع بهذين المحصولين في هذه المنطقة بخمسة الاف دونم التي تعادل ٤٥٪ من المساحة الكلية للبندورة والباذنجان في الاغوار. كما يزرعون خضروات اخرى مثل الكوسا، الخيار، الفلفل، الفاصوليا والفول والتي تقدر ب ٢٥٠٠ دونم.

ويوجد في الجفتلك ٣٠٪ من مجموع مساحات الحمضيات في الاغوار الشمالية والوسطى ويزرعون ايضا القمح والشعير والبطيخ والموز.

وتقدر الكميات التي يستخدمها مزارعو الجفتلك للزراعة بحوالي ٧٠٥ مليون م ٣ سنويا وتعادل نصف مياه الري في الاغوار الشمالية والوسطى، ٣٧٢ مليون م ٣ تخزن من الابار الارتوازية، ٢٥ مليون متر مكعب يحصل عليها من مياه البناييع وتقدر عدد الابار الارتوازية المرخصة في الجفتلك ب ٢٩ بئرا، ويبلغ تعداد برك الري والتي هي ضرورية للري الحديث (الري بالتنقيط)

ستون بركة وتعادل ٨٠ ٪ من مجموع البرك الموجودة في الاغوار الشمالية والوسطى . كما يوجد في الجفتلك حوالي ٢٠ - ٢٥ ٪ من مجموع الآلات والمكينات الزراعية في الاغوار .

× ان مشاكل المزارعين في الجفتلك نابعة من المشاكل الرئيسية التي تواجهها الزراعة في المناطق المحتلة نورد منها :

(١) مشكلة التسويق : تواجه المنتجات الزراعية العربية بمناقسة شديدة من المنتجات الزراعية الاسرائيلية التي تتحرك في الاراضي المحتلة بحرية لا تقل عن حرية تحرك المستوطنين ، وهذا الوضع يجعل الحاجة ماسة الى تسويق هذه المنتجات في السوق الخارجي وتحديد السوق الاردني وسوق البلدان العربية المجاورة ولكن هذا السوق الخارجي اخذ ينقلص هو الآخر في وجه منتجات الاغوار بسبب تطور الانتاج الزراعي في منطقة الاغوار الشرقية والدعم الحكومي له ولاغراض سياسية بحتة ، وحتى حينما يكون التصدير ممكنا فان كميته لا تتجاوز نصف المحصول حسب الشروط الاردنية وبنفس الوقت الذي يعتبر فيه انتاج الخضار بمثابة ميزة يندر توفرها نتيجة للمناخ الملائم في الاغوار ، فانها من الجهة الاخرى تعتبر نقطة ضعف اساسية في حالة عدم توفر الاسواق لاي سبب كان ، فقد تعرض انتاج البندورة والذي يعتبر المحصول الاساسي للزراعة في الجفتلك الى ضربة قوية في موسم ٨١ / ١٩٨٢ ، فقد كان من العادة ان يتم تصدير نصف الانتاج الى الضفة الشرقية بينما يتم تصريف النصف الباقي محليا ، وفي الموسم المذكور لم تزد كمية الانتاج المسموح بتصديره عن ٢٥ ٪ من الانتاج ، وفي موسم ٨٣ / ٨٤ الماضي تراكمت كميات الخضار وخاصة البندورة والباذنجان في الاسواق المحلية واسواق الضفة الشرقية مما ادى الى انخفاض سعرها انخفاضاً كبيراً بحيث لم يسد عائد الانتاج تكاليف التعبئة والنقل الامر الذي سبب خسائر مالية باهظة ، وترك كثير من الانتاج في الارض ، وقد تكبل المزارعون بكمبيالات ذات قيمة عالية لاصحاب الاراضي والكومسيون بحيث يبقون مدينين لهم لعدة سنوات قادمة .

٢ - ارتفاع تكاليف الانتاج والتسويق : يدفع المزارعون اثماناً متزايدة سنوياً لمنتجات الصناعة الزراعية الاسرائيلية والتي تعتبر المستفيد الاساسي من انتاج الخضروات الغورية ، حيث تقوم بتصدير منتجاتها من ادوات رى ومواد بلاستيكية ومبيدات كيميائية الى الاسواق المحلية . وبكذلك تصدر الشاحنة الواحدة من الخضروات بمائة وخمسون ديناراً كأجرة نقل ورسوم تصاريح اردنية واسرائيلية للصناعة والسائق .

٣ - قلص المياه وتزايد الملوحة ، وذلك بسبب حفر الابار العميقة في المستوطنات الاسرائيلية ، حيث بلغ عمقها ما بين ٣٠٠ - ٤٠٠ م بينما الابار العربية لا يتجاوز عمقها التسعين متراً ، ومنها تنافس كمية المياه بسبب هذا الفارق الكبير في عمق الابار ، كما ان عدداً كبيراً من الابار الارتوازية مع استعمالها . واخرى لم تعد صالحة للاستعمال ، ويمنع حفر البئر بعمق اكبر من الحالي ، بالإضافة لمنع حفر ابار جديدة او تملح الابار غير المستغلة ، وباتت بعض القرى تشتري مياهها من

شركة مكوروث الاسرائيلية بأسعار باهظة .

ع - نقص الخدمات الضرورية :

تفتقد التجمعات السكانية في الجفثك الى حدود تنظيمية ولذلك يمنع البناء بها او ترميمها وتعاني من نقص شديد ومزرى في الخدمات ، فالكهرباء لا تصل لاءى تجمع سكاني بالمنطقة ، ويشترك المقتدرون ماديا من المزارعين في شراء ما تور للانارة ، لا يستطيعون تشغيله الا ساعات قلائل في الليل لارتفاع اسعار المحروقات . وينطبق الوضع كذلك على الخدمات الصحية والتعليمية حيث يضطر الاهالي للسفر ما لا يقل عن ثلاثين كيلومترا لتلقي مثل هذه الخدمات ، ومياه الشرب تؤخذ من قنوات الرى التي تتسرب اليها مجارى مدينة نابلس، ويشير تقرير اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية الى " انتشار الامراض الجلدية، والمعدية، والديدان والطفيليات في هذه المنطقة بشكل ملحوظ " . بالاضافة الى الحواجز العسكرية التي تمنع المواطنين في الليل من الخروج من المنطقة .

هـ - مشكلة الاستقرار السكاني والنفسى وممارسة الزراعة الموسمية بهدوء وطمأنينة ، حيث تسن اوامر وقوانين عسكرية تحد من التوسع في الزراعة وتسويق المنتجات الزراعية ولا تتوقف ملاحظات السلطات للاهالي وذلك بهدم بيوتهم واخلائهم من المنطقة .

الاورامر والقوانين العسكرية

١ - قانون تحديد كميات المياه المستخرجة من الابار الارتوازية :

بدى بتطبيق هذا القانون قبل حوالي عشرة سنين ، وقد طلب من المزارعين في ذلك الوقت تركيب عدادات ماء لقياس كمية الماء التي تضخ من الابار الارتوازية، وقد البس هذا القانون في البداية ثوبا علميا . ويتعرض المزارعون الى محكمة عسكرية وتفرض عليهم غرامات باهظة في حالة تجاوز كمية المياه المحددة لهم .

ويتضرر المزارعون من هذا القانون وذلك بعدم تمكنهم من زراعة مساحات من الاراضي البكر ، والى عطش مزروعاتهم وتلفها . ويقصد من هذا القانون ايضا السيطرة على الاراضي العربية غير المستقلة وضمها للمستوطنات المجاورة .

٢ - قانون تحديد مساحات البندورة والبادنجان :

وبموجب هذا القانون لا يحق للمزارع العربي زراعة هذين المحصولين دون الحصول على

رخصة من دوائر الزراعة ويعاقب المخالف بالسجن والغرامات الباهظة وتحترق أرضه ، وبالفعل قامت دائرة الزراعة بحساب المتوسط الحسابي لمساحات هذين المحصولين لثلاث سنوات متتالية هي ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، وبعدها خصم ٢٠ ٪ . وعلى هذا الاساس اعطيت رخص باسم ملاكين الاراضي في موسم ٨٣ / ٨٤ . وفي الوقت الذي لم يبع فيه هذان المحصولان في الاسواق قامت لجنة مؤلفة من موظفي دوائر الزراعة بقياس مساحات البندورة والبادنجان وحررت للمزارعين المخالفين للقانون انذارات تهددهم باتخاذ الاجراءات اللازمة بحقهم في حالة تكرار الزراعة بدون رخصة او زراعة مساحة اكبر من المقرر لهم في الرخصة .

وقد فسر هذا القانون في البداية من قبل المسؤولين المختصين بالشؤون الزراعية في بيت ايل بأنه تخطيط زراعي منظم يوازن بين العرض والطلب في الاسواق وينصف المزارعين الصغار . ولكن النتائج جاءت عكسية تماما وفشل ما يسمى " بالتخطيط الزراعي " لاجلاق الاسواق الاسرائيلية امام الانتاج العربي ، وفتح الاسواق العربية امام الانتاج الاسرائيلي .

وقد كانت المساحات المزروعة بالبندورة والبادنجان في الاغوار هي ١٣ الف دونم و ٨ الاف دونم على التوالي . وذلك قبل تطبيق القانون المذكور ، وفي الموسم الاول لقانون التحديد ٨٣ / ٨٤ تقلصت المساحة الى ٩٣٠٠ دونم بندورة و ٥٠٠٠ دونم بادنجان ، وفي الموسم الحالي ٨٤ / ٨٥ تقلصت حتى ٧٥٠٠ دونم بندورة و ٤٠٠٠ (اربعة الاف) دونم بادنجان ، حيث خصم ايضا ٢٠ / من مساحات محصولي الموسم الحالي ايضا ويستوجب مرور اربعين سنة فقط لكي يقضى بهذه الطريقة على هذين المحصولين الرئيسيين في الاغوار . ويهدد ذلك مصالح الاف المزارعين بفقدانهم مصدر رزقهم ومصادرة اراضي الملاكين العرب وتهجيرهم من الاغوار .

٣ - امر ابعاد الاراضي الزراعية عن الشوارع الرئيسية والفرعية بما لا يقل عن مئة متر :

ان تطبيق هذا الامر سيكون طريقة مباشرة في قتل الزراعة العربية في الاغوار وذلك لمحاذاة الاراضي الزراعية لهذه الشوارع ، كما تحاذي الاراضي المستقلة من قبل المستوطنات لنفس الشوارع فهل سيطبق هذا القانون على الاراضي العربية دون الاراضي المصادرة من قبل المستوطنات ؟!

٤ - امر تحديد ساعات تواجد المزارع في مزارعهم شرق شارع ايلات - بيسان من الساعة السادسة صباحا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكما يمنع بناء اية عريشة تقي من الحر الشديد في الصيف والمطر في الشتاء ، ويعمل في هذه الاراضي ما لا يقل عن مائة عائلة ، وتعود لملاكين من القدس ونابلس وهي محاذية للاراضي التي تزرع من قبل مستوطنة مسواة بالنخيل والعنب والبطيخ والخضروات وغيرها ، ولذلك فهي معرضة للمصادرة قبل غيرها من الاراضي العربية .

٥ - قرار منع تسويق منتجات الضفة الغربية بما فيها منطقة الاغوار الى الاسواق الاسرائيلية والى سوق القدس العربية والسماح للمنتجات الاسرائيلية بدخول الاسواق العربية . وتسوق المنتجات

الزراعية الى قطاع غزة بتصاريح من دائرة الزراعة . وتصدر اوامر يستمر مفعولها لمدة معينة كمنع التصدير الى اسواق الضفة الغربية من الاغوار في بعض ايام الاسبوع . ومنع تسويق الحمضيات بكمية تقل عن ٧ ر . طن .

مزارعو الجفتلك وقضية هدم البيوت

نبذة قصيرة عن سكان الجفتلك

يعتمد سكان الجفتلك على الزراعة ، حيث تعتبر الارض هي المصدر الوحيد للرزق . وبلغ عدد سكان الجفتلك حوالي الفي نسمة يعتمدون جميعا على الزراعة ويمضون كل اوقاتهم في العمل في المزارع حيث يشترك في العمل كافة افراد الاسرة القادرين على ذلك . ويتعلم اطفال المزارعين في مدرسة وكالة الغوث ، وبلغ عدد تلاميذها ٦٠٠ تلميذ وتلميذة . ويقضي المزارعون حوائجهم الضرورية من مدينة نابلس واريحا اللتان تبعدان ثلاثون كيلومترا عن الجفتلك .

يعيش ملاكوا الاراضي الكبار في نابلس والقدس، والقليل منهم يعيشون في الجفتلك ، اما المزارعون فيعيشون في المنطقة منذ سنة ١٩٤٨ ويقدرّون الان بنصف عدد المزارعين ، ويسكن النصف الاخر في المنطقة بعد سنة ١٩٦٧ وهم من طمون وطوباس ، قدموا الى الجفتلك بعد مصادرة حوالي عشرة الاف دونم من الاراضي الغنية زراعيا تعود ملكيتها لسكان طمون وطوباس وبالرغم من ابرازهم وثائق الملكية التي جلبوها من تركيا وبريطانيا .

ويسكن مزارعو الجفتلك في بيوت طينية واخرى من الخشب والزينكو ، وتعيش الان العائلات التي هدمت بيوتهم في اكواخ من البراميل واكياس الخيش والبلاستيك وغيرها والتي يسمونها "بالخبوشة" واخرين التجأوا الى بركسات الدجاج الغير صالحة حتى لتربية الدواجن . ويعيش المزارعون في خمسة تجمعات سكنية وبامتداد طولي يصل الى خمسة كيلومترات وعرض كيلومتر ، واحد وذلك للوصول الى المزارع بأسرع وقت ممكن مشيا على الاقدام .

وبالاضافة للزراعة يعتمد القليل من العائلات التي سكنت المنطقة من بئر السبع منذ ١٩٤٨ على تربية المواشي ، وقد تضررت من جراء طردهم من المناطق التي يوجد بها ماء ، وتحجز مواشيهم في "الكارنتينا" عدد من المرات لحين دفع الغرامات الباهظة بحجة تجاوز المنطقة المسموح فيها بالرعي .

ادعاءات السلطات الاسرائيلية بهدم البيوت

(١) اعتبار الاراضي التي اقيمت عليها البيوت منطقة عسكرية مغلقة ومحظورة امنياً :

ان هذه الحجة هي عارية عن الصحة فالسكان يمنعون منذ ١٩٨٠ من التواجد شرق شارع ايلات - بيسان اي " المنطقة الزراعية المحظورة للسكن " ، وقد سكنوا في ارض قرية قراوة الفوقا منذ ١٩٨٠ بعلم كامل وبموافقة ورغبة وبأمر الحكم العسكري . وربما يقصد من الادعاء ان المنطقة عسكرية مغلقة " للعرب ومفتوحة للزراعة من قبل المستوطنين .

٢ - الاراضي التي اقيمت عليها البراكيات هي ارض حكومية :

اقيمت البراكيات التي هدمت على اراضي مشاع ، سجلت باسم قرية قراوة الفوقا وعلى اراضي اخرى مسجلة باسم ملاكين من نابلس مثل شاهر الفياض وتوجد وثائق بها مسجلة في سنة ١٩٢٧ عند الحكم العثماني .

لذا فهذه الحجة واهية ، لان المقصود من هدم البيوت هو ترحيل المزارعين ، ولا فرق للسلطات الاسرائيلية ان اقيمت البراكيات والخشابييات على اراضي " حكومية " او اراضي الملاكين العرب عند الهدم . كما ان معظم بيوت القرى المجاورة هي مقامة على اراضي مشاع او " حكومية كما يحلو للسلطات تسميتها فهل بدأ محط هدم البيوت وطرد السكان العرب من الجفتلك وسيستر في القرى العربية الاخرى في الاغوار ؟ ١ .

٣ - بناء المزارعين للبيوت دون حصولهم على رخصة :

تمنع السلطات الاسرائيلية المزارعين من البناء ، ولم يحدث في السابق ان حصل احد السكان على رخصة من مجلس التنظيم الاعلى بالرغم من المطالبة المتكررة لذلك وقد هدمت براكيات لمزارعين يقيمون في المنطقة منذ ما لا يقل عن عشرة سنين ، كما هدمت بيوت طينة اخرى بنيت قبل عام ١٩٦٧ .

٤ - اعتبار المزارعين عبارة عن عمال زراعيين يمكنهم الاقامة في مناطقهم الاصلية اثناء اللبيل والعودة للعمل في المزارع اثناء النهار .

ظهرت هذه الحجة الحديثة في اذارات الهدم التي وزع فوج منها في ١٢/١٢/١٩٨٤ ، وهي تعبر بصراحة ، ولاول مرة بشكل تباليغ مكتوبة ، عن نية الاحتلال بطرد السكان وهدم بيوتهم وهذا ما خباؤه لبعض الوقت بحجج " قانونية " . كما سلمت لبعض المزارعين تباليغ تطلب بصراحة

تامة اخلاء الاراضي التي اقيمت عليها البيوت وحتى الاراضي الزراعية ، حيث اعتبرت جميعها اراضى حكومية وهذه سابقة خطيرة من اجل مصادرة الاراضي العربية .

يقسم مالكو الاراضي مع المزارعين تكاليف الزراعة ونتاج المحاصيل الزراعية عن طريق المناصفة ويبدل المزارع مجهوداً فطلياً مقابل الارض والماء التي يقدمها مالك الارض ، ويسمر العمل من شهر ايلول وينتهي الموسم الزراعي للخضروات في منتصف ايار . لذلك فالمزارع في هذه الحالة لا يعتبر عاملاً زراعياً ينقاض اجرا يومياً او شهرياً وإنما مشارك كامل مع المالك يقضى طيلة نهاره مع أسرته في المزرعة .

ويعتمد المزارع اثناء الموسم في مصروفه اليومي على السلف من الملاك والحسبة وهو مكل منذ السنة السابقة بكمبيالات لهما . فكيف يستطيع هذا الفلاح سد مصاريف المواصلات والتي تقصر على وسيلة نقل باص موديل عام ٤٥ يخرج في الرابعة صباحاً من نابلس ويعود اليها في الثانية عشرة ظهراً ولو استطاع جدلاً المزارع من الناحية المادية ذلك وتوفرت وسيلة النقل فان مزرعته تتعرض الى العطش والتلف لاسباب كثيرة ، كما ان طبيعة زراعة الخضروات تتطلب من المزارع عناية في الصباح الباكر والمساء كرى المزروعات ورشها بالمبيدات الكيماوية والتأخر عن القيام بذلك بسبب تعطل وسيلة النقل او منع تجول في جنين او نابلس او ارجاع المزارع عند المحسوم وغيرها يعرض تعب الموسم الى الضياع . بالاضافة لما ذكر فاولاد المزارعين ينتسبون الى مدرسة وكالة الغوث في الجفتلك وهم لا يستطيعون مغادرة المنطقة الا في العطلة الصيفية .

يطلب من المزارعين العودة الى القرى الاصلية ، فهل تعيد السلطات الاسرائيلية الالف الدونمات التي صودرت من مزارعي طمون وطوباس في سنة ١٩٦٧ مثل منطقة البرزة في طوباس والبقاعة في طمون ، والتي تحولوا بعدها الى " عمال زراعيين " في الجفتلك . وهل تسمح هذه السلطات بعودة مزارعي عجور وبئر السبع وغيرها الى ، قراهم الاصلية " والتي طردوا منها سنة ١٩٤٨ .

ج- عملية هدم البيوت في الجفتلك :

يرجع تاريخ الهدم في الجفتلك الى سنة ١٩٦٧ حيث هدم مخيم العاجرة الذي سكنه اهالي عجور قضاء الخليل - واقامت بدلا منه مستوطنة مسواد ومعسكر جيش ، كما هدمت تجمعات سكانية اخرى مثل المخروق وطرد الالف من السكان الى الضفة الشرقية ، وبعدها هدمت جميع البيوت الطينية " الزائدة " التي هجر اصحابها منها والتي وقعت ضمن التجمعات السكانية الحالية . في سنة ١٩٨٠ قامت السلطات العسكرية بارغام مزارعي طمون وطوباس بهدم براكياتهم في المنطقة التي تقع شرق شارع بيسان - ايلات ويروى الناس عن عملية تعذيب الجنود لاحد الشباب الذي احتج على ذلك وادى الى موته ، وتم ذلك بأمر من حاكم عسكري اريحاً .

وقد سمح احد كبار الضباط في الحكم العسكري الكولونيل هراري - مستشار ومنسق النشاطات في الضفة الغربية لهؤلاء المزارعين باعادة بناء براكياتهم في منطقة "البيادر" والتي هدمت بيوتهم عليها بعد ذلك .

وفي صيف سنة ١٩٨٣ قام حاكم عسكري اريحا باستدعاء الملاكين والمزارعين في الجفتك ، وهدد مزارعي طمون وطوباس بالطرد من المنطقة وذلك بحجة تأخرهم في المزارع التي تقع شرق شارع بيسان - ايلات وبنائهم العرائش التي تقيهم حرارة الشمس، وكذلك لعدم تلبيتهم لاستدعاء في المرة الاولى .

بعد ذلك قام بعض المسؤولين الاسرائيليين بوضع علامة x على عدد من البيوت المهددة بالهدم وقام الملاكون والمزارعون بالطلب من مكتب المحامي عزيز شحادة بالدفاع عنهم ، وقد حصل المحامي المذكور على كتاب في شهر اذار ١٩٨٤ من المستشار القانوني بوعدهم عدم هدم البيوت في فصل الشتاء القادم . ويطلب الحصول على رخصة لهذه البيوت ، وتوجه اصحاب البيوت الى مجلس التنظيم الاعلى فرفضت طلباتهم جميعا ولم يعر المزارعون التهديدات بالهدم الاهتمام الكافي . وربما لان معظمهم لا يملكون النقود لتوكيل المحامين . كما ان بعض الملاكين لا يرغبون بدفع اتعاب المحاماه ، لذا قام كبار الملاكين بمصاحبة مسؤولين كبار في الحكم العسكري "لفحص المنطقة" ودار الحديث عن تعيين تجمع ثابت ومناسب للمزارعين .

وفي مؤتمر التنمية والصمود ، والذي عقد في ايار عام ١٩٨٤ عن الوضع الاقتصادي في الاغوار جرى التحذير من سياسة الاحتلال بطرد سكان طمون وطوباس من المنطقه واقتراح تشكيل لجنة محامين للدفاع عنهم ، وقد حضر المؤتمر عدد من ملاكي الاغوار .

وفي شهر تشرين اول وزعت نشرات التبليغ على المزارعين ، وطلب من الكثير منهم التوجه الى المجلس الاعلى للحصول على مثل هذه التبليغ وذلك لعدم معرفة اسمائهم . وحصل احد الملاكين المقربين من النظام الاردني على وعد من مركز قيادة عليا " بعدم هدم البيوت وقد ادى ذلك الى تاخير متابعة القضية عن طريق مكتب رجا شحادة والمحامي اليهودي الكسندر راماتي المستشار القانوني السابق ، وساد اطمئنان عند الملاكين الكبار بعدم اتفاق نقود اضافية للمحامين والمزارعون بعدم هدم بيوتهم ، وبلغ المزارعون في ٣١ / ١٠ / ١٩٨٤ بالتجمع في منطقة ابو العجاج وذلك لمقابلة حاكم عسكري اريحا في اليوم التالي واستبشر البعض خيرا . وفي ١ / ١١ / ١٩٨٤ قدم الحاكم العسكري مع جرافة واعداد كبيرة من الجيش وسيارة اسعاف وقام باعطاء المزارعين ساعة واحد ، وذلك لاجراء الاغراض الضرورية من البراكيات ، وهدمت ٣٣ براكية واستمرت عملية الهدم من الساعة التاسعة حتى الواحدة بعد الظهر ، وهدد الحاكم العسكري المزارعين بهدم البراكيات المتبقية بعد اسبوع وعلى نفقة المزارعين الخاصة في حالة عدم هدمها بأيديهم .

وفي ١١ / ١١ / ١٩٨٤ جاءت ثلاث جرافات بصحبة حوالي ٣٠٠ جندي قاموا باغلاق المنطقة على حين غرة ، واستغلوا وجود المزارعين في مزارعهم بعيدا عن بيوتهم ، وهرع المزارعون الى بيوتهم ليجدونها قد هدمت على قوتهم الضروري ، وقد هدمت في هذه الحملة ٥٥ براكية وبيت طيني ، وقد اصاب العديد من الاطفال والكبار في السن الهلع والرعب ، ونقل بعضهم الى المستشفى ، ونامت العائلات في تلك الليل تحت السماء والطارق ، وقامت دوريات من الجنود المشاة لعدة ايام باستفزاز المزارعين ليلا وذلك لحملهم على الرحيل فورا من المنطقة . وقام المواطنون الاخرون باستضافة العائلات التي هدمت بيوتهم . بعدها بنى معظمهم خرايش لانفسهم وبعض العائلات نقلت الواح الزينكو الغير تالفة وبنوها للمرة الثالثة في منطقة نائية نسبيا وفضلت عائلات اخرى السفر لمسافة ٤٠ كم يوميا ولكنها توقفت بعد عدة اسابيع عن ذلك . وقد وعد الصليب الاحمر الدولي باعطاء بعض العائلات الخيم ولكنه تراجع وذلك لرفض السلطات المختصة هذا العمل .

وفي ١١ / ١٨ / ١٩٨٤ قامت جرافة اسرائيلية بتسوية الارض التي هدمت عليها بيوت المزارعين .

وقد نشر التلفزيون الاسرائيلي عن البيوت المهدومة وبث عن جلسة الكنيست التي تبني نواب الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة هذه القضية بناء على طلب المزارعين فسي الجفتلك واثاروا في الجلسة استجوابهم حول الهدم في الجفتلك وقامت صحف عالمية ومحلية بنشر الاخبار عن ذلك ايضا بتوسع .

وفي ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤ ولمدة عشرة ايام وزع حوالي ٤٠ تبليغا على مزارعين يسكنون في تجمعات سكنية مختلفة يطلبون منهم هدم بيوتهم بحجة البناء غير المرخص وتباليغ اخرى تطلب منهم اخلاء المنطقة وكما استمرت ملاحقة اصحاب " الخرايش " والضغط عليهم من اجل ترحيلهم من المنطقة .

وفي ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٤ قام حوالي ستين مزارعا من هدمت بيوتهم ووصلتهم تباليغ في المدة الاخيرة بالاعتصام في الصليب الاحمر وعرضوا مطالبهم العادلة والمتمثلة فيما يلي :

- (١) عدم هدم المزيد من البيوت تحت مختلف الحجج .
 - (٢) عدم التعرض للعائلات التي هدمت بيوتهم والضغط عليهم للرحيل من المنطقة .
 - (٣) التوقف عن اصدار القوانين والاورام العسكرية والتي تضر بمصالح المزارعين .
- وقد ناشدوا الرأي العام العالمي والعربي والمحلي بالتضامن معهم ومد يد العون المادي والمعنوي لهم . وطلبوا المؤسسات الوطنية العربية والخيرية الاجنبية بزيارة منطقة الجفتلك والتعرف عن كثب على مشاكلهم .

السياسة الاستيطانية في الاغوار

شرعت سلطات الاحتلال منذ ١٩٦٧ باستيطان استراتيجي زراعي مركز على امتداد منطقة

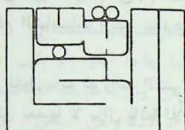
الاعوار ضمن مشروع متكامل يجعل من غور الاردن الغربي بكامله امتداداً آمن البحر الميت في الجنوب وحتى بحيرة طبريا في الشمال ، كتلة استيطانية واحدة تخلو من اى وجود عربي مؤثر باستثناء بلدة اريحا الصغيرة وعدد قليل من القرى ، فالمستوطنات اليهودية تسيطر على المنطقة بكاملها يدعمهم في ذلك تواجد الجيش الاسرائيلي على امتداد الحدود . واغلاق لعشرات الالوف من الدونومات بحجة الاجراءات الامنية .

بلغ عدد العائلات اليهودية التي استوطنت الاعوار ٨٠ عائلة من اصل ٥٣٠ عائلة من المخطط ان تستوطن لمنطقة وتقيم في ٣٣ مستوطنة .

وتشير المخططات الاستيطانية الى ان كمية المياه اللازمة لرى الاراضي المستولى عليها في الاعوار تصل الى ٥٣ مليون م^٣ سنويا ويتم الحصول على ٣٧ مليون م^٣ بواسطة الابار التي حفرتها لصالح المستوطنات .

وبموجب المخطط المعدل لاستيطان الاعوار والذي يتضمن زيادة عدد المستوطنات الى ٥٠ مستوطنة يقطنها ما بين ٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ عائلة يخصص لكل منها ٣٠ دونما (اى ما يعادل ١٠٠ الف دونم من الاراضي الزراعية ، ولن تقل احتياجاتها المائية عن ١٠٠ مليون م^٣ سنوياً . وقد اقرت الحكومة الاسرائيلية في ١٩ / ٤ / ١٩٨٣ و ١١ / ١٤ / ١٩٨٣ و ٥ / ١٠ / ١٩٨٣ اقامة سبعة مستوطنات في الاعوار هي في طور السيطرة على الارض ويتزامن هذا المخطط مع قانون تحديد المساحات العربية مع تصعيد الملاحقات والضغط على المزارعين لطردهم من الجفتلك .

مشاكل العمال الجزائريين في فرنسا آفاق العودة والاندماج



د. (الاسم)

بقلم : فايز ابوستة

تمهيد

ظاهرة هجرة العمال الجزائريين الى فرنسا ، ظاهرة قديمة يرجعها المؤرخون الى سنة ١٨٧٤ "السنة التي صدر فيها مرسوم يقيد الهجرة الى فرنسا بالحصول على اذن رسمي للسفر" (١) نتجت عن الظروف الموضوعية التي عاشها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، الذي كان سببا في تعدد العوامل التي فرضت على الكثير من العمال الجزائريين ان يعيشوا خارج حدود الوطن ، فالمستعمر الفرنسي وضع يده على الاراضي الجزائرية الحصبة وطرد اصحابها الاصليين الى الجبال والمناطق الوعرة، كذلك كبر حجم الاسرة الجزائرية بالنسبة لحجم الارض الزراعية وفقر مردودية الارض وظروف اخرى، جعلت الكثير من العمال الجزائريين يبحثون عن مصدر رزق ابنائهم في فرنسا وغيرها من الدول ، واستمرت هذه الظاهرة حتى السنوات الاولى من نيل الاستقلال.

قبل اندلاع الحرب التحريرية في تشرين الثاني ١٩٥٤ كان حجم الجالية الجزائرية حوالي ٢١٢ نسمة، منهم ١٥ الف طفل تقل اعمارهم عن ١٦ سنة اما عدد العائلات ، فكان يبلغ ٦ آلاف عائلة " (٢) .

وعندما نالت الجزائر استقلالها عاد الكثير منهم أملا في العيش في بلدهم المستقل، ولكن الظروف الاقتصادية وتخلل عجلة الانتاج وتحطيم الهياكل الاقتصادية، الناتجة اساسا عن الحرب التحريرية، اضرت الكثير منهم الى العودة الى فرنسا للبحث عن عمل من جديد، " وخلال شهور

قليلة. وصل عددهم ٤٠٠ الف مهاجر منهم ٤٥ الف لا تزيد اعمارهم عن ١٦ سنة في حين بلغ عدد العائلات ١٨ الف عائلة " (٣) .

ولما وقعت الجزائر مع فرنسا اتفاقية ١٩٦٨ كان عدد الجزائريين في فرنسا ٥٨٠ ألف نسمة موزعين كما يلي : " ٦٠ الف عائلة بالاضافة الى ١٦٠.٠٠٠ طفل تقل اعمارهم عن ١٦ سنة، كذلك ٩٠ ألفا تتراوح اعمارهم بين ١٦ - ٢٥ سنة " (٤) وفي مطلع الثمانينات ارتفع عددهم قرابة المليون .

بعد مضي قرابة الربع قرن على نيل الاستقلال ، نستطيع القول بأنه قد زالت الكثير من تلك الظروف الدافعة للعمال الجزائريين للهجرة الى فرنسا ، ولكن بعضها لا يزال قائما للآن ، مثل السكن والعمل داخل الجزائر ، وهذه الظروف تجعلنا نتلمس ظاهرة هجرة العمال الجزائريين بكل صفاتها القديمة ، من خلال دراستنا للواقع الاجتماعي والاقتصادي لآلاف من العمال الجزائريين في فرنسا ، والتي تتمثل بانتشار العنصرية وعمال العنف والقتل والطرده والبطالة التي يتعرضون لها بشكل يومي .

ان هؤلاء العمال يحملون كل اسباب الانتماء للمجتمع الجزائري ومن حقهم المطالبة بايقاف معاناتهم ، ومن حقهم ان يحصلوا على اسباب العيش الكريم بوطنهم من سكن وعمل وتعليم الخ .

تحديد المصطلحات :

(١) الجيل الاول .

يقصد بهذا التعبير ان الجيل الاول هو شريحة من المجتمع الجزائري ارغمت على ترك الجزائر تحت وطأة ظروف خاصة لتحقيق اهداف عاجزة عن تحقيقها في وطنها ، ولا زالت هذه الشريحة تحمل كل اسباب الانتماء للمجتمع الجزائري او لا زال هؤلاء الجزائريين يتمسكون بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم الاصلية بحكم هجرتهم الى فرنسا بعد ان بلغوا سن الرشد ، اي عاشوا بالجزائر قبل الهجرة ، وكذلك فان معظمهم لا زالوا يحملون جنسيتهم الجزائرية .

(٢) الجيل الثاني :

ويقصد بهذا التعبير ايضا ، ان الجيل الثاني هو شريحة من المجتمع الجزائري ، وهم ايضا فئة من المهاجرين ، وتتمثل في الشباب من الجنسين ، ممن ولدوا او كبروا داخل المجتمع الفرنسي ، واغلبهم في مقتبل العمر "ويشكلون نسبة ٦٣ ٪ من حجم الجالية الجزائرية بفرنسا " (٥) .
(٦) وتعتبر مشاكل هذه الفئة مخالفة لمشاكل بقية المهاجرين وخاصة من جهة المحافظة على الهوية الثقافية الوطنية والتاريخية ، اذ انهم موزعون على ثقافتين الاولى شفهية ، وهي ثقافة الاء

التي هي مزيج من عادات وتقاليد المجتمع الاصلي، وايضا ثقافة البلد المضيف وهم غير قادرين على التمكن من احدى الثقافتين والسيطرة عليها، لذلك فانهم يعانون من العزلة الثقافية والاجتماعية .

(٣) الاندماج :

حينما يفاجأ الفرد، او يكون امام ظروف غيرمنتظرة، فاننا نلاحظ انه يمر باضطراب ويحاول البحث عن وسيلة مناسبة لمواجهة هذا الموقف فاذا كان الموقف خطرا فاننا نجده يلجأ الى الهروب او الدفاع عن النفس، اى اننا نجده يحاول ان يخلق حالة اندماج او توافق مع الموقف الذى يفاجأ به، ولقد عرّف الدكتور نعيم الرفاعي عملية الاندماج : " بأنها تنطوى على عدد من ردود الفعل تصدر عن الشخص ليرد بها على متطلبات مفروضة عليه " (٧) اما الدكتور مصطفى فهمي فيعرف الاندماج : بأنه عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الشخص ان يغير سلوكه ليحدث علاقات اكثر توافقا بينه وبين البيئة (٨) ونجده في هذا التعريف يقترب الى حد ما مع تعريف الدكتور مصطفى سويف الذى يعرف الاندماج " بأنه القدرة على تكوين العلاقات المرصية بين المرء وبيئته " (٩) .

وبما انني في هذه الدراسة اقصد اندماج المهاجرين الجزائريين العائدين من ديار الغربة وبالدرجة الاولى فرنسا، فانني ارى ان الاندماج هو امكانية تحقيق علاقة متبادلة ومبنية على التفاهم بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها او التي يرغب العيش فيها، وارى كذلك ان التعريف الذى اورده الدكتور مصطفى فهمي يتفق الى حد ما مع عملية اندماج الجزائريين العائدين من فرنسا، لانهم يحتاجون الى تغيير سلوكهم من اجل الوصول الى علاقات اكثر توافقا مع البيئة الجزائرية، وتكون عملية تغيير السلوك عملية ديناميكية ومستمرة .

(٤) الهجرة :

هي عبارة عن عملية الحركة والانتقال من منطقة الى اخرى، إما لتحسين وضع الانسان الاقتصادي او هربا من ظروف مناخية سيئة (١٥) ومن خلال هذا التعريف نلمس ان هناك اسبابا دافعة للقيام بهذه العملية، فيمكن ان تكون اقتصادية او اجتماعية او سياسية او قسرية ... الخ كذلك فان هناك عدة تصنيفات للهجرة، فاما ان تكون هجرة داخلية او خارجية واما ان تكون مؤقتة او نهائية او دائمة مستمرة، مثل هجرة البدو الرحل الذين يستقرون هم وحيواناتهم اينما يجدون الماء والكـلاء .

والذى نقصده هو الهجرة الجزائرية التي تقوم بدارستها وهي هجرة خارجية . " فان كلمة "مهاجر" يجب ان نطلقها على من يهاجر بلاده نهائيا او يقيم في البلد المهاجر اليه ليعيش فيه، وهذا التعريف وضعه المكتب العالمي للشغل " (١١) وانني اعتقد بأن هذا التعريف ينطبق على العمال الجزائريين المغتربين في فرنسا لانهم يحملون احد الشرطين وهو العمل والعيش في البلد المهاجر اليه .

الواقع العام للعمال الجزائريين في فرنسا :

يقدر حجم الحالية الجزائرية في فرنسا حاليا حوالي ٩١٦,٨٧٣ نسمة، منهم ٤٦٠ الف ثلث تقل اعمارهم عن ٢٥ سنة (١٢) اى ما يعادل ٦٣ ٪ من حجم الحالية الجزائرية ، ومعظمهم مولودون في فرنسا او كبروا فيها ، والطابع العام للحالية الجزائرية ان اغلب افرادها ينتمون الى الطبقة العاملة، ونزاهم اليوم يعانون من مشاكل خطيرة وهي جديرة بالاهتمام والدراسة، وخاصة بعد ممارسة التمييز العنصرى وحوادث الاغتياال واعمال العنف التي يمارسها ضدهم بعض المتطرفين من الفرنسيين ، ونستطيع القول ان المشاكل التي تواجهها الطبقة العاملة الجزائرية في فرنسا، طابعها العام اقتصادى، ولكن جوهرها ثقافى معقد ومتعدد الجوانب .

ان الركود الاقتصادي الذي تعاني منه المصانع الفرنسية ، عمل على تفشي البطالة بين صفوف العمال الجزائريين ، ففي قطاع البناء انخفض عددهم بنسبة ٤٠ ٪ وذلك بين ٧٤ - ١٩٨١ ، وهذا الارتفاع في نسبة البطالة بين صفوف العمال المهاجرين ليس مفاجئاً لا للدارسين في هذا الميدان ولا للمهاجرين انفسهم ، لأنه مع بداية هجرة العمال الجزائريين الى فرنسا وحتى يومنا هذا لا يوجد لها قانون ثابت ، فلكل فترة من الفترات قانونها الخاص بها ، ينتج عن الظروف الخاصة لكل فترة ، وعادة فان المجتمعات الرأسمالية تشهد تزايداً في رأس المال الثابت (الآلات) بسرعة تفوق رأس المال المتغير (العمال) ، فتؤدي زيادة الاولى الى الاستغناء عن جزء من الثانية ، وحسب احصائيات المنطقة الوسطى انه في سنة ١٩٨٣ قد تمت ٣٥٠٠ عودة من مجموع ١٨٠٠ عودة مسجلين في الدوائر القنصلية الخمس التي تضم ٢١ ولاية (١٣) كذلك فان كاتبة جري في ١٩٨٤/١/٤ بمناسبة السنة الجديدة عن مشروع المساعدة المالية للعمال الذين يختارون العودة لوطانهم الاصلية ، فقالت : " إن اي مساعدة من اجل العودة ، يجب ان تأخذ بعين الاعتبار عدة جوانب ، حتى تكون عادلة ، منها عدد افراد العائلة ، وطول المدة التي قضاها كل عامل مهاجر بفرنسا ، ومراعاة مستوى المعيشة للبلد الاصلي ووضع الاقتصادى " (١٤) بالإضافة الى المشاكل الناجمة عن الازمة الاقتصادية من بطالة وطردها واعمال عنف وعنصرية ، فان العمال الجزائريين من الجيلين الاول والثاني ، يعانون هم وابنائهم من مشاكل السكن ، فهم في معظم الاحوال يسكنون الاكواخ القصديرية او البيوت الرديئة التي تنعدم فيها وسائل الراحة ، بالإضافة الى سوء التغذية ، كذلك فان العمال الجزائريين يواجهون مشكلة ثقافية ، والجيل الثاني بالذات ، نراه موزعاً على ثقافتين ، الاولى شفوية ، وهي ثقافة الاباء ، وهي مزيج من العادات والتقاليد الاصلية والثانية وهي ثقافة البلد المضيف ، ونتيجة لهذا ، فهم يعانون الحرمان من الثقافة الاصلية ومن تشويه لصورة الحضارية للبلد الاصلي والحرمان من الهوية الشخصية الوطنية ، لانهم غير قادرين على سيطرة او التمكن من احدي الثقافتين ، مما يؤدي للبعض منهم ازمة نفسية حادة .

الشخصية . فهم يرفضون مجتمعا يعيشون فيه على الهامش، وهذا يعود بالدرجة الاولى الى ان اغلب الجيل الاول أميون ولم يقدموا للجيل الثاني، المعرفة الكافية عن الجزائر ، فتقصير الآباء والعائلات بشكل عام عن قصد او غير قصد قد ساعد في خلق واقع مترد لا يتماشى مع ضرورات حياة اكثر اجتماعية وعدالة ازاء ابنائهم ، ومن هم في سوء وليتهم مما يزيد في حدة الضياع لدى من اصابته شراسة التمييز العنصرى والرفض من قبل المجتمع المستقبل ، هذا بالاضافة الى انهم مجبرون على الاحتكاك بالمجتمع الفرنسي ، وبشكل يومي ، ايضا ، فان قلة المدارس العربية في فرنسا تجبرهم على التعلم بالمدارس الفرنسية ، ولما كانت المدرسة الفرنسية قد وضعت على اسس تتعارض مع ظروف تربية هذا الجيل وثقافته الأصلية ، فانها ساعدت بالتالي على ان تحول حياة كثير منهم نحو الانحراف والفشل واصبحت ايضا ميدانا للصراع والتصفيات على عكس ما كان يعتقد الآباء من انها ستنفذ ابنائهم ، والملاحظ من خلال الدراسات التي اطلعت عليها ، ان ابناء العمال الجزائريين - ولاسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية هم اكثر الاطفال الفاشلين في المدارس الفرنسية ففي دراسة ميدانية اجريت سنة ١٩٧٠ شملت خمس مدن فرنسية اسفرت هذه الدراسة عن النتائج والارقام التالية : " ٢٠ ٪ من الاطفال المهاجرين الذين تبلغ سنهم ١٤ سنة لا يعرفون القراءة او الكتابة وكذلك ٢٦ ٪ يصلون سنويا الى مستوى الشهادة الابتدائية دون الحصول على هذه الشهادة (١٥) وحسب دراسة حديثة اجريت سنة ١٩٨٢ فان عدد التلاميذ الجزائريين في مختلف الفروع موزعون كالتالي : ١٣٠٣٧٦ طفل في التعليم الابتدائي ، وهناك ٨٤٩٣٠ في التعليم الثانوى وايضا ١٠ ٪ فقط من التلاميذ الجزائريين في المعاهد والثانويات الفرنسية وهناك ٩٠ ٪ يكون نصيبهم الفشل ، والكثير من هؤلاء يتحولون الى بروليتاريا ، وايضا ٦٠ ٪ يتركون المدارس الفرنسية بدون اى مؤهل مدرسي " (١٦)٠

وتشير معظم الدراسات ان المدرسين الفرنسيين ينظرون نظرة احتقار وتجاهل للاطفال الجزائريين ، ويعاملونهم معاملة الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية . كذلك قلة الزيارات والتي تعود غالبا لكثرة التكاليف . لذلك كله نجد ان الكثير منهم ينتحلون الشخصية الفرنسية لانهم لا يعرفون شيئا عن ثقافتهم الوطنية وتختلط عليهم الامور ، في حين انهم يعرفون الشيء الكثير عن المجتمع الفرنسي ، وعن ثقافته وعاداته وتقاليدته ويجدون فيه كل الوسائل الدافعة للابتعاد عن ثقافتهم الاصليّة .

تطرح هذه الوضعية - والتي لا محالة ستؤدي الى ارتفاع نسبة العائدين - تفكيرا جديا في عملية اعادة وادماج هؤلاء العمال المهاجرين والحاقهم بقطاعات الاقتصاد الوطني ، حسب امكانيات كل قطاع ، كذلك تأتي اهمية عملية اعادة هؤلاء العمال ، على اساس ان الغالبية العظمى منهم في مقتبل العمر او توجد بينهم نسبة كبيرة ذات تأهيل مهني مختلف بين العالي والبسيط ولا تتعارض عملية ادماجهم مع استراتيجيات التنمية الوطنية في الجزائر ، فهم يعتبرون ثروة كبيرة وقوة عمل حية لا يزال الاقتصاد الجزائري محروما من خدماتها ومساهماتها حتى الان ، ولهذا يعتبرون في عداد العاطلين اذ افسناهم الى الاقتصاد الجزائري ، باعتبارهم مواطنين جزائريين لهم حق العمل



في وطنهم ، وانني في هذه الدراسة المتواضعة ، أنبه الى قضية مهمة ، وهي انه من المحتمل ان تستغل فرنسا الظروف الحالية للعمال الجزائريين وتمارس في المستقبل ضغوطات وابتزازات سياسية على الجزائر ، مثلما فعل النظام الملكي في المغرب عشية استقلال الجزائر ، حيث كانت هدية للجزائر يوم الاستقلال طرد ٦٠ الف مهاجر من الاراضي المغربية .

ان قطاع البناء في الجزائر يتطلب ٤٠٠٠ منصب للمؤطرين وقد سجل فعلا ارتفاعا لا بأس به في هذا المجال ، اذ بلغ عددالذين ادمجوا في سنة ١٩٧٩ حوالي ٣١٥٥ عامل . في حين لم يزد عدد هؤلاء في سنة ١٩٨٢ عن ٧١٤ عامل^١ (١٧) . وهذا الضعف في عدد العائدين يكشف عن الصعوبات التي تواجهها عملية الاندماج ، وهذا لا يعني انني انظر الى هذه العملية نظرة سلبية ، ولكنني ارى انها ليست سهلة ، وتتباين هذه الصعوبات في عملية الاندماج بين الجيل الاول والجيل الثاني ، فالعمال من الجيل الاول تتطلب عملية ادماجهم توفير شرطين اساسيين هما السكن وتوفير فرص العمل ، ولكن المشكلة هي ان الخطا التنموية في الجزائر بدأت منذ عام ١٩٧٩ بالتراجع الى الوراء واصبحت لا تحقق الانسبا قليلة ونتائجها ظلت دون الاهداف المنتظرة فلا زالت فرص العمل دون المستوى المطلوب ، ولا زالت ازمة السكن قائمة للآن . ولكن العمال من الجيل الثاني فان عملية ادماجهم تواجه صعوبات من نوع آخر ، وهذه الصعوبات تعود لطبيعة الشروط التي تتم فيها هذه العملية ، فعملية ادماجهم تتطلب شروطا خاصة ولا بد ان تتقيد بمراعاة الاحوال التي يعيشها العمال المهاجرون بمختلف اعمارهم ومحاولة التعرف على الظروف التي يعيشونها في ارض المهجر وبعد ذلك تطرح خطأ على المستوى الوطني لاعادة ادماجهم في ظروف طبيعية ، وربما تكون الجزائر في عهد الزعيم الراحل هواري بومدين قد تنبعت الى هذه القضية ، فقد بدأت في مطلع سنة ١٩٧٥ في فتح المدارس التي تدرس باللغة الوطنية على مستوى الدول الاوروبية ، وخاصة فرنسا ، من اجل المحافظة على الهوية الثقافية للعمال المهاجرين ، وتؤكد مصادر الودادية^٢ ان هناك حوالي ٣٠ الف طفل وشاب يتلقون دروسا باللغة الوطنية على مستوى البلدان الاورويبية^٣ الاربعة (فرنسا . بلجيكا . سويسرا ، المانيا) (١٨) ويتولى تدريسهم عدد من الاساتذة والمعلمين العرب ، الذين اوفدتهم وزارة التربية والتعليم الجزائرية ، وقد تدعمت هذه العملية بعد الاتفاق الفرنسي الجزائري الذي أبرم بهذا الشأن كما ان هناك عدة مدارس فرنسية تنظم دروسا باللغة العربية لابناء المهاجرين والراغبين فيها من ابناء الجاليات العربية الأخرى .

رغم ان الظروف الحالية للعمال الجزائريين ، والتي لا محالة ستؤدي الى زيادة عدد العائدين من فرنسا ، الا ان النمو الديموغرافي وسط الجالية الجزائرية والذي يقدر سنويا بحوالي ٢٥ ألف نسمة (١٩) وهذا ما يجعل عدد العمال المهاجرين في نسبة استقرار ، بالإضافة الى ذلك هناك العديد من العوامل التي تساعد على جعل عدد العمال المهاجرين في نسبة مستقرة وتعرقل حركة العودة الى الوطن وبشكل خاص لفئات العمال من الجيل الثاني .

احساس العامل الجزائري بانتمائه الوطني امر غير مشكوك فيه بل كما زادت حدة العنصرية



وتعددت الجوانب العدائية في الوسط الذي يعيشون فيه تعاظمت لديهم ارادة الانتماء الى الوطن ... الا انها مهما بلغت من قوة ، فانها لا تبلغ مع الاسف الى حد كسر جدار الهجرة ، فالعمال من الجيل الثاني غير قادرين على تقبل ظروف بلدهم فهم يعقدون المقارنات بين النموذج الذي نشأوا فيه وبين وطنهم الاصلي ، ولهذه الاسباب لا يتوصل بعضهم بل الكثير منهم الى فهم حقيقي لعدد كبير من القيم الاجتماعية والثقافية لبلدهم ، مما يدفع بهم الى اصدار احكام مسبقة طابعها العام سلبي ورغم هذا يبقى المثل الاعلى للعمال الجزائريين هو العودة لوطنهم ، ولكن مع توضح جميع عناصر الحياة المادية والمعنوية التي يعيشها في البلد المضيف .

العودة والاندماج :

لقد رأينا ان الكثير من العمال الجزائريين قد هاجروا الى فرنسا من اجل تحقيق اهداف فسلوا في تحقيقها على ارض الوطن ، لظروف واسباب موضوعية سيق وان تطرقت الى جزء منها ، واليوم وبعد مضي ربع قرن على حصول الجزائر على الاستقلال ، نرى انه قد زالت الكثير من تلك الظروف الدافعة للهجرة ، ولكن بعضها لا يزال قائما للآن ، مثل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تتمثل في ندرة فرص العمل والسكن ، وبعض الشروط الاخرى التي تعتبر اساسية بالنسبة للعودة والاندماج . وكذلك نجد اليوم ان النسبة العظمى من العمال المهاجرين مضطرون للعودة الى وطنهم بسبب توفر الظروف الطارئة في المجتمع الفرنسي ، والتي تتمثل في الازمة الاقتصادية واعمال العنف والعنصرية والبطالة التي تحدثنا عنها في السابق . لذلك سنقف هنا للتعرف على كل من العودة والاندماج .

ان العودة هي نتيجة للارزمة التي تمر بها فرنسا حاليا ، كباقي الدول الرأسمالية ذات الاقتصاد العفوي ، اما الاندماج فانه يوضح الارادة الديناميكية للحكومة الجزائرية التي برزت نتيجة للطور الاقتصادي الذي حققته الجزائر من خلال المخططات التنموية . ايضا هنا يجب ان نفرق بين نوعين من العودة ، وهما العودة المنتجة والعودة غير المنتجة وهذه الاخيرة يمكننا التعرف عليها من خلال ما يلي .

(١) العلامات الشخصية : والتي تتمثل في العمر واللباقة البدنية والتأهيل المهني ، والاطار المهني الذي سيندمج فيه بالجزائر - فعندما يكون الشخص كبير السن مثلا . فانه يحال على التقاعد ، وحسب الاحصائيات الفرنسية لسنة ١٩٧٥ ، رجع الى الجزائر حوالي ١٣٣٤٣ متقاعد جزائريا بلغوا من العمر اكثر من ٦٠ سنة " (٢٠) .

(٢) احداث العمل : او الأمراض المهنية ، ونحن هنا نعلم بأن احداث العمل والأمراض المهنية كانت منتشرة بفرنسا نتيجة لسوء احوال العمل وخاصة في الصناعات الكيماوية " ففي سنة ١٩٧٥ اصيب حوالي ٥٩٨٦ عاملا بحوادث عمل من بين ١٧٩٦٤٥ عاملا جزائريا " (٢١) اذا فهو لا العمال الجزائريون المصابون بحوادث عمل عندما يعودون للجزائر فان عودتهم تكون غير منتجة .

(٣) العمال المساعدون : ايضا هناك نسبة معينة من العمال الجزائريين في فرنسا لا يحملون مؤهلا مهنيا (عمال مساعدون) ويشغلون في المهن التي لا تتطلب اى مؤهل فني ، فعودتهم للجزائر تكون غير منتجة لمدة من الزمن حتى يجدوا اعمالا مشابهة للتي كانوا يعملون بها في فرنسا .

اما العودة المنتجة فهي تتمثل في العائدين القادرين على العمل والانتاج والذين لا تتأخر عملية ادماجهم مع استراتيجيات التنمية القائمة في الجزائر ، فمنهم نسبة كبيرة من الشبان واغلب الذين يعودون ، يحملون معهم مؤهلات علمية او تكوين مهني او خبرة فنية ، وهذا يعني ان هؤلاء العائدين تكون عودتهم منتجة ، لانهم يساهمون في بناء الاقتصاد الوطني ويطورون دفعة قوية الى الامام وسيعملون على سد عجز كبير في اليد العاملة وخاصة في القطاع الصناعي . وبناء على ما تقدم ، فاني سأركز اهتمامي في هذه الدراسة على العودة المنتجة وخاصة في القطاع الصناعي الذي شهد تطورا ملحوظا نتيجة للمجهودات التي بذلتها الحكومة الجزائرية في السنوات الاخيرة عبر المخططات التنموية في كل المجالات التي تعمل على خلق فرص عمل جديدة ونستدل على ذلك من خلال الجدول التالي الذي يوضح وفرة فرص العمل والاماكن الشاغرة في مختلف الشركات الوطنية والتي هي بحاجة الى ايدي عاملة من مختلف المستويات .

جدول رقم (١)

نوعية العمل	عدد الاماكن الشاغرة	النسبة المئوية %
(١) كيمياء ، بتروكيمياء ادوات بناء	١٤٠٣	١٩ ر ٩ %
(٢) ميكانيك ، وبناءات معدنية	١٢٣٥	١٧ ر ٢ %
(٣) الكهرباء ، الالكترونيات المواصلات	١١٢٥	١٧ ر ٢ %
(٤) الصناعات النسيجية	٤٣٥	٦ ر ٦ %
(٥) انتاج واعادة تحويل المعادن	١٩٥	٢ ر ٩ %

ايضا فان العودة المنتجة تتطلب منا دراسة امكانيات ادماج العائدين في جميع النواحي ، وفي كافة القطاعات من جهة ، ومن جهة اخرى دراسة قدرات العائدين وتخصصاتهم حين عودتهم لارض وطنهم .

امكانيات دمج العمال العائدين :

ان امكانيات دمج العمال العائدين تتطلب جهودا كبيرة سواء من ناحية الإقامة او خلق فرص العمل و التكوين ، وهذه الامكانيات نستطيع ان نتلمسها من خلال مجهودات الحكومة الجزائرية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية للقطاعين الصناعي والزراعي .

والحكومة الجزائرية تواجه عملية دمج العائدين من خلال سياسة خلق فرص العمل بداخل الجزائر ، وذلك باتباعها لسياسة التصنيع والاهتمام بالقطاع الزراعي ، فلقد " خصصت ما يزيد عن ٤٠ ٪ من ميزانياتها لسنوات ١٩٧٠ - ١٩٨٠ للاستثمارات في كل القطاعات " (٢٢) .

وانني هنا سأحاول الوقوف على نصيب كل قطاع من هذه الاستثمارات وعلاقته بخلق فرص العمل التي تتوافق مع قدرات العائدين .

اولا : القطاع الصناعي :

ان القطاع الصناعي قد خصته مخططات التنمية بنصيب الأسد من ناحية توزيع الاستثمارات وكانت الجزائر تهدف من وراء ذلك انقاذ البلاد من دائرة التخلف والاستيراد الذي يجلب التبعية ويكلف الاموال الكثيرة من العملة الصعبة من جهة ومن جهة اخرى حل مشاكل التشغيل . وبالرغم من ان التصنيع في الجزائر اخذ نصيب الأسد من الاستثمارات ، الا انه لم يحقق النتائج المرجوة ، وهذا يعود الى ان الجزائر ركزت على المشاريع الضخمة التي تتطلب اموالا كبيرة وكذلك عدم توفر متوجاتها بسرعة نظرا للتعقيدات التي تتسم بها ، واهمال الصناعات المتوسطة والخفيفة ، والتي بالاساس يعتمد عليها لتحقيق انتاج سريع ومعدل عال في التشغيل ، كذلك فان التكنولوجيا المستخدمة حاليا في الانتاج هي من النوع العالي جدا وهي لا تتطلب اعدادا كبيرة من العمال . وهذا ما يتعارض مع عملية اعادة العمال المهاجرين ، ولذلك فان تقديرات التشغيل السابقة كانت غير واقعية ، بالاضافة الى ان هذه التكنولوجيا تحتاج الى ايدٍ عاملة متخصصة ، بنفس الوقت فان نسبة كبيرة منهم لا يتمتعون بأى تأهيل مهني يذكر .

الا ان افاق هذا القطاع تعتبر مشجعة فعلا في المستقبل ، حيث ان المخطط الخماسي ركز على الصناعات المتوسطة والخفيفة ، ولا يفوتنا هنا ان نذكر ان المشاريع الصناعية في الجزائر لا زالت قيد الانجاز والجدول التالي يوضح لنا احتياجات المخطط الخماسي المبرمجة وكذلك الاعداد المتوفرة ، ونشير بأن هذه الاعداد تمثل العمال المتكويين من الاطارات وحتى العمال المؤهلين :

نلاحظ من خلال الجدول ان هناك عجزا كبيرا في اليد العاملة ، ولا بد من سد هذا العجز ، حتى تتمكن الجزائر من تطبيق المخطط الخماسي الذي يحدد المنهج الاقتصادي والاجتماعي للوطن اكثر من السابق . ان هناك مصدرا هاما لتلبية هذه الحاجة ، وهو العمال المهاجرون من

جدول رقم (٢)

x جدول يوضح ميزان القوى العاملة الموءهلة لمرحلة

٨٠ - ١٩٨٤ (٢٤)

نوعية التأهيل	الحاجة	قيد التكوين	العجز
اطارات عالية	٨٤٠٠٠	٦١٠٠٠	٢٣٠٠٠
اطارات متوسطة	١٨٦٠٠٠	١٥٨٠٠٠	٢٨٠٠٠
موءهلين	٤٠٣٠٠	٢٤٥٠٠٠	١٥٨٠٠

فرنسا ، وتعتبر هذه الحاجة بمثابة فرصة لاعادة ودمج نسبة كبيرة من العمال المهاجرين ، برعا وبأعداد معتبرة ، ولكن الصعوبة التي تطرح هي الاختصاص المهني ، " فهناك حوالي ٨٠ ٪ لبيت لهم الا التجربة العملية فقط دون اى اثبات لآى تأهيل مهني ، وهناك ٢٠ ٪ فقط لهم تأهيل مهني يزاولون به اعمالا متواضعة الاهمية بالخارج " (٢٥) .

ان المصانع الفرنسية تشغل حاليا قرابة ١٢٠ الف عامل جزائري في مختلف الصناعات الميكانيكية والكهربائية وصناعات النسيج والصناعات الكيماوية ، وايضا هناك اكثر من ١٠٠ الد يشتغلون في قطاع البناء والاشغال العمومية ، والاعداد الاخرى موزعة بنسب مختلفة على مجالات مختلفة (٢٦) هنا اود ان اشير الى ان قطاع البناء في الجزائر يشكو من نقص كبير في الايدي العاملة وايضا هناك مجالات اخرى لا تقل اهمية عن قطاع البناء ، ولكن نسب التشغيل بها اقل ، وهذا يعني انه لو نسقت المصالح المختصة فيما بينها لكنت هناك نتائج اكثر ايجابية بشأن عودة ودمج العمال المهاجرين .

ثانيا : القطاع الزراعي

اذا كانت الاوضاع بالقطاع الصناعي على هذه الحال ، فماذا عن القطاع الزراعي الذي خصت مخططات التنمية الوطنية بأهمية اقل من القطاع الصناعي من ناحية توزيع الاستثمارات .
 سجل في ١٩٧٨ حوالي ٨٧٤ الف عامل زراعي دائم وذلك بالقطاعين العام والخاص (٢٧) ويعتبر هذا الرقم هاما جداً اذا عرفنا ان ثلثي الاراضي الفلاحية الصالحة للزراعة في الجزائر لم تستغل لان ذلك لقلة الامكانيات والصعوبات المناخية ، ويكتسب هذا الرقم اهميته كذلك من انه تحقق في ظل مجتمع حديث التنمية .

الا ان هذا القطاع شهد تناقضا من ناحية الايدى العاملة ، لان الكثير منهم تحول الى القطاع الصناعي ، بالاضافة الى اهتمام الكثير من الشبان بمتابعة الدراسة التي اصبحت امكانياتها متوفرة اكثر من اى وقت مضى ، الى جانب عدم ثبات الدخل الزراعي .

يجب على هذا القطاع ان يمتص الكثير من الايدى العاملة التي توجد في حالة بطالة وكذلك لا بد من عصنة هذا القطاع وادخال الآلات الحديثة واتباع الطرق العلمية وامداده باليد الفنية من تقنيين ومهندسين زراعيين ، كذلك فان انخفاض الانتاج وانخفاض الايدى العاملة بهذا القطاع ، اصبح يشكل ثغرة في التطور المتكامل للاقتصاد الوطني ، وهذا ناجم عن سوء توزيع الاستثمارات في المخططات التنموية الى جانب التطبيق البيئي للشورة الزراعية على جميع مراحلها وانتشار البيروقراطية بمفهومها السلبي وعدم منهجية الانتاج الزراعي في مجالات التسويق وتوزيع المواد الزراعية واهمال مشاكل الفلاحين .

ان عملية خلق تطور متكامل للاقتصاد الوطني تتطلب تطورا متوازيا لكلا القطاعين الصناعي والزراعي ، وبالنسبة فان القطاع الصناعي في الجزائر لن يعوض النقص الموجود في القطاع الزراعي وخاصة اذا عرفنا ان الركائز التي يعتمد عليها القطاع الصناعي (البترول والغاز) ربما تنتهي في يوم من الايام ، لذلك يجب الاهتمام بالقطاع الاكثر ضمانا وديمومة هو القطاع الزراعي الذي يستطيع استيعاب اعداد كبيرة من العمال يصعب علينا التكهن بمعرفتها .

بالرغم من ان القطاع الزراعي يستطيع ان يستوعب اغلب العمال المهاجرين الا انه لا يوجد اقبال على هذا القطاع ، وهذا يعود لاختلاف طبيعة العمل الزراعي بين فرنسا والجزائر ، فالمهاجر الجزائري في فرنسا يعمل اجيرا زارعا ويتقاضى هناك اجرا محددا مقابل العمل الذي يقوم به ، بينما في الجزائر فان العامل يعتبر شريكا في العمل والانتاج ، ويحدد اجره حسب انتاجية الارض فعدم فهم العمال الفلاحيين لهذا الفرق ، بين العمل في فرنسا والعمل في الجزائر ، بسبب غياب جهاز التنظيم للعمال الفلاحين وهو جهاز اساسي من اجهزة الثورة الزراعية ، جعل الكثير منهم يتخلون عن العمل الزراعي الى العمل الصناعي او العودة ثانية الى فرنسا بسبب التذبذب في الاجر ، ولقد اشارت مجلة الجزائريين في اوروبا رقم (٢٠٩) الى انه " من بين ٥٠٠٠ عائد من فرنسا لم يسجل اى واحد في القطاع الفلاحي " (٢٨) نظرا لان هذا القطاع لم يحقق بئرا نمو سريعة من شأنها سد حاجيات الوطن من المواد الغذائية ، وتستقبل اليد العاملة العاطلة عن العمل والمهاجرة من فرنسا .

فرص الاقامة والتعليق

نستنتج مما تقدم ان فرص العمل متوفرة لأغلب العمال المهاجرين ، ولكن تبقى شروط الاندماج ناقصة ، إذا ما راعينا الطابع النوعي للهجرة الجزائرية في فرنسا التي تغطي عليها النسبة الكبيرة من الاطفال والنساء ، وهذا يعني انه لا بد من توفير المسكن لعائلة العامل المهاجر والمدرسة

لاطفاله . فالكثير من العمال المهاجرين لا يستطيعون العودة لوطنهم في حالة عدم توفر هذين الشرطين .

ان قطاع الاسكان والتعمير لم يشهد تطورا موازيا ولم يكن مساهما لحركة النمو الديموغرافي الذي يشهد معدل ازدياد بنسبة ٣ ٪ . وكذلك عن مسايرة التطور الاقتصادي للجزائر . " فانجازان العشرية الواقعة بين ٦٧ - ١٩٧٨ ، بلغت حوالي ٥٠٣٠٠ سكن حضري ٨٨٠٠٠ سكن ريفي وهوما يعبر عن نسبة ٣٤ ٪ من مجموع المساكن المسجلة للانجاز " (٢٩) " وارتفعت هذه النسبة الى ٤٠ ٪ في الفترة الواقعة بين ١٩٧٩ - ١٩٨٢ ، حيث تم انجاز ١٤١٠٠ سكن حضري ٨٢٠٠٠ سكن ريفي " (٣٠)

ان هذه النتائج طلب رغم الجهود المبذولة دون الاهداف المسطرة خصوصا اذا اخذنا في الاعتبار ضخامة الوسائل المعتمدة والوضعية المعلقة لهذا القطاع ويعزى رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني (الشاذلي بن جديد) في المؤتمرات الخامس للحزب ، اسباب تدنى النتائج في هذا القطاع الى نقص التحكم في نمو مؤسسات الانجاز ، كما ترجع الى استمرار حالات الضعف في التنظيم والتسيير والى ضعف التأطير .

ومن كل هذا فما هو موقع العمال المهاجرين من هذا القطاع وما هو نصيبهم منه ؟

في الحقيقة ان السكن هو من اهم شروط الاندماج بالنسبة للعمال العائدين وهذا عموما ما عبر عنه المهاجرون في دراسة اجرتها مجلة الجزائريين في اوروبا في عددها رقم ٢١٧ ، غير ان هناك اجراءات خاصة بالمهاجرين ، وهناك اجراءات عامة في هذا القطاع ، ينال منها المهاجرون قسطهم ففي هذا الاطار تمت اعمال معتبرة تناولت اساسا تحديد الادوات الجديدة للتخطيط العمراني "وانطلقت الدراسات حول التهيئة العمرانية في بعض الولايات مع الفصل بين أنشطة الدراسة وأنشطة الانجاز ، كما تحقق اخيرا توسيع التشريع التنظيمي في بعض المناطق الريفية في مجال رخص البناء" (٣١) .

كما ان الصندوق الوطني للتوفير اعطى امتيازات خاصة لبيع مساكن جاهزة للمهاجرين الذين يوفرون بالدينار الجزائري او بالعملة الصعبة ، ومنحهم قطع اراضي خاصة بالبناء . الا ان هذه الاجراءات لم يكتب لها التحقيق لان المهاجرين اخذوا يبنون مساكنهم في مناطقهم الاصلية . اما بالنسبة للتعليم فان المشكلة لا تقع في تدني عدد المؤهلات التعليمية او المعاهد او الاطارات ، ولكنها تقع في مجال اللغة والثقافة والتي تطرقنا للحديث عنها سابقا . فأغلب أبناء المهاجرين لا يعرفون اللغة الوطنية بسبب انهم تابعوا دراساتهم باللغة الفرنسية .

ان هياكل الاستقبال في مختلف مراحل التعليم ، لا تضع اى مشكلة في طريقهم وخاصة العائدين من فرنسا فالسهيلات التي قدمتها وزارة التعليم على مستوى المدارس والجامعات والمعاهد بمختلف انواعها ، كانت كلها في صالح أبناء العمال العائدين ، ففي التعليم الثانوي يعفى الطلبة العائدين من تقديم امتحان اللغة الوطنية ، غير انهم ملزمين بحضور الدروس حتى يتمكنوا من



تعلمها ، وكذلك يسمح للطلبة الجامعيين العائدين بعدم تقديم امتحان اللغة الوطنية خلال فصلين دراسيين مما يعطيهم فرصة تعلمها في سنة كاملة ، غير ان هذه الجهود المبذولة من طرف وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي لدمج أبناء العمال المهاجرين في وطنهم الاصلي ، تصطدم بصعوبات كثيرة حيث ان معظم هؤلاء الطلبة يقدمون رغبتهم في التسجيل في احدى جامعات الجزائر ، ولكنهم بعد فترة ينقطعون عن الدراسة او يعودون الى فرنسا بدون الاتصال بالجهات المعنية ، " ففي سنة ١٩٨٢ كان عدد الطلبة العائدين الذين يدرسون في الجامعات الجزائرية يبلغ حوالي ٣٢٠ طالب وطالبة ، ولكن نقص هذا العدد في سنة ٨٢ - ١٩٨٣ الى ١٦٥ طالباً وطالبة " (٣٢) .

وانني ارى ان سبب ذلك كما اشرت في بداية الدراسة الى ان مشكلة العمال المهاجرين لها جانب ثقافي معقد ومتعدد الجوانب ، لهذا فان الخلل الذي يقع في عملية الدمج ، يعود الى غياب طريقة تربوية صحيحة تساعدهم في الاندماج ، وتراعى ظروف البيئة التي جاؤا منها في مختلف اعمارهم .

السياسة الجزائرية في ميدان دمج العمال المهاجرين :

ان الجزائر تسلك سياسة يمكن ان نطلق عليها اسم " خلق الفرص للطبقة المنتجة" وكذلك فان قضية العمال المهاجرين تندرج في كبريات المهام للحكومة الجزائرية وان ارادة دمجهم في قطاعات الاقتصاد الوطني ، متوفرة ، ولكنها تحتاج الى توفير الشروط المادية والمعنوية من اجل ترجمتها على ارض الواقع ، لهذا فاني ارى بان فكرة دمج المهاجرين لا زالت تناقش كمفهوم مطلق حيث لا زال المسؤولون في دائرة التخطيط ولم يخرجوا الى حيز التنفيذ .

ان قضية دمج العمال المهاجرين طرحت في الملتقى الاول حول الهجرة ونلاحظ ان التقارير الخاصة بالاجتماع الوطني الاقتصادي والاجتماعي الذي عقد مرتين " في ١٩٦٩ ومرة ثانية في ١٩٧٢ " . (٣٢) ، وقد نصت جميع هذه التقارير على تنظيم العودة بالنسبة للعمال المهاجرين وخلق فرص عمل لهم في الشركات الوطنية . " وكذلك شرعت الشركة الوطنية للحديد والصلب في سنتي (٧٠ - ١٩٧١) في دراسة افاق العودة للعمال المؤهلين الذين يشتغلون في شركات التعدين الفرنسية " . (٣٤) ، وعندما برزت الى الوجود محاولات الاغتيال واعمال العنف وانتشار العنصرية وتفشي البطالة والطردي بين صفوف العمال المهاجرين في فرنسا وخاصة في سنتي (١٩٧٣ - ١٩٧٥) (٣٥) الامر الذي دفع بالسلطات الوطنية الى تكليف كل من وزارات الاسكان والعمل والتعليم العالي لدراسة الامكانيات والوسائل التي تكفل خلق المناخ المناسب للدمج التدريجي للمهاجرين الجزائريين في وطنهم الام . وفلا حددت في هذه السنوات الخطوط العريضة لهذه العملية من خلال الاجتماع الذي ضم حوالي ٢٥٠ شخصا يمثلون معظم الوزارات والشركات الوطنية ، وجهاز الاعلام وجهاز التوظيف واليد العاملة وودادية الجزائريين بأوروبا وقد درسوا المحاولات السابقة في هذا المجال ووقفوا على نقاط الضعف ، وكانت الاقتراحات

والتوجيهات التي خرج بها المجتمعون تتمثل في النقاط التالية : (٣٦)

(١) تنظيم تعاقدات لتوظيف العمال المهاجرين في الشركات الوطنية .

(٢) مساعدة المكتب الوطني لليد العاملة في كل المجالات كي يستطيع القيام بواجبه تجاه

العائدين .

(٣) تشكيل لجان للاستقبال ، لتحقيق ظروف حسنة للاندماج بالنسبة للعمال وعائلاتهم .

ولقد كانت هذه الاجراءات تتم على شكلين ، الاجراءات الاولى وتقوم بها الحكومة وتتمثل في تحويل اموال العمال المهاجرين بالتنسيق بين الصندوق الوطني للتوفير ، وبين الاتحاد الفرنسي لصناديق التوفير ، لكي يتم هذا التحويل بصورة مباشرة وكاملة ، بالاضافة الى ان الحكومة الجزائرية تعطي العمال العائدين مبالغ تشجيعية بالاضافة الى اموالهم المحولة بالعملة الجزائرية . ومن الاجراءات الاخرى التي اتخذتها الحكومة الجزائرية كانت بشأن املاك العمال العائدين واعفائهم من الضرائب الجمركية .

وهناك اجراءات اخرى تخص الشركات الوطنية ، وتتمثل هذه الاجراءات بأن تدفع هذه الشركات كل تكاليف عودة العمال المتعاقدين معها ، ومثالا على تلك الاجراءات التي قامت بها الشركة الوطنية للبترول (سونطراك) حيث قامت بتوفير جميع الشروط اللازمة لتأمين متطلبات الحياة لعمالها في الجنوب الجزائري ، وتقوم بمنحهم اجازات لزيارة عائلاتهم في مناطق الشمال والشرق الجزائري ، الا ان هذه الاجراءات لا تخص جمهوراً قليلاً من العمال ، وخاصة الذين يمتلكون مهارات عالية في العمل ، وتتوفر فيهم الشروط اللازمة التي تتطلبها هذه الشركات . نلاحظ مما تقدم ان هناك جهوداً مبذولة لدمج العمال المهاجرين ولكن تبقى هذه الجهود دون المستوى المطلوب بالقياس الى حجم العمال المهاجرين ، وبالقياس الى الامكانيات المتوفرة لدمجهم .

الدراسات السابقة :

ارغب هنا ان اشير الى بعض الدراسات في مجال العودة والاندماج التي حاولت ان تكشف عن وضعية العمال المهاجرين ونرى في البداية محمد خندريش في دراسة "التنمية وإعادة الاندماج" ان عملية الاندماج تتطلب الربط بين الواقع العام للهجرة الجزائرية في فرنسا والواقع الحالي للمجتمع الجزائري وكذلك حاول الربط بين عملية الاندماج وعملية التنمية الوطنية ، كما انه يرى ان المشاكل والصعوبات التي تواجه العائدين تشكل اطاراً مهماً للاعلام والصحافة ومختلف البحوث ، ايضا ينبه محمد خندريش الى قضية مهمة وهي ان الهجرة الجزائرية ستؤثر على العلاقات بين فرنسا والجزائر ، ولكنه لا يتكهن بشكل هذا التأثير .

اما "رابح شاكر" الذي حاول ان يدرس ويبحث في مستقبل المهاجرين وامكانية ادماجهم .
 ايضا فان الكاتب الفرنسي "لوماسن" قد تطرق الى هذه القضية عندما درس اسباب واهداف الهجرة
 وآفاق العودة الى الجزائر . يضاف الى هذه البحوث ما كتب في المجلات والجرائد التي اعطت
 موضوع الهجرة اهتماما كبيرا . الى جانب الندوات والموائد المستديرة والمحاضرات التي تهتم
 بهذا الموضوع مثل المحاضرة التي القاها "كيرلين" (Kerlen) في باريس وترجمت للغة
 العربية حول اعادة دمج المهاجرين الجزائريين في وطنهم الام " (٣٧) .

ونستطيع القول ان جميع هذه الدراسات قد تحصلت على نفس النتائج فيما يخص صعوبات
 دمج العائدين الى الجزائر ، واكدوا ان معظم المهاجرين العائدين يعانون من مشاكل السكن وفرص
 العمل والنقل والمواصلات .
 الا ان هذه الدراسات لم تعطي الجانب الثقافي لموضوع الهجرة القدر الذي يستحقه والذي
 اعتبره جانباً اساسياً ومهما ويصعب تجاهله في عملية العودة والاندماج .

الخاتمة

ان الشيء الاساسي الذي يمكن استنتاجه من خلال هذه الدراسة المتواضعة ، ان المعاناة التي
 يتعرض لها العمال الجزائريين في فرنسا ، ستلاحقهم الى وطنهم الاصلي ، ما لم تأخذ الجهات
 المعنية ، بعين الاعتبار في كل من فرنسا والجزائر ، ان عودة العمال الجزائريين الى وطنهم تتطلب
 دراسة كاملة ووضع خطة شاملة على المستوى الوطني ، مع عملية دمج حقيقي في كافة المجالات .
 ان هذه المشاكل التي تواجه العمال الجزائريين واسرهم واطفالهم ، انما هي جزء من المشاكل
 التي تواجه مجموع العمال المشردين والمبعدين عن اوطانهم الاصلية وهي نموذج للمعاناة والمشاكل
 التي تتعرض لها الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية، هناك اقسام كبيرة من العمال التي تتعرض لها
 الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية . هناك اقسام كبيرة من العمال الفلسطينيين ، اضطروا للعيش
 في مختلف البلدان العربية والاجنبية ، تمارس ضدهم كافة اشكال القمع والارهاب والتمييز الاقليمي
 بل وحتى دفع ثمن الاسم الفلسطيني .

ان الواقع العام للعمال الفلسطينيين في الدول الرأسمالية ، وخاصة المانيا الغربية ، التي
 يتواجد على ارضها الاف العمال الفلسطينيين ، حيث يتشابه واقعهم الى حد بعيد مع واقع العمال
 الجزائريين في فرنسا .

ان الواقع العام للعمال الفلسطينيين في الارض المحتلة وخارجها في مختلف مناطق الشتات
 الفلسطيني يفتقر الى الكثير من البحث والدراسة ، وهنا يقع اللوم على عاتق الاتحاد العام
 لنقابات العمال ، ومراكز الابحاث في الجامعات الفلسطينية والباحثين الفلسطينيين ومثل هذه
 الدراسات لن يكون لها اسهامات جديدة ، اذا اعتمدت على الجهود الفردية ، فهي تحتاج الى
 جهود جماعية ودعم مادي كبير يغطي مثل هذه الدراسات .

- (١) زوزو عبد الحميد ، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٣٩) الشركة الوطنية للتوزيع والنشر - الجزائر ١٩٧٤ ص ١٢ .
- (٢) صحيفة اضاء الاسبوعية ، الجزائر الصادرة بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٣ .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) مجلة الجواب ، لسان حال ودادية الجزائريين بأوروبا - باريس ١٥ آذار / ٥ نيسان / ١٩٨٣ عدد رقم ٦ ص ٥
- (٦) مجلة الجواب ، باريس ١٥ كانون ثاني / ١٥ شباط / ١٩٨٣ عدد رقم ٤ ص ١٢ .
- (٧) د . نعيم الرافعي ، دراسة في سيكولوجية التكيف ، مطبعة طربيم ، دمشق (ط ٢) سنة النشر ١٩٦٩ ص (٣٢) .
- (٨) د . مصطفى فهمي ، التكيف النفسي ، دار الثقافة ، الزمالك ، القاهرة ، (ط ٢) ١٩٦٧ ص (٢٠)
- (٩) د . مصطفى سوي ، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، دار المعارف بمصر (ط ٣) بدون سنة النشر ص (٢٥) .
- (١٠) د . فؤاد محمد الصقار ، د . محمد رشيد الفيل ، اصول الجغرافية البشرية ، وكالة المطبوعات - الكويت الطبعة الاولى ١٩٨٠ صفحة (٢٣٥) .
- (١١) زوزو عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره ص (١٢) .
- (١٢) مجلة الجواب - عدد رقم ٤ ص ١٢ .
- (١٣) مجلة الجواب - عدد رقم ١٠ ص ٣١ .
- (١٤) المصدر السابق .
- (١٥) مجلة الجيش : الجزائر شباط ١٩٨٤ ، عدد رقم ٢٣٩ السنة العشرين ص ١٦ .
- (١٦) صحيفة اضاء الاسبوعية - مرجع سبق ذكره .
- (١٧) المصدر السابق .
- (١٨) مجلة الحشر ، مرجع سبق ذكره ، ص (١٦) .
- (١٩) مجلة الحشر ، مرجع سبق ذكره ، ص (١٧) .
- (٢٠) محمد خدرش التنمية واعادة الاندماج - مكتب الدراسات الجامعية ، حدرا الحرائر العاصمة ١٩٨٢ - الصفحات ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٢١) المصدر السابق .
- (٢٢) المصدر السابق .
- (٢٣) د . عمار بوحوش ، العمال الجزائريون في فرنسا (ط ٢) الشركة الوطنية للتوزيع والنشر - الجزائر ١٩٧٩ ص ٣١٧ .

- (٢٤) مجلة اقتصادى العالم الثالث عدد (٥١) شهر اكتوبر ١٩٨٠ .
- (٢٥) د . عمار بوحوش ، مرجع سبق ذكره الصفحات ٣٢٠ - ٣٢١ .
- (٢٦) المصدر السابق .
- (٢٧) مجلة الجرائد في ارقام - ١٩٨٠ .
- (٢٨) مجلة الجرائدين اوروبا عدد رقم ٣٠٩ .
- (٢٩) مجلة المجاهد ، اللسان المركزى لحزب جبهة التحرير الوطنى F.I.N العدد رقم ١٢٢٠
- الصادرة بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٨٣ .
- (٣٠) المصدر السابق .
- (٣١) مجلة المجاهد ، مرجع سبق ذكره ص ٤١ .
- (٣٢) شجرة اسوع الهجرة ، جامعة الجزائر .
- (٣٣) محمد خندريش مرجع سبق ذكره ص (١٢٣) .
- (٣٤) المصدر السابق .
- (٣٥) المصدر السابق .
- (٣٦) محمد خندريش مرجع سبق ذكره ص ١٣٤ .
- (٣٧) كيرليس ، اعادة الاندماج للهجرة الجزائرية ، مؤتمرات باريس ١٦ / ٦ / ١٩٧٢ .

المراجع :

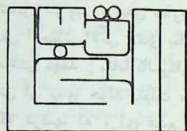
- (١) روزو عبد الحميد ، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين (١٩ - ١٩٣٩) الشركة الوطنية للتوزيع والنشر - الجزائر ١٩٧٤ .
- (٢) د . نعميم الرافعي ، دراسة في سيكولوجية التكيف ، مطبعة طربيم - دمشق (ط ٢) ١٩٦٩ .
- (٣) د . مصطفى فهمي ، التكيف النفسي ، دار الثقافة ، الزمالك ، القاهرة (ط ٢) ١٩٦٧ .
- (٤) د . مصطفى سويف ، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، دار المعارف بمصر (ط ٣) بدون سنة النشر .
- (٥) د . فؤاد محمد الصقار ، د . محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافية البشرية ، وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الاولى ١٩٨٠ .
- (٦) محمد خندريش ، التنمية واعادة الاندماج - مكتب الدراسات الجامعية - حيدرا - الجزائر ١٩٨٢ .
- (٧) د . عمار بوحوش العمال الجزائريون في فرنسا (ط ٢) الشركة الوطنية للتوزيع والنشر - الجزائر ١٩٧٩ .



المجلات والمصنف -

- (١) صحيفة اضاء الاسبوعية - الجزائر .
- (٢) مجلة الجواب ، لسان حال ودادية الجزائريين بأوروبا ، باريس الاعداد (١٠ ٤ ٦ ٤) .
- (٣) مجلة الجيش ، الجزائر عدد رقم ٢٣٩ لسنة ١٩٨٤ .
- (٤) مجلة اقتصادي العالم الثالث عدد رقم (٥١) لسنة ١٩٨٠ .
- (٥) مجلة الجزائر في ارقام سنة ١٩٨٠ .
- (٦) مجلة الجزائريين في اوربا عدد رقم (٣٠٩) .
- (٧) مجلة المجاهد اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني K.L.V عدد رقم ١٢٢١ لسنة ١٩٨٣ .
- (٨) نشرة اسبوع الهجرة - جامعة الجزائر ١٩٨٠ .
- (٩) محاضرة - كيرلين : اعادة الاندماج للمهاجرين الجزائريين - مؤتمر باريس ١٦ / ٦ / ١٩٧٢

المسرح الفلسطيني مسيرته الشائكة بين الكروايفر



بقلم : راضي د. شحادة

ان المبادرة لخلق حركة مسرحية في حضارة كحضارتنا العربية ، ندرت فيها التقاليد المسرحية تكاد تكون معدومة وصعبة المنال .

لا نستطيع الجزم ان المسرح الفلسطيني عامة يمر في عصره الذهبي ولا الفضي ولا الرونزي ، ولا نستطيع القول ان هذا المسرح قطع شوطا كافيا يجعلنا نعدده حجر الزاوية لبناء تقليد مسرحي ذي صرح قوي ، يقف على اساس متين .

مر المسرح الفلسطيني بفترة غزيرة ، ومكثفة من الانتاج والحركة مع ظهور عدة فرق مسرحية في السبعينات ، أدت الى بروز التنافس بين العاملين فيه ، وحماس شديد لانتاج اعمال مسرحية رفيعة المستوى ومحاولات جريئة تبحث عن طريق تشقه في مسيرة شائكة ندر فيها الاعتماد على التقاليد المسرحية العربية لفقدان تلك التقاليد ، ناهيك عن الضغوط السياسية والاجتماعية التي أحاطت بروادها .

لقد عرضت الحركة المسرحية الفلسطينية ولا تزال تتعرض لكثير من الاحباطات ، مما حطبا متمركة وآنية ، فاذا أمعنا النظر في الفرق المسرحية الموجودة والتي وجدت على الساحة المسرحية لايقنا انها فرق موسمية ، وغالبا ما يكون مصيرها مربوطا بشخص واحد ، **عرض مسرحية** او مسرحيتين ، عرضا أو عرضين ، ولا تكاد تتحضر للعرض الثالث حتى يدب **الشقاق في صفوفها** . وأن اطلقوا في تقديم العرض الثالث فانهم - في تصويرهم - يكونون قد سجلوا سبؤله جديدة ، اللهم الا اذا دب الخلاف بينهم خلال العرض ، فينفرد كل

سهم مصصا اما ترك العمل المسرحي نهائيا او محاولا تأسيس عمل جديد ، ونادرا ما يتنحون . فيستوفون مكثفين بالفخر بالماضي لاعين الظروف الحالية الصعبة فيتحول المجهود من أجل الانتاج الى مجهود اعلامي كلامي يركز على بطولات الماضي ، دون صرفه في الحاضر والانطلاق الى الجديد .

لذلك فإن ما نجده على الساحة الاعلامية المحلية أسماء كثيرة لفرق مسرحية وانتاج ضحل أو معدوم .
كل ذلك يدل على صعوبة خوض هذا النوع من الفن لما يتعرض له من مشاق وتطلبه للجماعية في العمل .

اذن فمسرحتنا الفلسطينية لم يحظ باستمراره ومثابرة دؤوبه ، فبقي متأرجحاً بين الموجود وغير الموجود . بين الكر والفر ، معتمداً على الحماس الآتي الذي يظهر فجأة وينتهي أحياناً فجأة وأحياناً يستمر ، ولكن لفترة قصيرة حتى يهمد : تماماً كالبركان .
المحور الثاني الذي لم يستطع المسرح الفلسطيني ان يدور حوله بثبات هو عدم الانسجام والتناسق بين اختيار فرقنا للموضوع وطريقة عرضها له ، أي عدم الانسجام والتداخل بين مضمون المسرحيات وطريقة عرضها ، فمعظم الاعمال اتخذت الموضوع كهذه أول وأخير ولم تحاول البحث عن أسلوب خاص بها تقدم بواسطته موضوعها ، مكتفين بقولهم انهم يتحدثون عن واقعنا تحت الاحتلال ونضالهم الصادق ضد الاحتلال ، دون اللجوء الى كيفية عرض ذلك الواقع فيخرج خطاباً لا يتعدى الكليشيهات والشعارات ، هذا في حالة اختيار واقعنا كموضوع للمسرحية ، فكثيرة هي الاعمال التي قدمت ولم تتمحور حول واقعنا الخاص .

لقد جاءت الكثير من الاعمال نسخة طبق الاصل عن لغة الثقافات الاخرى المهيمنة على جمهورنا دون المحاولة الى ايجاد لغة مسرحية خاصة ، والسوء ال الذي يطرح نفسه : ما هو الجديد في مسرحية تقدم بلغة ثقافة المنشور السياسي ، أو لغة الجرائد أو لغة الخطابات الحزبية التي وصل جمهورنا الى درجة الاشباع منها لكثرتها ، خاصة وانها لغات ذات بعد واحد وتيار موجه ومدروس ، فيها يكون الانسان تابعاً أكثر منه مشاركاً وفعلاً . لم تركز الفرق الا ما ندر منها على ضرورة البحث عن لغة مسرحية تترك في الجمهور أبعاداً حضارية عميقة لحضارته وتجعله يقف موقف المتأمل الناقد المتعلم . المنفتح وترصد فيه وتبني بعداً نقدياً خلافاً ويكون لديه ما يقوله عن لوحة فنية يراها ، أو قصيدة يقرأها أو مسرحية يشاهدها ، وهنا تكمن المسوءلية الكبيرة في كيفية اصال الثقافة المسرحية بلغة خاصة بها تختلف عن باقي اللغات وتتعدى تقليدها وتتميز عنها .

ويحضرني هنا استنتاج هام جداً خرج به متخصصون في شؤون المسرح في باريس سنة ١٩٤٧ ، تحت اشراف هيئة اليونسكو ، اتفق فيه المجتمعون على : أن المسرحية الجيدة مرآة تنعكس عليها آمال الشعوب وآلامها وشكلها وواقعها وأحلامها " .

ومضمونا تجلت بشكل عام في الفرق التي انتهجت أسلوب العمل الجماعي حيث أمكانية وحيث تفتتح الافاق للبحث عن ايقاع مسرحي حضاري كما هو الحال في الايقاعات الموسيقية والشعرية ، وانعكست هذه التجربة بشكل واضح في اللغة المسرحية الجديدة التي طرحتها هذه الفرق أمام جمهورها ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قدمته فرقة صندوق العجب وبلايين والحكايات ومسرح البلد وغيرها من محاولات جريئة لايجاد شخصية جديدة وشكل متميز لمسرحنا الفلسطيني ، ناهيك عن بعض النماذج

عقبات قيادت المسيرة المسرحية

لقد جرت العادة عند الكلام عن المسرح المحلي الفلسطيني ان يكون المقصود به الضفة الغربية وقطاع غزة ، دون التطرق الى مسرح فلسطيني الداخل اي فلسطيني ١٩٤٨ . وهذا التحديد اتخذ طابعا عاما ليس في مجال المسرح فحسب ، وانما في جميع المجالات السياسية والاجتماعية ، الاخرى ، مع العلم ان الانصاف يتطلب شمولية البحث في الطرفين ، مع الاخذ بالحسبان الاختلاف في الظروف التي بزغ فيها كل منهما .

ان الظروف الخاصة التي يعيشها الشعب الفلسطيني خاصة في وطنه او بعيدا عنه ، جعلت هذا النوع من الفن يتعرض لعملية قمع وتأجيل ، ناهيك عن ان فن المسرح يعد فنا جديدا دخل حديثا على حضارتنا العربية بشكل عام ، خلافا للحركة الشعرية التي تبلورت بشكل واضح لما يدعمها من تراث شعري عريق ورصيد لا يستهان به من التقاليد الشعرية عبر التاريخ ، بالاضافة الى عدم حاجتها للجماعية في عملية الانتاج . فكيف بالحرى يكون وضع المسرح في وضعنا الخاص كفلسطينيين نعيش منذ قرون تحت كل انواع الاحتلال .

وبما ان المحاولات لانشاء مسرح فلسطيني واضح الرؤية لم تبدأ منذ مدة طويلة ، فان الامر يستدعي النظر في قضية مسرحنا منذ الانتداب البريطاني لفلسطين متأثرا من الاعمال المسرحية المصرية التي حظيت بها فلسطين آنذاك ، وكذلك يعد قيام دولة اسرائيل ، مروراً بما ولدته حرب ال ١٩٦٧ من تحرك طفيف وبشكل مركز وخاص جدا فترة السبعينات التي شهدت تحركا مسرحيا فلسطينيا ذا ملامح واضحة ، حيث استطاع تق طريه وخلق معالم متميزة يكاد ينفرد بها عن الحركة المسرحية العربية عامة ، وهي فترة يجدر التركيز عليها لاهميتها .

نستطيع الجزم ان موضوع المسرح لم يظهر كحاجة ماسة في مجتمعنا الفلسطيني ، وكان امهاله او اهماله على حد سواء ناتجا عن الصدمات المتتالية للشعب الفلسطيني التي اعطت مسألة المحافظة على وجوده الجسماني على الاقل الاهمية الاولى ، لذلك فبالاضافة الى افتقار حضارتنا بشكل عام - كما ذكرت - للتقاليد المسرحية العريقة ، فان الاعمال المسرحية التي ظهرت الى النور اتسمت بطابع الموسمية وعدم وضوح اتجاهها الفكري ، واقتصرت في بدايتها على النوادي والمدارس ، وعلى فرق مبعثرة وقصيرة النفس ، مما جعل شكلها العام خاليا من الاسلوب المتميز والموضوع الملتمزم بقضية معينة ، وبالتالي لم تشكل مدرسة جديدة في عالم المسرح ، اللهم الا فترة السبعينات التي سيكون الحديث عنها لاحقا .

تحركات داخل الخط الاخضر :

لقد تفاجأ فلسطينيو الداخل اي فلسطينيو (١٩٤٨) بوجودهم في عالم ينكر وجودهم ، وتعرضوا لحكم عسكري استمر حتى سنة ١٩٦٤ ، يكاد يكون نسخة طبق الاصل

للحكم العسكري الذي تشهده فلسطين منذ الاحتلال الاسرائيلية الاسرائيلي لعام ١٩٦٧ حيث جرت كل محاولات الطمس والابادة بشتى انواعها فكريا وجسديا .
لذلك فان هذا الوضع الصعب لم يمهّد الطريق امام الحركة المسرحية التي تتطلب طبيعتها تجمعا جماهيريا ، مما يشكل أداة خطيرة يخافها الحكام ، والتي لم تظهر تحت الضغط المستمر كحاجة ماسة وكأداة يمكن الاستعانة بها لتطوير اشكال النضال ، الا في فترة لاحقة لم تدم هي الاخرى طويلا .

ان فترة ما بعد حرب حزيران فتحت المجال امام فلسطينيي عام ١٩٤٨

للتعرف على الثقافات العربية وكانت جسرا للعبور الى الثقافة العربية عامة والمناضلة منها خاصة ، لذلك طرأ ترعرع ملحوظ على الحركة الادبية والفنية ، وشهدت الفترة حتى أوائل السبعينات نشاطا مكثفا وملحوظا للحركة المسرحية ، وخاصة عند ظهور فرقتي المسرح الحديث في الناصرة سنة ١٩٦٥ ، والمسرح الناهض في حيفا سنة ١٩٦٩ ، الا ان هذه الفترة مع كل ايجابياتها في فتح مصاريع المسرح الى الجمهور الفلسطيني ، لم تتميز بطابع سياسي مناضل معين ، واقتصرت على نصوص مكتوبة ومستوردة ، الا بعض النصوص المحلية التي ظهرت هنا وهناك لسميح القاسم وسليم خوري ، وتوفيق فياض وادمون شحادة واميل توما ، والتي غلب على معظمها طابع النص الادبي المدون في الكتب ونادرا ما سنحت له الفرصة للخروج الى النور امام الجماهير مسرحيا .

وليس صدفة الا تتميز الكثير من الاعمال المسرحية بطابع سياسي ، فالعاملون في المسرح تعرضوا لحصار وقمع فكري رهيب ، لم يسمح باضفاء الطابع السياسي على أعمالهم ، فما يتحدث عن واقعك مرفوض من السلطات ، وما يتحدث عن الآخرين او واقع بعيد وانساني عام جدا ، يمكن ان يقبل ، وبقي الشعر لفترة طويلة احد الوسائل القوية جدا للتعبير وشكلا لامعاً أشكال النضال .

ان استمرار الاحتلال لمدة طويلة ، وعملية القمع وغسل الدماغ التي انتهجتها السلطة الاسرائيلي ، جعلت الفلسطينيين يلجأون الى وسائل تعبير مبطنة ، سواء بتعبيرها السياسي او بقولها العامة ، ومثال ذلك اكتفت الفرق المسرحية داخل الخط الاخضر بتعريف نفسها مسرحا عربيا دون التطرق الى كونه فلسطينيا مباشرا ، تخوفا من القمع الذي تتعرض له في حالة انتمائها المباشر لفلسطين او للحركة الفلسطينية عامة ، واكتفت باسمها العربي العام لتحمي به كيانها المهدد بالخطر .

لقد استمدت الحركة المسرحية معنوياتها ، كباقي الحركات الاخرى ، من الجو العام الذي عاشته منطقتنا الشرق اوسطية ، وخاصة من جو العالم العربي ، وكان ذلك الجو هو الميزان الذي كان في كفته الاولى مد الحركة المسرحية وفي كفته الاخرى جزرها ، وعلى سبيل المثال تأثرت كما تأثر الجو العام ، من أحداث ايلول سنة ١٩٧٠ وبداية الحرب الاهلية اللبنانية والحرب الاسرائيلية اللبنانية ، والحرب الفلسطينية في لبنان والمؤتمرات العربية المتتالية التي كان نتيجتها تبريد المعنويات او تجميدها الى ما تحت الصفر .

بعد ظهور الحركة المسرحية بشكلها التقليدي البدائي ، أصبحت الحاجة ملحة للتطور واستخدام المسرح واخضاعه لواقعنا السياسي والاجتماعي ، ونخص بالذكر انطلاقة المسرح الناهض والحديث ، ومسرح بيت الصداقة الذي



الانطلاق الى مسرح سياسي يعالج قضايا الملحة ، مبتدئا من مسرحية رواية "رجال في الشمس" للاديب الفلسطيني غسان كنفاني ، ثم أعمال سميح القاسم ونافى سليم وراضي شحادة ، ومع بداية هذه الفترة بدأت مرحلة الصدام المباشر مع السلطات الاسرائيلية والتي سنوليها القسط الاوفر من بحثنا هذا .

انتفاضة مسرحية عنوانها الابداع الجماعي

مقابل ذلك كان فلسطينيو الاحتلال الاسرائيلي لعام ١٩٦٧ ، ونتيجة لذلك الاحتلال ، كانوا يستعدون لانتفاضة كبرى في أول انطلاقة فريدة من نوعها في فلسطين لخلق مسرح مناضل وملتزم ، يسير على أسس فكرية واضحة وأسلوب متميز ، مستلهما أفكاره من الواقع الفلسطيني ، جنبا الى جنب مع شعر المقاومة ، والفنون التشكيلية . مع أحداث أيلول سنة ١٩٧٠ والمحاولات المختلفة لاسكات الكفاح الفلسطيني المسلح ظهرت في الافق أشكال المقاومة الأخرى من سياسية واقتصادية وثقافية لتشارك في المسيرة وفي هذا المناخ الجديد بزغت بوادر الحركة المسرحية ، مبتدئة بانتفاضتها الفريدة من نوعها مع أول مجموعة مسرحية في الأرض المحتلة باسم "بلالين" .

لقد شهدت سنوات ما بين ١٩٧٠ - ١٩٧٥ حركة نشوء فرق مسرحية جادة ، بدأت تتلمس طريقها للبحث عن شكل مميز وجديد للمسرح الفلسطيني ، ان لم يكن للمسرح العربي بشكل عام ، فبالإضافة الى "بلالين" الام ، ظهر مسرح "صندوق العجب" وبلا - لين ، و"دبابيس" و"الفراير" و"المسرح الفلسطيني" و"الامل الشعبي" و"النجوم" وغيرها من الفرق الأخرى .

لقد تميزت بعض هذه الفرق بخوضها تجربة جديدة للبحث عن إطار خاص تصب فيه طاقات خامدة معدة للاستصلاح ، وتميزت في هذه التجربة الجديدة الفرق التي انتهجت أسلوب الابداع الجماعي ، حيث وجدت امكانية صهر التجارب الحياتية المختلفة للمشاركين في العمل الفني ، في صهرج واحد ، ووصلت بعض هذه الاعمال الى مستوى تذويب وصهر دور المخرج والقيام بمتطلبات المسرحية بشكل جماعي ، ما حدث مثلا لفرقة "صندوق العجب" ، مما جعل هذه التجربة ذات ميزة خاصة ورائدة ، وساعدت على ايجاد نصوص مسرحية جماعية مستقاة من الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال وعدم الاعتماد على نصوص مسرحية جاهزة .

يد السلطة على الزناد

الا ان هذه التحركات كانت دائما في أشد الملاحقة والمراقبة من سلطات الاحتلال ، حيث تعرضت الفرق المسرحية لنوعين من الضغوط الرقابية ، فالفرق المقدسية (وفرق داخل الخط الأخضر) كانت مضطرة ان تقدم مسرحياتها في فترة لاحقة ، "لمجلس الرقابة على الافلام والمسرح" بينما باقي الفرق في الضفة الغربية وقطاع غزة كانت خاضعة لمراقبة الحكم العسكري مباشرة ، وقد شكلت هذه الملاحقات اهم الأسباب في احباط المسيرة المسرحية وتجميدها ان لم يكن القضاء عليها ، خاصة في الحالات التي كان أعضاء الفرق يتعرضون

فيها للاعتقال والتحقيق ، فمثلا توقفت عروض مسرحية "لما انجنينا" العمل الوحيد لمسرح "صندوق العجب" بعد اعتقال مصطفى الكرد احد اعضائها ، مع العلم ان الفرقة استطاعت تبديله بممثل آخر والاستمرار لفترة قصيرة بالمزيد من العروض .

لقد كانت محاولة "صندوق العجب" بادرة أولى لخلق تفرغ تام للعمل المسرحي الا انها فشلت لصعوبة الظروف التي احاطت بها . ومثال آخر ايقاف مسرحية "السلام المفقود" لفرقة "مسرح البلد" بعد عرضها الثالث واستدعاء اعضائها للتحقيق بعد كل عرض . وبقيت المحاولة لاياف الحركة المسرحية على اساس صلب مهزوزة ومشوشة . وتحت لسع سوط الرقابة وعدم وجود الامكانيات والقدرات للتفرغ الكلي للعمل المسرحي ، فقد بقيت الحركة المسرحية متأرجحة ومنقطعة الاوصال .

لقد تميزت فترة التقطع هذه بظهور عيّنات لا بد من الوقوف عندها من المسرح المتميز فقد ظهرت اشكال المسرح السياسي بقوالب مبلورة ، في أعمال ادبية ومسرحية فريدة من نوعها ، مع ظهور كتابات الاديب الفلسطيني اميل حبيبي نصف الروائية المسرحية لقصتي "المتشائل" و"لكم بن لكع" وأعمال مسرح الصداقة النصراوي التي تولى اخراجها رياض مصاروة ، ومسرحيات استعراضية غنائية لسميح القاسم وأعمال مسرح البلد التي تالقت بمسرحية "السلام المفقود" التي خاضت تجربة فريدة من نوعها مع السلطات الاسرائيلية ، وغيرها من عيّنات شكلت ميزة أخرى من ميزات المسيرة المسرحية الفلسطينية المطاردة .

كذلك فقد اثبتت فرقة "الحكواتي" التي تأسست سنة ١٩٧٧ بتجمع شبان من طرفي الخط الاضرائيت القدرة على الاستمرارية حتى يومنا هذا وتحدي كل المصاعب محاولة الوصول الى التفرغ المسرحي التام وانتاج مسرحيات ذات طابع وأسلوب مميز للفرقة وطريقة عملها الجماعية التي تكاد تكون مدرسة مسرحية في حد ذاتها ، وتمكنها من الوصول الى جميع انحاء فلسطين واوروپا حيث لاقت نجاحا على مستوى عالمي . ان التنقل الكثير والمستمر جعل من هذه الفرقة متميزة ، فهي أول فرقة يصل عرضها للمسرحية الواحدة الى ١٢٠ عرضاً (مسرحية محبوب محجوب) وهي أول فرقة حتى على المستوى العربي عامة استطاعت ان تصل الى اوروپا وتقدم اعمالها لجمهور اوروبي ، ناهيك عن انها أول فرقة تؤسس مركزاً مسرحياً فريداً من نوعه في فلسطين ، يبادر اعضاءه بتأسيسه وبنائه (سنة ١٩٨٤) بالرغم من كل الظروف الصعبة التي جابهتها ، وبوجودها نستطيع القول ان محاولة الاحتراف التي فشلت في "صندوق العجب" لاقت متنفساً جديداً للانبعاث مرة أخرى في "الحكواتي" .

ولكي نقف على أهم الاسباب التي عرقلت المسيرة المسرحية الفلسطينية عامة لا بد لنا من استعراض بعض الحقائق التي توضح الجو العام الذي يتعرض له المسرح الفلسطيني من مطاردة .

بالرغم من أن ستر الديمقراطية وقف حائلاً دون السلطة الاسرائيلية كعامل رئيسي يمنعها او يحجمها عن اتخاذ اجراءات مباشرة لاياف عرض المسرحيات الفلسطينية وخاصة السياسية منها ، فقد اتخذت هذه السلطة لنفسها مبررات أخرى كالادعاء بأن "المسرحية فيها تحريض ضد الدولة" او تنفذ قانون الرقابة على "المسرحيات السياسية" .

للمسرحيات غير السياسية.

وقد اضطرت لأول مرة في الضفة الغربية ، فرقة مسرحية الى تقديم مسرحياتها للمراقبة من قبل الحكم العسكري عندما اعدت فرقة "بلالين" عدتها لمهرجان مسرحي كبير في مدينة رام الله (آب ١٩٧٣) وعلقت الاعلانات في الضفة تبشيرا بهذا الحدث الفني الضخم ، مما اثار حفيظة الحاكم العسكري ، ولكنهم وقفوا بين امرين لا مناص من احدهما اما الغاء المهرجان او عرض نصوص المسرحيات للرقابة ، مع تحمل ما يبديه الحاكم العسكري من ملاحظات حولها ، وكان الخيار الثاني هو الذي رجحته الفرقة وتم المهرجان .

لقد اعتادت الفرق المسرحية عرض مسرحياتها لفترة طويلة دون اللجوء لمجلس المراقبة على الافلام والمسرح او الى الحاكم العسكري ، مما جعل قانون الرقابة لمدة طويلة اسما بلا مسمى الى ان حان وقت تنفيذه الفعلي والصارم . لأول مرة عند عرض مسرحية السلام المفقود لمسرح البلد ، ومسرحية "راجع بما" لمسرح "٣٠ آذار" وبعد عرض مسرحية "رجال في الشمس" لمسرح بيت الصداقة ، وعندما بدأت فرقة الحكواتي المقدسية عرض مسرحيتها "باسم الاب والام والابن" وخلال العروض طلبت السلطات من الفرقة التوقف عن عروضها حتى تحصل على تصريح من الرقابة ، مما اضطرت الفرقة تقديم نصها للرقابة والحصول على اذن شفهي بالعرض بعد مدة .

ان الاعمال المسرحية العربية التي قدمت "لمجلس الرقابة على الافلام والمسرح" الذي يخضع له فلسطينيو الداخل والقدس العربية ، لم تزد على ٢٧ مسرحية ما بين السنوات ١٩٧٧ - ١٩٨٤ ، بينما قدمت ٤٠٠ مسرحية يهودية لنفس الجهاز ووقف على جميعها عدا مسرحيتين فقط . منع عرضهما ، بينما منع عرض عشر مسرحيات من المسرحيات الفلسطينية السبع وعشرين وجميعها سياسية ، واربع مسرحيات اخرى سياسية تعرضت لمشاكل ، ووقف عليها فيما بعد ، وقد ساعد النص المبطن لهذه المسرحيات في عملية انقاذها من فك سلطة الرقابة ، ووافق على المسرحيات غير السياسية منها والتي لا تمت للواقع الفلسطيني بشيء .

لقد حدثت امثلة كثيرة تثبت الحكم العشوائي الذي تحكمه الرقابة على المسرحيات الفلسطينية لمجرد انها عربية ، فمثلا مسرحية "محبوب محبوبة" لفرقة "الحكواتي" ووفق على عرضها الا ان السلطات قبل بدء عرضها في مدينة الناصرة اوقفت العرض وتحول العرض الى تظاهرة جماهيرية تندد بسياسة القمع الفكري والثقافي . وقطعت الفرقة بذلك عن عروضها لمدة ثلاثة اشهر ، ريثما تمكنت من الحصول على الاذن بعرضها مرة اخرى .

والاكثر طرافة ما حدث لمسرحية اللوحات الاستعراضية التي اعد هاسم القاسم تحت اسم "يوم الطاحونة يوم" وهو مثل يضرب في الامر البالغ الاهمية ، وفهمتها الرقابة بمعنى "يوم الطاحوني يوم" اي اليوم الذي طردوني فيه ، ما توحيه الكلمة "طحوني" بالعامية الفلسطينية من هذا المعنى - وفسرت السلطات ذلك بأن العنوان يحرض على اسرائيل بأنها "طحت" اي طردت الفلسطينيين .

والامثلة على ذلك كثيرة ، ففرقة الحكواتي استطاعت ان تحظى بعروض مسرحية في الضفة الغربية لمسرحيتها "باسم الاب والام والابن" ومسرحية "محبوب محبوبة" ، الا انها تنتظر وتماطل من قبل الحاكم العسكري منذ سنتين لعرض مسرحيتها الجديدتين "جليلي يا علي" و"ألف ليلة وليلة . في سوق اللحامين" ، وأصبحت الرقابة العسكرية تشترط اما

مشاهدة المسرحية مسجلة على "فيديو" او مشاهدة عرض حي للمسرحية كي تقرر بسماعها
 او رفضها مما يجعل الفرق في وضع مزعزع *
 ان جهاز المراقبة على الافلام والمسرح يشكل السلطة العليا التي لم يستطع اي جهاز
 آخر مناصرة قراراته ، مما يجعله لا يختلف كثيرا عن جهاز الرقابة العسكرية المسلط على
 الضفة الغربية وقطاع غزة ، فالحقيقة تثبت انه حتى محكمة العدل العليا التي تشكل الادارة
 العظمى لقوانين السلطة ، لم تعارض حتى الان اي قرار لمجلس المراقبة وهو ما صرح به القضاة
 بشكل واضح عند تقديم استئناف لطلب عرض مسرحية "السلام المفقود" لفرقة مسرح البلد .
 ان الملاحقة الصهيونية المتواصلة لهذا النوع من الفن ، يثبت مدى وعي هذه السلطة
 لخطورتها كوسيلة لتحريك الجماهير وتوعيتها .

تذييل

بعض أسماء فرق مسرحية فلسطينية

هنالك العديد من الفرق المسرحية ولن يسعنا المجال ذكر جميعها وان ذكر بعضها
 فهذا لا يعني عدم وجود غيرها ، ولكن ما نود التركيز عليه هنا ان الكثير من الفرق ارتبط
 اسمها بعمل واحد او عملين وتوقف نشاطها :-

بعض الفرق في الضفة الغربية

صندوق العجب

بلالين

بلا - لين

الحكواتي

دبابيس

الفراير

المسرح الفلسطيني

النجوم

الامل الشعبي

الكشكول

المسرح الجوال

فرقة الفنون المسرحية

بعض الفرق داخل الخط الاخضر

٠١ المسرح الشعبي - الناصرة / ١٩٦٤

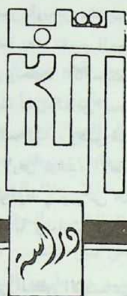
- ٠٢ المسرح الناهض - حيفا / ١٩٦٧
- ٠٣ مجموعة انصار المسرح الحر - الناصرة / ١٩٦٩
- ٠٤ المسرح الحديث - الناصرة / ١٩٦٥
- ٠٥ المسرح الحر - ١٩٧١
- ٠٦ المسرح البلدي - الرامة / ١٩٦٩
- ٠٧ مسرح البلد - المنار - عبلين / ١٩٧٤
- ٠٨ مسرح بيت الصداقة / الناصرة
- ٠٩ المسرح الشعبي / الجوال - سخنين
- ٠١٠ مسرح فتاقيت السكر - المكر
- ٠١١ مسرح الغربال - شفا عمرو
- ٠١٢ مسرح الكروم - مجد الكروم
- ٠١٣ المسرح البلدي - مجد الكروم

أسماء مسرحيات فلسطينية

- ٠١ القبيعة والنبي - غسان كنفاني
- ٠٢ عائد الى حيفا - غسان كنفاني / مسرحية
- ٠٣ الباب - غسان كنفاني
- ٠٤ رجال في الشمس - غسان كنفاني / مسرحية رياض مصاروة
- ٠٥ قرقاش - سميح القاسم
- ٠٦ هكذا رد الراي مندل على تلاميذه - سميح القاسم
- ٠٧ موسم زيتون - سميح القاسم
- ٠٨ بيت الجنون - توفيق فياض
- ٠٩ لا - زكي دوريش
- ٠١٠ مهمما صار - المسرح الناهض
- ٠١١ عروس الجليل - فايق اسماعيل
- ٠١٢ محطة واسمها بيروت - رياض مصاروة
- ٠١٣ السلام المفقود - راضي شحادة
- ٠١٤ سقف المكسور - راضي شحادة (مدرسية)
- ٠١٥ أنا أستاذ - راضي شحادة (مدرسية)
- ٠١٦ نزيل من الدرجة الثانية - راتب عواودة
- ٠١٧ مشاهد - راتب عواودة
- ٠١٨ الانس والجن : نايف سليم
- ٠١٩ زغرودة الارض : سهيل ابو نوار
- ٠٢٠ القضاء والقدر - اميل توما

٢١. غصبة الفقراء - اميل توما
٢٢. برج الزجاج - ادمون شحادة
٢٣. بيت في العاصفة - ادمون شحادة
٢٤. الصمت والزوال - ادمون شحادة
٢٥. وريث الجزار - سليم خوري
٢٦. آمنة - سليم خوري
٢٧. هذا المصير - سليم خوري
٢٨. قهوة الصباح - هاشم خليل
٢٩. صرخة الضمير - المسرح الفلسطيني
٣٠. مطعم العم ذياب - مسرح الفرافير
٣١. مختار المخاتير - مسرح الفرافير
٣٢. الطرشان - مسرح الفرافير
٣٣. العتمة - بلالين
٣٤. الحشرة - دبابيس
٣٥. المفتاح - عبد اللطيف عقل
٣٦. مصارعة حرة - بلا - لين
٣٧. لما انجنينا - صندوق العجب
٣٨. عنتورة ولطوف - بلالين
٣٩. الحق عالحق - دبابيس
٤٠. عارة من ورق "خوازيق" - دبابيس
٤١. تع تخرفك يا صاحبي - بلالين
٤٢. نشرة احوال الجوفي كازينو نيطسلف (فلسطين معكوسة) - بلالين
٤٣. تغريبة سعيد بن فضل الله - صندوق العجب
٤٤. رأس روس - عادل ترتير
٤٥. قطعة حياة - بلالين
٤٦. لنا عودة - المسرح الفلسطيني
٤٧. باسم الاب والام والابن - مسرح الحكواتي
٤٨. محجوب محجوب - مسرح الحكواتي
٤٩. جليلي يا علي - مسرح الحكواتي
٥٠. الف ليلة وليلة في سوق اللحامين - مسرح الحكواتي
٥١. مائة جيفارا - معين بيسيو
٥٢. ثورة الزنج - معين بيسيو
٥٣. شمشون ودليلة - معين بيسيو
٥٤. الصخرة - معين بيسيو
٥٥. العصافير تبني اعاشها بين الاصابع - معين بيسيو
٥٦. الناطور - سليم مخلوي

الشوفينية والكرموبولوتية والحل الماركسي للمسألة القومية



بقلم : على الجبري

تمهيد

من مجتمع الامة .. العائلة الى مجتمع الامة (القومية)

قرر الدارسون للمجتمعات البشرية ، ان العائلة والقبيلة ، التي انبثقت من قرابة الدم ، والتي تنتمي الى ام واحدة في تسلسل اباؤها وابنائها ، هي اولى التشكيلات الاجتماعية في المجتمعات البشرية الاولى ، لدى جميع الشعوب دون استثناء والتي ما تزال عناصرها باقية في بعض البلدان ، وهكذا اعتبر الناس انفسهم في وقت واحد مربوطين بروابط الدم ، وينحدرون من جدمشتركسواء من جهة الام او الاب ، عاشوا بصورة جماعية ، ومارسوا حياتهم الاقتصادية (المعيشية) . وينمو هذه المجتمعات انفصلت الى مجموعات ، لتؤلف اتحادات واسعة من العوائل والعشائر ، والتي كان يصل افرادها احيانا الى الالاف ، تقطن ارضا معينة يمارس فوقها سكانها حياتهم المعيشية ، من زراعة وصيد ورعي وغيرها ويتحدث افراد القبيلة ، ذات اللغة ، ولهم خرافات وعادات وطقوس وشعائر يمارسونها ، تدار شؤونها من قبل الكبار المنتخبين من قبل الصغار و احيانا مجلس العائلة او القبيلة المنتخب طوعيا .

غير ان تحالف القبائل لا يمكنه الصمود زمنا طويلا بالاعتماد على قرابة الدم ، نتيجة لتطور الصلات الاقتصادية التي اكتسبت اهمية اولى ومتزايدة بارتباطها بالارض (موضوع العمل المركزي) فحلت محل رابطة الدم ، رابطة الارض بغض النظر عن رابطة الدم ، وقد

أدى ظهور هذه المجموعات الكبيرة من الناس والتي تعيش على ذات الرقعة من الأرض ولها ذات اللغة والعادات ، أدت إلى تشكيل ثقافة " وسيكولوجية " ومصير تاريخي مشترك منه انبثقت الجماعات العرقية الأولى أو " المجموعات القومية " وخاصة بعد تفسخ المجتمع المشاعي البدائي ، وظهور مجتمعات الرق والعبودية وظهور الاقطاع ونحوها ، كالمجتمعات المصرية والاعريقية القديمة وأوروبا غير أن تطور العلاقات الرأسمالية على انقاض المجتمع الاقطاعي أدى إلى اندماج مجموعات قومية في أمم بعد إزالة العوائق المحلية ، وخلق أسواق مشتركة توحد النشاط الاقتصادي للناس القوميين ، فتلتقي وحدة الأرض بوحدة الاقتصاد وتكتمل عناصر تكوين حضارة قومية مشتركة ، فيظهر الوعي القومي والوطني ويؤمّن من الحل الماركسي للمسألة القومية خلق المقدمات الضرورية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا من أجل إرساء علاقات أممية متطورة وفق النموذج الاشتراكي .

إن العلاقة التضامنية بين القوميات المختلفة تلعب دورا رئيسيا في التطور الاجتماعي ، لأنها تبرز بجلاء في الحقول الاقتصادية والسياسية والثقافية .

وفي سياق الحديث عن تطور تشكّل الأمم والقوميات يمكن الإشارة هنا إلى اتجاهين متعارضين في تطور العلاقات بين الأمم (القوميات) ،

فهناك اتجاه ، يظهر في سياق الاتجاه الوطني العام والذي يرمي إلى إيقاظ الوعي القومي وإحياء الحياة القومية رغبة في الاستقلال القومي والذي قد يأخذ شكله " الشوفيني " بفعل التطرف والتخريف .

وهناك اتجاه ، توسيع العلاقات بين الأمم وتقويض الحواجز بينها نحو بناء " الأممية " والذي يصل عند التحريفيين حد " الكزمبولوتية " فإذا ما سلمت القومية من التخريف والتجوير و " الشوفينية " وسلمت الأممية كذلك من اتجاهات " الكزمبولوتيين " ، فإن الاتجاهين بشكل جوهري تقدميان ثوريان ،

لماهمنهما في إغناء الحضارة الإنسانية ، وبجابهان معارضة شرسة في ظل الرأسمالية ، وما ينجم جراء ذلك من صدامات حادة بين الأمم فالحكومات في الأنظمة المستغلة تقاوم الاستقلال الوطني القومي ، الذي لا سبيل لتحقيقه إلا بالنضال الحازم ضد المستغلين ، والتنافس الاستعماري لتقاسم العالم ونهب خيراته ، يضع علاقات الأمم في صورة عدائية حيث تؤوّل إلى استبعاد بعض الأمم لمجموعات قومية أخرى .

وفي سياق النضال التحرري والوطني والذي لا ينفصل عن النضال من أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي يرتبط كفاح المناضلين ارتباطا وثيقا بالحركة الثورية العالمية وطلبيتها العمالية قائدة النضال الطبقي لتحرير البشرية من الاضطهاد والاستغلال وعند تحقيق المجتمع الشيوعي المتطور فيما بعد سيساعد على حل المسألة القومية وإقامة المجتمع الأممي الإنساني الموحد أرقى أشكال المجتمعات .

القومية - و "الشوفينية"

ما تقدم نرى ان مفهوم القومية بمعناها الوطني والتحرري يختلف عن "الشوفينية" والتي يمكن تعريفها بانها : " سياسة برجوازية رجعية موجهة لقهر واستعباد الشعوب الاخرى واشغال العداء القومي والحدق بين الشعوب ، وانتهاج سياسة " الاستعلاء القومي " و " النظرية العرقية " (٢) وتوظف هذه السياسة لاستعباد الشعوب وحرمانها من سيادتها الوطنية ورافقها الدعوة للاستعلاء القومي وسيطرة امة على اخرى وملاحقة واضهاد القوميين واشغال روح العداء القومي والحدق بين الشعوب ، وترفض سياسة التعصب القومي مبدأ التعاون الاخرى والاممي بين الشعوب ، وتعمل على تسعير العداء القومي والكراهية العرقية ، وتكمن مصادر هذا التعصب في طبيعة النظام البرجوازي ، وشكل ملكية وتوزيع وسائل الانتاج . وتهدف البرجوازية من زرعها لافكار التعصب القومي عند الامة المسيطرة الى حرف الطبقة العاملة عن النضال الطبقي ضد مضطهديهم الى طريق العداء القومي والعربي .

ان التعصب القومي البرجوازي يفرق بين العمال على اساس قومي سواء في الدولة العظمى ، او في الامة المضطهدة . ويعادى الطبقة العاملة واهدافها الثورية في تصفية الاستغلال وبناء الاشتراكية التي يمكن ان تتحقق فقط عبر توحيد الشغيلة . من جميع الامم وانتهاج سياسة الاممية البروليتارية .

من هنا يرتدى النضال ضد التعصب القومي " والشوفينية " اهمية خاصة في الظروف الراهنة ، وقد اظهرت تجارب الحركات الثورية بان هناك ارتباطا وثيقا بين تشويهات المحرفين والانحرافات القومية . فالمحرفون اذ يخرجون عن النظرية الماركسية - اللينينية فانهم يفتحون الثغرات التي يمكن عن طريقها تسلل " ايدولوجية البرجوازية حول مفهوم القومية " الى الحركة الثورية ، ومن ناحية اخرى فان الانحراف عن مواقع الاممية البروليتارية الى مستنقع التعصب القومي يتيح مجالا نشطا للتحريفيين اليمينيين و " اليساريين " على حد سواء .

ان سياسة التعصب القومي تعود بضرر بالغ على قضية الثورة ، فالانحرافات القومية تحول بين الطبقة العاملة في البلد المعني وبين الاستفادة من الاوضاع العالمية المواتية في نضالها الوطني والتحرري بالاستفادة من منجزات وخبرات الاشتراكية العالمية وضعف معسكر الامبريالية والرجعية . والتعصب القومي توجه معاد لمجمل الحركة الثورية المعادية للامبريالية ، وليس من باب الصدقة ، ان تبني عليه البرجوازية الاحتكارية آمالا كبيرة .

ويزعم منظرو البرجوازية بانتشاء عصر الثورات البروليتارية ومجيء عصر القومية الضيقة ، وكان لينين قد نبه بخطورة التعصب القومي ، ووضح الفروق الجوهرية بين القومية الرجعية

للامم المتسلطة وقومية الامم التي تنهض للتحرر من اصفاد الاستعمار. فالى جانب العمل على اقامة صلات واسعة مع الشغيلة والجماهير المستقلة ، دعا لينين شيوعيي البلدان المضطهدة الى الاستفادة من تنامي الوعي الوطني "الذى يفتح ويجب ان يفتح بين شعوب هذه البلدان والذي له مبرراته التاريخية" (٣) والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة لذا فهم يدعمون الطابع العام الديمقراطي المعادى للامبريالية في قومية الامم الراححة تحت الاحتلال ونير القهر والاضطهاد والبلدان النامية، وفي الوقت نفسه لا يغفلون عن طابعها الرجعي كأيدولوجية للطبقات المستقلة الحاكمة والتي تسعى الى ربط الدول الفتية بدولاب الامبريالية .

ان الحدود الفاصلة بين الجانب التقدمي المعادى للامبريالية في القومية وبين جانبها الرجعي متحركة " تاريخيا " ، وبمقدور حملة الشعارات القومية تغيير وجهتها الاجتماعية والسياسية ، فنتحول من اداة نضال فاعلة من اجل التحرر الوطني الى وسيلة مناهضة ومعادية لوحدة القوى المعادية للامبريالية ، او رأس رمح موجه ضد القوى الاساسية للحركة الثورية العالمية وبشكل خاص ضد الاتحاد السوفيتي ، تماما كنهج الماويين ، وهذا ما تستغله البرجوازية الامبريالية اشد استغلال في كفاحها ضد الاشتراكية والحركة الشيوعية .

الرد على "الشوفينية" و "الكزمبولوتية" بايدولوجية الطبقة العاملة "الاممية البروليتارية"

رأينا فيما تقدم كيف يستغل الرأسماليون بروز الوعي القومي والمشاعر القومية للارتقاء بمصالحهم الطبقية الخاصة من خلال النظرة الشوفينية والتعصب القومي يهدف اعاقه نمو الوعي الطبقي لدى البروليتاريا وزرع بذور الشقاق في صفوف جماهير الطبقة العاملة وحلفائها تحت شعارات قومية ، وقد رأينا كيف يقف الماركسيون الى جانب قومية الامم المظلومة والتي تتعرض الى مصادرة هويتها الوطنية وسحقها . وتكافح بعناد ضد المستعمرين بمحتوى ديمقراطي تقدمي حفاظا على هويتها المستقلة ، فهي هنا شكل من اشكال الاحتجاج على الامبريالية ، ولا يمكن تعزيز توجهاتها التقدمية الا بالدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وحلفائها والحفاظ على مكتسباتها الثورية ، الامر الذي يتناقض مع مصالح القوى الرجعية التي لا تتورع عن خيانة قضية التحرر الوطني ومنجزاته الثورية حفاظا على مصالحها الطبقية .

في الاتجاه الاخر وعلى النقيض تماما يقف المحرفون " اليساريون " في رفضهم لكل اشكال القومية بما فيها ذلك الشكل التقدمي ، الذي يتنافى مع مسائل النضال والكفاح الوطني وينهجون نهجا معاديا وقاصدا يتبناها منظرو البرجوازية الرجعية ، والتي تبشر باتخاذ موقف اللامبالاة تجاه الوطن والشعب والثقافة القومية وهو ما يطلق عليه اسم "الكوسموبوليتية" (٤) او اللاوطنية او العدمية القومية والتي تريد من الشعوب : " ان



تتخلى عن النضال في سبيل سيادتها الوطنية واستقلالها تحت شعارات مغامرة ومتطرفة
"الحكومة العالمية"

غير ان الاحزاب الشيوعية والعمالية تناقض كلا من القومية البرجوازية الرجعية والكوسموبوليتية، بايديولوجية الطبقة العاملة، بفكرة الاستقلال الوطني ومنهج "الاممية البروليتارية" (٥) والتي تتمثل في التضامن الطبقي مع الطبقة العاملة وحلفائها لدى جميع الامم والقوميات التي تناضل ضد سيطرة الاحتكارات من اجل التحرر من كل اشكال الاضطهاد الاجتماعي والقومي تحت شعار "يا عسال العالم اتحدوا" (٦) والذي رفعه لأول مرة كارل ماركس وفردريك انجلز في البيان الشيوعي، ان الاممية البروليتارية تنبثق من موقع الطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي، فالرأسمال قوة عالمية. فهو يشغل العمال بمعزل عن قوميتهم او لونهم، وتتدفق الارباح في خزائن اصحاب العمل بفعل سرقة قوة عملهم واستغلالهم ولسحق الرأسمالية العالمية لا بد من تحالف البروليتاريا وجماهير الطبقة العاملة على صعيد اممي.

ان الاحزاب الشيوعية والعمالية، هي طليعة الطبقة العاملة وتعتبر مبدأ الاممية البروليتارية اساسا لنشاطها، وهي ضد الكزمبولوشية التي تهمل الوجود الحقيقي للامم، ولا تعني اممية البروليتاريا انكار المصالح القومية على الاطلاق، فما تؤكد عليه الاممية هو ربط هذه المصالح بمصالح الطبقة العاملة في العالم.

اما القومية البرجوازية، فتسبب ضررا كبيرا لمصالح الطبقة العاملة كما اوضحنا، وقد سبب هذا النوع من القومية او "الشوفينية" اندلاع العديد من الحروب الامبريالية واوقعت بالعديد من الامم مآسي ومجازر فظيعة. وتعود قومية الرأسمال الاحتكاري في اوروبا واميركا تعود مجددا لتنشيط بذر الشقاق والانقسام بين الشعوب، اما قومية الامم المظلومة، فانها تختلف تماما عن الشوفينية، فهي تكافح لتحريض الشعوب المقهورة ضد الامبريالية. ان دفاع البروليتاريا عن المصالح المشتركة للطبقة العاملة العالمية ويخدم في الوقت نفسه مصالح جميع الامم وهو الرد الفعال ضد توجهات الشوفينية والكوسمبولوتية.

الحل الماركسي للمسألة القومية

=====

ان التعاليم الماركسية - اللينينية في المسألة القومية، تشكل جزءا مكونا هاما من نظرية الثورة الاشتراكية. لقد كان الشيوعيون دائما ينظرون الى مسألة القومية بمنظار النضال الطبقي، وقد بينا كيف يكون التعامل مع مواقفها الوطنية التقدمية، والرجعية البرجوازية، واليسارية المتطرفة الرجعية "الكوسمبولوتية" وقد رأى الماركسيون ان حل المسألة القومية

يجب ان يخضع لمصالح الثورة والاشتراكية ، وان الشيء الرئيسي في مسألة القوميات هو اتحاد الكادحين ، بصرف النظر عن انتمائهم القومي في النضال المشترك ضد كافة انواع الاضطهاد ومن اجل النظام الاجتماعي الجديد الخالي من استغلال الكادحين . ونستذكر هنا قول فلاديمير ايليتش لينين بهذا الصدد " اننا امميون حتى النهاية ، ونسعى الى الاتحاد الطوعي للعمال والفلاحين من كل الامم " (٧) ولكن على اي اساس يمكن انجاز هذا الاتحاد ؟ اكد لينين انه يجب ان يقوم على اساس المساواة التامة في الحقوق والاحترام المتبادل لجميع اطرافه ، اتحاد لا يدع مجالا لاي ممارسة للعنف من قبل امة ضد امة اخرى ، اتحاد يقوم على الثقة التامة والادراك الواضح للوحدة الاخوية ، وعلى الموافقة الاختيارية التامة .

واذا كانت وحدة كادحي الامم من المنطلقات الرئيسية لانتصار الثورة فان انتصار الثورة الاشتراكية بدوره ، هو وحده الذي يضمن الانتصار الكامل لقضية التحرر الوطني ، وهو ما اشار اليه كارل ماركس وفريدريك انجلز في - البيان الشيوعي - " عندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل امة يزول في الوقت نفسه العداء والحقق بين الامم " . وهكذا تتجلى العلاقة الديالكتيكية بين الطرح الماركسي للمسألة وحل المسألة القومية من خلال التوصل الى التلاحم والوحدة والتقارب من جميع النواحي بين الامم عن طريق تحريرها التام من نير الاضطهاد الاجتماعي والقومي ، عن طريق توفير الظروف الملائمة الى اقصى حدود الملاءمة لتطورها وضمان تقدمها واستمراره ، والنموذج السوفييتي خير شاهد على صدق وصحة ونجاح الحل الماركسي للمسألة القومية. ففي ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ اي بعد ثمانية ايام على ثورة اكتوبر ، اصدرت الحكومة السوفييتية اعلان حقوق وشعوب روسيا الذي وقعته لينين ، والذي اعلن فيه مساواة شعوب روسيا وسيادتها وحقوقها في تقرير المصير بما في ذلك الانفصال وانشاء دول مستقلة ، والغاء كل الامتيازات وكل التضييقات ذات الطابع القومي او الديني ، وتطور الاقليات الحر .

وبذلك تم ارساء الاسس للتخلص من النزعات والخصومات القومية الضيقة ، وتعزيزت بين شعوب الاتحاد السوفييتي علاقات التضامن والتعاون بروح الاشتراكية والاممية ، لقد افضى حل هذه المسألة القومية الى اتحاد هذه الشعوب الطوعي في دولة متعددة القوميات : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وهو " اتحاد فيدرالي من خمس عشرة جمهورية قومية " (٨) وبفضل تضامنها انشأت صناعة عصرية وملاكا قوميا من العمال والمثقفين ، وثقافة قومية الشكل اشتراكية المحتوى ، وكثيرا ما توصلت الامم الى مراحل سوفييتية فقد كان " ١ " لكل " ٥٠٠ " يعرف القراءة والكتابة فقط قبل الثورة الثقافية ، اما الان فقد محيت الامية تماما وفيها من الطلاب بالنسبة الى عدد سكانها اكثر مما في الولايات المتحدة وفرنسا ، والباحثون في مراكزها العلمية ، قرغيزيون وبينهم اكثر من الفين واربعمائة دكتور ومرشح في العلوم عدا عن تقدم الاداب والعلوم وغيرها ... وقد جاء في المادة ٣٦ من الدستور السوفييتي : " ان مواطني

والقوميات يتمتعون بحقوق متساوية ، ويشير علماء علم الاجتماع ان العلاقات الاجتماعية تتطور بين القوميات " فكل عائلة من سبع عائلات تضم زوجين مختلفي القومية ونسبة الطلاق في العائلات المختلطة ، ادنى بكثير منها في سائر العائلات " (٩) ولا توجد في الاتحاد السوفييتي لغة رسمية واحدة للدولة ، وكل اللغات المائة والثلاثين متكافئة قانونيا في المدارس والمعاهد العالية ، وفي الملفات والمرافعات القضائية والنشر ، ومع ذلك تشير الدراسات الاحصائية للسكان ان اكثر من ١٤٢ مليون شخص من مجموع ٢٦٠ مليون يقطنون مختلف الجمهوريات ذكر بأن لغته الام هي اللغة الروسية ويضاف اليهم ٤٢ مليون ، يتقنون اللغة الروسية بطلاقة ولا غرابة في ان تؤول اللغة الروسية لغة التفاهم بين القوميات المختلفة في جمهوريات الاتحاد السوفييتي وهو دليل واضح على فعالية الحل الماركسي للمسألة القومية .

خاتمة

هكذا نتضح لنا من خلال هذا الفصل ، الخارطة التفعيلية لمفهوم ووضوح ابعاد القومية بمفاهيمها وتفصيلاتها وتحريفاتها ، وليس هذا وحسب ، بل في الواقع التطبيقي والعملية ،

وبهذا الفصل يكون قد اوضحنا كيف نقيس او نوزن الامور عندما نتحدث عن حركة المفهوم القومي في اي دراسة لاحقة . سواء كان هذا الاتجاه في الدراسة تاريخيا وعلاقة هذا الاتجاه بالدين وتفاعلاته ، او في دراسة المهمات الوطنية القومية ، او دراسة حركة النضال الوطني القومي العربية ، او الفلسطينية ولهذا يستوجب علينا البدء بهذا الفصل قبل متابعة البحث وفق هذا الفهم العلمي للمسألة القومية مسترشدين بذلك النهج التقدمي العلمي لقياس المسائل السياسية . وقد يكون من المفيد متابعة الدراسة عن الفعاليات الوطنية للحركة القومية ، وعن دورها التخريبي التحريفي بمفهومها الرجعي في حركة التحرر الوطني العربية والفلسطينية ، والابعاد الطبقية والاممية لحركة النضال الوطني القومي من خلال تحالفها الاستراتيجي مع البلدان الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي .

الهوامش

=====

- (١) أسس المعارف السياسية - دار الفارابي / بيروت - عام ١٩٧٥ .
- تعريب دار الطريق الجديد / بغداد - ص ٤٣ .
- (٢) القاموس السياسي الطبعة الثالثة - عام ١٩٧٨ - دار الفارابي . ب . ن .
- بونا ماريوف - ترجمة واعداد / عبد الرازق الصافي - ص ١٧٣ .

- (٣) الاعمال الكاملة : المجلد ٣٠ ، لينين - ص ١١٦٤ .
- (٤) القاموس السياسي : الطبعة الثالثة - دار الفارابي - ب - ن - بونا ماريوف .
- ترجمة واعداد عبد الرازق الصافي - ص ١٩٥ .
- (٥) اسس المعارف السياسية : دار الفارابي / بيروت - العام ١٩٧٥ ،
- تعريب الطريق الجديد / بغداد - ص ٤٥ .
- (٦) القاموس السياسي : م . س . - ص ٦٦ .
- (٧) القاموس السياسي : م . س . - ص ١٤٦ .
- (٨) الاتحاد السوفييتي : ١٠٠ سؤال وجواب - دار الكاتب - ص ١١٢ .
- (٩) الاتحاد السوفياتي : ١٠٠ سؤال وجواب - م . س . - ص ١١٣ .

دراسات فولكلورية حول تسميات الأرض والإنسان في قرية فلسطينية



مع

الكتاب
المعبر

بقلم . عبد العزيز اعرار وزياد مقبل

الاراضي ومصطلحاتها :

- (١) اراضي الجدر : وهي الاراضي القريبة من القرية تربتها بيضاء وهي كالجنان ، وتوجد حول قريتي خريش العريضة .
- (٢) السريس : اراضي وجدت على مقربة من خريش الى الجنوب منها دعيت نسبة لوجود نبات السريس فيها بكثرة .
- (٣) المروج : مفردا مرج والمرج عبارة عن ارض مستوية وتربتها سمكة وهي واسعة وهذه المروج تقع جنوبي قرية كفر ثلث ، منها مرج الخب ومروج رضوان ومرج وادي التين ومرج الحرجوج وهو مرج غربي خريش .
- (٤) ارض الجورة : ارض تبلغ مساحتها عدة دونات شبيهة بالحفرة الصغيرة ولكنها هكذا تكون واسعة المساحة ولكنها تبلغ دونمان ومن هذه الاراضي جورة صوفان،جورة الزعتر القريبة من القرية،تتميز اراضيها بكونها اراض ذات تربة بيضاء .
- (٥) وطاة سفوطة . تعني الارض العميقة باللغة الفصحى والوطاة هي كل ما تطأه قدم الانسان.تقع هذه الارض غربي كفر ثلث على مقربة من المدور، تربتها طينية وسمكة وهي في واد .
- (٦) اراضي الاودية . سبق لنا ان تحدثنا عن بعضها وهي تتوزع حول اراضي كفر ثلث تفصل بينها وبين القرى الاخرى او بين اراضي القرية ذاتها : ومن هذه الاراضي اراضي واد حامد وواد الصوص والعجمي ووادي الزاقور وواد عسر والواد القبلي وواد الرشا وغيرها .
- (٧) اراضي القرن : مفردا قرنة، وهي اراضي نصف الجبل تقع عند رؤوس الجبال المتميزة عن بقية سطح الجبل منها قرنة الشيخ احمد الواقعة شرقي كفر ثلث على بعد ٣ كم . وقرنة البقاع

شرق خريش حيث دعيت بهذا الاسم بسبب وجود الضباع هناك .

(٨) اراضي العقبات : مفردها عقبة والعقبة هي الشيء الصعب تجاوزه ، وهي الارض الواقعة ما بين قمة الجبل ومنحدره ، ومن هذه العقبات عقبة القطة وعقبة المقابر ، وعقبة خريش .

(٩) اراضي الباطن . و باطن الشيء هو داخله . وبدلا من قولهم سفح الجبل يقولون باطن ، وعلى هذا سماوا الاراضي الواقعة عند سفوح الجبال ، فقالوا باطن ابو ذنب وباطن النمرة الذي كان مقرا لاحدى النمرات التي سكنت المنطقة في القرون الخالية .

(١٠) الميدان . اسم الارض وجدت في منتصف القرية كانت تستعمل لغاية اوائل الستينات كمكان لتسابق الخيالة عند الاعراس والافراح في القرية .

(١١) الكنف : اراضي تقع عند ظاهر القرية الجنوبية ذات ميل وسلك متعدد العمق والانخفاض ومنه كنف دار جابر .

(١٢) الظهر : اراضي تشبه ظهر الحيوان بالنسبة للجبل تمتد على قمة وسفح الجبل منها ظهر باسم الله الواقع جنوب خربة الاشقر .

(١٣) اراضي العنف : اراضي تقع على مستوى واحد يمتلكها اشخاص متعددون وهي رمز لوحدة وتراس الجماعة .

(١٤) ارض الجزاير : وهي الجزائر بالفصحى تقال جزيرة وهي اراض تقع على بعد ثمانية كيلومترات غربي كفر ثلث . كانت المياه تكسوها من جميع الجهات في فصل الصيف ولا يبقى الاقسا قليلا منها بمنأى عن المياه .

(١٥) اراضي الدرجات . وهي الاراضي الشبيهة بالادراج وهي مغلقة كالدرج بالنسبة للبيت ، وهكذا كان حالها في الجبال . تتميز بعدم سماكة تربتها ، ومن هذه الدرجات درجات المناير شمال شرق خريش .

(١٦) الصفاح : هي الاراضي الجبلية الواقعة خارج حدود القرية .

(١٧) الخلا : هي الاراضي الواقعة خارج القرية .

(١٨) اراضي السهل : وهي المختصة بالسهل الساحلي الفلسطيني .

٢- اسماء الاشخاص بين الاصاله والمعاصرة :

ما يميز اسماء الاشخاص انها تتفاعل مع شعور الفلسطيني بالانتماء لتاريخه الخاص والعالم ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى انتماءه لروح العصر والمستجدات التي حدثت او للمضامين الاجتماعية المتعددة التي تأخذ قسما منها في الاحداث اليومية التي تحدث ، وعلى هذا الاساس ، وجدت نظرة الفلسطيني في اختياره للاسماء والالقاء والكنى التي تعتبر ذات دقة متناهية في قريتنا الفلسطينية ، من ذلك ان هناك اسماء تعبر عن الماضي التاريخي والتي يمكن تقسيمها لما يلي :

(١) اسماء عربية جاهلية : قصي ، عدى ، الخنساء ، حليلة ، جميل ، بثينة .

(٢) اسماء انبياء ورسول . ابراهيم ، اسماعيل ، موسى ، عيسى ، داوود ، مريم ، زكريا ، يوسف .

- (٣) اسماء ذات قاع تاريخي في الوجدان الشعبي من امثال خضر (وهو تعبير عن الخضر الاخضر الذي ورد ذكره كثيرا في الموروث الديني) وخضرا وخضراء الخضر كثيرا ما يستعينون به في قولهم الخضر الاخضر حولك وحوالك ، وهو تعبير عن روح ميثولوجية تعشش في العقول .
- (٤) اسماء القادة العرب التاريخيين والنساء القائدات : محمد ، عمر ، فاروق ، عثمان ، علي ، عائشة ، خولة ، معن ، صلاح الدين ، خالد ، المنصور ، ظاهر ، خلدون ، خديجة .
- (٥) موروثات فكرية نابغة عن عدة تصورات ، من امثال : حسام ، مهند ، سيف ، ضرغام ، وكلها للسيف والاسد لما يعبران عن روح القوة التي يتذوقها الانسان الفلسطيني .

وأما الاسماء التي تتجلى فيها روح المعاصرة سواء كانت سلبية ام ايجابية فيمكن رصدها على النحو التالي :

- (١) اسماء لقادة فلسطينيين وعرب من امثال غازي وقد سمي نسبة للملك غازي حاكم العراق سنة ١٩٣٦ ، وفؤاد (نسبة للمرحوم فؤاد نصار زعيم الحزب الشيوعي الاردني) ومعمّر ، وياسر ، وصدام ، وجمال ، عبد الناصر ، عبد الحكيم ، حسين ، ويكثر من بين هذه الاسماء اسم جمال عبد الناصر خاصة وانه كان يستقطب غالبية الجماهير، وهذا الاسم شاع في غالبية فلسطين كما نعتقــــــــــــد .

- (٢) اسماء ترتبط بقيم نضالية من امثال . ثائر ، فادي ، نضال ، تحرير ، نصر ، انتصار ، نصره .
- (٣) اسماء ترتبط بالفنانين والفنانات ، وهو ما تأثروا به عن طريق الراديو والتلفاز ، ومن هذه الاسماء ميرفت ، وميادة ، عبد الحليم ، سميرة ، سمير (فارس نجود ، وهما تسميتان جاءتا بعد عرض مسلسل فارس ونجود في التلفاز الاردني قبل اعوام . وتأخذ الاسماء وبخاصة اسماء الفتيات تجديدا واضحا ومن ذلك اسماء عبير ورولا ونهاية وكفاية ومنتهى وسوزان وجيهان وغير ذلك من الاسماء ولعل اهم ما يلفت الانتباه ان اسم عبير وسحر هما احدي الاسماء الشائعة في الضفة الغربية وهذا ما امكنا استنتاجه من خلال النتائج العامة للتوجيهي .

- (٤) اسماء ترتبط بالواقع الاقتصادي والاجتماعي المعاش وتعبير للاحداثيات وهو ما نلاحظه في اسماء نهاية منتهى ، كفاية ، صابرين ، عزيزة ، ويأتي اسم نعمة كرمز للخير بينما كفاية كرمز للتعبير عن عدم الرغبة في وجود البنات ، وخاصة بعد ميلاد عدة فتيات ، وفي حين يكون اسم صابرين بعد فترة انتظار طويل ، وهناك اسم ايمان كتعبير عن الايمان في روح الانسان بينما يأتي اسم نادر كتعبير عن ندرة شيء ما وقيمه لدى الانسان وهل هناك ما هو اثن من قيمة الانسان في حين يكون اسم بشير كتعبير عن مجيء الخير لدى الانسان وكذلك الحال في اسم بشاره او اسم عطا واسم خيريهــــــــــــة .

هذه وتلك من الاسماء تبين لنا الى اي حد تبدو الاسماء مهمة في ذهن الانسان الشعبي خاصة وان الانسان الشعبي يرى الشيء في الاسم ، ولهذا تبدو بصورة اليمه حينما تكون اسماء بعض

الاشخاص ليست في محلها ومتروكة بصمات الوالدين والاحداث السيئة عليها وليس ادل من ذلك ان يسمى شخص اسم ابنته هزيمة او سراب وهو ما لاحظناه في مدن وقرى اخرى .
 المهم في الموضوع ان نشير الى ان الاسماء عند الفلسطينيين تأخذ طابعها المتميز عن شعوب العالم ، وليس ادل من ذلك على اسماء الصينيين حيث يبرز فيها مقطع فنغ ، بينما في الاتحاد السوفياتي يبرز مقطع نوف في الاسماء ، في حين مقطع كي يبرز في اليابان في حين في فلسطين تتنوع الاسماء وان كان مقطع " آن " يبرز واضحا كقولنا حمدان ، عليان ، نبهان سمحان وغيره كثيرا ونضيف لما سبق ان اسوأ الامور ان يسمى البعض اسماء ابنائهم باسم بيغن والسادات او كولنفر هيلين وان دل على شيء فانما يدل هذا على روح اغتراب يعيشها هؤلاء .



الذكرة الاولى لرحيل الشاعر التقدمي معين بسيسو

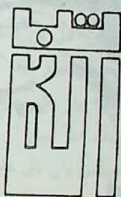
القدس - غصت قاعة مجمع النقابات المهنية في بيت حنينا يوم الجمعة ١٩٨٥/١/٢٥ بالمدعوين لاحياء الذكرى الاولى لرحيل الشاعر الشيوعي الفلسطيني التقدمي معين بسيسو ، حيث كان اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دعا الى احياء هذه الذكرى .

وقد بدأ الاحتفال بكلمة لرئيس الاتحاد الشاعر خليل توما نوه فيها بالشاعر الكبير، وبدوره في النضال من اجل انتصار الحق الفلسطيني، الامر الذي اكسبه احترام ومحبة ابناء شعبه على اختلاف انتماءاتهم السياسية . ثم قام عريف الحفل يوسف حامد بتقديم المشاركين في احياء الذكرى . حيث قرأ الشاعر اسعد الاسعد قصيدتين للشاعر ، الاولى بعنوان " المرتد " والثانية بعنوان الخروج ، ثم تلاه الناقد محمد البطراوى فقدم عرضا سريعا وملخصا لتوجهات الشاعر الفنية ، مستعرضا الاحداث العظيمة التي مرت على المنطقة وانعكست في شعر واعمال الشاعر معين بسيسو ، وكان احد اعضاء لجنة الدفاع عن مخيم الدهيشة ، قدم تحية لذكرى معين ، واهاب بالجميع التضامن مع مخيم الدهيشة ووضع حد لاستفزازات لفنغر وسائبة المستوطنيين .

بعد ذلك تحدث الكاتب غسان عبدالله عن مسرحيات معين ، والبعد الطبقي الذي تضمنته هذه الاعمال ، منوها بالوعي الطبقي الكبير ، الذي كان يتمتع به الشاعر ، وادراكه للعلاقة بين الطبقي والوطني ، في النضال من اجل التحرر والحرية ، ثم قام عريف الحفل بتقديم الشاعر الكبير سميح القاسم حيث قرأ قصيدة بعنوان " انت تعلم كم نحبك " ، استطاع فيها سميح القاسم ان يسجل بصدق ومحبة باللغة حبه الكبير لصديقه معين ، والمشارع العظيمة التي تغمره وكل المعلمين ، لذكرى الشاعر الذى قضى وهو يدافع بالقصيدة عن وطنه وحق ابناء شعبه في الحياة الكريمة على ترابهم الوطنى .

والجدير بالذكر ان الاحتفال باحياء الذكرى الاولى لرحيل معين بسيسو جاءت بمثابة النشاط الاول لاتحاد الكتاب ، حيث يعد الاتحاد لمجموعة من النشاطات الثقافية المتتالية ، ففي الثامن من شباط الحالي سوف تعقد ندوة عن ادب السجون يتحدث فيها عدد من الكتاب والشعراء ، تليها حلقات بحث تتعلق بالشعر والقصة والمسرح ، والجوانب المختلفة للعملية الابداعية ، يشارك فيها عدد كبير من النقاد والكتاب من المناطق المحتلة .

بدائل لاستخدام فضلات الحيوانات



بقلم : د : عدنان شقير - جامعة بيت لحم

مقدمة :

ان المنافسة القائمة بين الانسان والحيوان على مصادر الغذاء والحبوب منها خاصة جعل الانسان يفكر في مصادر علف جديدة ورخيصة وفي تناول اليد ، لذا اتجه الى اعادة اطعام الحيوانات المزرعية جزءا من فضلاتها . واذا ما علمنا انه لا يمكن للانسان التفریط بالانتاج الحيواني لانه مصدر غذاء هام جدا ومصدر للبروتين لما للاخير من اهمية لصحة الانسان بشكل عام .

لقد شهدت تربية الحيوان في السنوات الاخيرة قفزات كمية ونوعية واسعة ، اذ انتقلت من نظام التربية غير المركز (نظام المراعي) الى النظام المركز ، فمن المتعارف عليه قبل ٥٠ سنة خلت ان فضلات الحيوانات افضل مصدر لتغذية النبات اذ كانت تستخدم كسماد طبيعي ولكن مع تركيز وحدات الانتاج اصبح التخلص من الفضلات مشكلة عند المربين واضحت تشكل عبئا على البيئة من حيث امكانية تلويثها للهواء ، الماء والتربة احيانا . لقد تنبهت الدول المتقدمة لهذه المشكلة واجرت الابحاث لدراسة امكانية استغلال هذه الفضلات في مجالات اخرى غير السماد، وعليه فقد طورت اساليب ونظم جديدة لتسهيل عملية التعامل مع هذه الفضلات مما جعل منها مصدرا من مصادر الدخل ، بعد ان كانت تشكل معضلة لبعض المزارعين ، ويمكن القول ان التوجه لدراسة بدائل لاستغلال مخلفات الحيوانات قد بدأ تطبيقها وعلى نطاق واسع في بداية الستينات من هذا القرن (٦) .

ان ظاهرة اعتماد بعض الحيوانات المزرعية على روثها كمصدر لبعض العناصر الغذائية

يمكن مشاهدته وبشكل طبيعي في الارانب اذ تقوم باكل فضلاتها اللينة القوام بعد خروجها من فتحة الشرج مباشرة وهذه الظاهرة موجودة ايضا في الخيول وتسمى هذه الظاهرة (COPROPHAGY) اما ما نحن بصدده فهو تدخل الانسان وتقديم فضلات الحيوانات كجزء من علف نفس الحيوانات او حيوانات اخرى، اذ لوحظ ان بعض فئران التجارب والتي ربيت على مادة الكازين او اى علف نقي اخر يمكنها الافادة من بعض الفيتامينات الموجودة في فضلات بعض الفئران الاخرى (٩) .

لقد ادى الارتفاع الحاد في اسعار مصادر الطاقة خاصة النفط منها ، التوجه لاستغلال روث الابقار بشكل خاص لانتاج غاز الميثان وهذا الاخير يستخدم كمصدر للطاقة في البيوت والمزارع وما تجدر الاشارة اليه ان معظم ان لم تكن جميع الدول النامية تستخدم روث الحيوانات كمصدر للطاقة ولكن بصورة بدائية اذ يستخدم في اعداد الخبز في كثير من البلدان كاليهند ، باكستان ، الاردن . الخ وكما نعلم يستخدم عندنا كمصدر حرارة للطباخون.

هذا وتتجه الابحاث في الدول المتقدمة الى استغلال مخلفات الحيوانات الى اقصى حد ممكن حتى ان بعض الباحثين اقترح دراسة امكانية تصنيع هذه الفضلات وتصديرها للخارج فلربما يأتي اليوم الذي نستورد فيه علفا يحتوى على نسبة لا يستهان بها من الفضلات الحيوانية .

سأحاول في هذه المعالجة استعراض هذا الموضوع مركزا على النقاط التالية :-

(١) مقدار ما يمكن انتاجه من الفضلات ومواصفاتها الفيزيائية والكيميائية .

(٢) استخدامات الفضلات المختلفة .

(أ) سعاد طبيعي ومصدر غذا للنبات .

(ب) علف للحيوانات .

(ج) مصدر لانتاج الطاقة .

(٣) مدى الاستفادة من هذا التوجه الجديد محليا .

صفات الفضلات كما ونوعا

=====

كلنا متفق على ان لكل نوع من الحيوانات طبيعة مميزة لفضلاته ، وعموما فهناك عدة عوامل تسهم في هذه الاختلافات وهذه تشمل :-

(١) نوع الحيوان وطبيعة جهازه الهضمي ، في هذا المجال لا بد من الاشارة الى ان الحيوانات المجتررة (ابقار، اغنام . الخ) ذات جهاز هضمي متميز بسعته ومعدته المركبة في حين ان الدواجن ذات جهاز هضمي قصير نسبيا لذا فان كفاءة الهضم في هذه الحيوانات مختلفة وبالتالي فان مواصفات مخلفاتها متباينة تبعا لذلك .

(٢) ان نظام ادارة المزرعة وحجمها وطريقة جمع وحفظ الفضلات تلعب دورا هاما في المواصفات النهائية لهذه الفضلات . فلو سمحنا للجزء السائل من الفضلات بالتسرب والضايغ فهذا يؤثر على خواص الفضلات كما ان ظروف حفظ وتخزين الفضلات سيصاحبه تغيرات بيولوجية الى غير ذلك من الظروف .

(٣) تركيب ومواصفات العلف الاصلي والمقدم للحيوان المراد استخدام فضلاته كجزء من علف نفس الحيوان او حيوانات اخرى ، فكلنا يعلم ان مواصفات وتركيب العلف المقدم تعتمد على عدة عوامل منها نوع الحيوان ، معدل انتاجه ، عمره . . الخ من العوامل وهذه بدورها تنعكس على المخلفات كماً ونوعاً .

قبل الاستطرداد في هذا الموضوع لا بد من الاشارة الى كمية الانتاج اليومية لفضلات بعض الحيوانات المزرعية والتي يمكن الاستفادة من فضلاتها وتركيبها الكيميائي لهذه الفضلات .

جدول رقم (١) : يبين كمية المخلفات الناتجة وتركيبها الكيماوي لعدد من الحيوانات (٦)

الحيوان	وزن الحيوان كغم	الفضلات الناتجة كغم / يوم	المادة الجافة %	الرمد %	الالياف	نيتروجين	بوتاس	فوسفات
ابقار								
ابقار لحم	٥٢٠	٢٩	١٢	١٥	٣٧	٢	١٢٢	٠٠٤
عجول تسين	٤٥٠	٣٠	١٢	١٢	١٥	٢٠٢	٢٠٥	٠٠٨
ابقار حلب	٦٤٠	٥٠	١٤	١٨	٢٦	٢٠٥	٢٠٤	٠٠٦
اغنام	٤٠	٢	٢٦	١٥	١٥	٤٠٤	٣	٠٠٦
دواجن								
لاحمة	١	٠٠٦	٢٥	٢٢	١٢	٤٠٤	١٠٩	١٠٢
بياضة	٢	٠١٥	٢٦	٣٠	١٣	٤٠٨	١٠٨	١٠٨

من الجدول السابق يتبين لنا ان الصفات الفيزيائية والكيميائية متباينة لفضلات هذه الحيوانات . فمثلا فضلات الاغنام والدواجن اجف من فضلات الابقار وهذا مرده الى الطبيعة الفسيولوجية لجهازها الهضمي وكفاءته على امتصاص وافراز الماء . كما ان فضلات الابقار ذات دقائق كبيرة وخشنة مقارنة بفضلات الدواجن وهذا مرده الى نوعية العلف وعملية الهضم في

هذه الحيوانات . ان من الاهمية بمكان معرفة هذه الخصائص لكي نتبع انجع السبل لنقل وتخزين الفضلات .

اما الخواص الكيميائية فانها تتأثر بكفاءة الهضم ومعدلات التغذية فكلما اطعم الحيوان فوق مستوى احتياجاته كلما كانت فضلاته ذات قيمة غذائية اعلى . وعموما يتضح لنا ارتفاع نسبة الالياف وانخفاض نسبة الفوسفور في روث . المجترات مقارنة بالدواجن ، وارتفاع النيتروجين والكالسيوم في فضلات الدواجن مقارنة بالمجترات ، كل هذا مرده لعوامل غذائية (وفسيولوجية) لهذه الحيوانات ، وما تجدر الاشارة اليه هنا ان خواص الفضلات الكيميائية تتأثر وبدرجة كبيرة جدا بمدى وظروف التخزين اذ يؤدى ذلك الى احداث تغيرات على المركبات العضوية وغير العضوية في الفضلات . لقد وجد ان التخزين يؤدى الى احداث تغيير على درجة حموضة الفضلات وفقدان كميات كبيرة من النيتروجين على هيئة امونيا (١٣)

مقدار ما ينتج من الفضلات :

تفاوت الكمية الناتجة من الفضلات تبعا لنوع الحيوان ولنظام تربيته ، ولبيان ذلك سنعرض لانتاج مختلف الحيوانات من الفضلات .

جدول رقم (٢) : يبين كميات الفضلات الناتجة لبعض الحيوانات لعام ١٩٧٤ لبلد كأمريكا . (٦)

نوع الحيوان	المنتج	الممكن جمعه
ابقار مرباه بالمراعي	٥٢٠٥٧	١٨٩٧
ابقار لحم مرباه في حظائر	١٦٤٢٨	١٦٠٠٠
ابقار حليب	٢٥٢١٠	٢٠٣٥٨
اغنام	٣٧٩٦	١٧٠٠
دجاج لاحم	٢٤٣٤	٢٠٨٦
دجاج بياض	٣٣٧٤	٢٢٥٩
المجموع	١٠٣٢٩٩	٤٤٣٠٠

يتضح من الجدول اعلاه الكميات الهائلة الناتجة من الفضلات الناتجة والتي يمكن جمعها فعلا .

مجالات استغلال الفضلات

=====

أ - كسماد طبيعي

من المتعارف عليه منذ القدم ان السماد العضوي من الاهمية بمكان بالنسبة لتحسين قوام التربة وخواصها الفيزيائية او بالنسبة لاضافة عناصر غذائية ضرورية مما يؤدى الى انتاج جيد من المحاصيل الزراعية ، فالعناصر الاساسية التي يضيفها المزارع اكثر من غيرها هي النيتروجين ، البوتاس والفوسفور وذلك عند التسميد بالسماد الكيماوى المصنع والتي ازدهرت كصناعة بتروكيماوية .

لقد اجريت دراسات لبيان افضل السبل والتي عن طريقها يمكن للسماد الطبيعي الاحتفاظ باكبر قدر ممكن من عناصره الغذائية ومن اهمها طرق التخزين والحفظ لحين الاستعمال . فقد وجد ان تخزينه في حفر ضحلة او على سطح الارض يفقده كثيرا من خصائصه وقيمتة الغذائية اذا ما قورن بحفظه في حفر عميقة (١٣) . لقد وجد من هذه الدراسات انه يمكن للسماد العضوى ان يفقد حوالي ٩٠ ٪ من نيتروجينه اثناء تخزينه و اضافته للتربة اذا ما اتخذت الاحتياطات اللازمة لمنع ذلك . لذا نجد المزارع الناجح يقوم بخزن السماد في حفر قبل استخدامه وقلبه وخلطه بالتربة عند اضافته للارض كل ذلك يعمل على تقليل فقد عناصره الغذائية . وبصورة عامة فان السماد الطبيعي يمكن ان يساهم ب ٣٠ - ١٠٠ ٪ من النيتروجين مقارنة بالسماد الكيماوى (١٤) .

ان عملية استخدام فضلات الحيوانات كسماد طبيعي له محاسنه كما ان عليه مآخذ ، من هذه المآخذ انه يمكن ان يكون عاملا في نقل بعض الامراض خاصة اذا ما اضيف وبنسب عالية الى اراض تستغل كمراع خضراء مما يؤدى الى ارتفاع نسبة النيترات في نباتات تلك المراعى او تسربها الى المياه وهذه بدورها تعتبر سامة بالنسبة للحيوانات ، مما ينتج عنه مشاكل صحية للحيوانات المجترة بشكل خاص (١٥) .

لا بد من الاشارة هنا الى ان هناك حدودا ومستويات يجب عدم تجاوزها عند اضافة السماد الطبيعي للتربة وهذه تحددها عدة عوامل منها مستوى جودة الماء في المنطقة ، الظروف الجوية السائدة ، نوع المحصول المراد زراعته واخيرا خواص التربة المراد اضافة السماد اليها .

ب - كعلف للحيوانات :

ان اهمية الحيوانات المزرعية في توفير احتياجات عالم اليوم من البروتين الحيواني لا

تخفى على احد كما ان القيمة الحيوية لهذا النوع من البروتين عالية اذا ما قورنت بمصادر البروتين النباتية .
لا يدمن الإشارة هنا الى ان بعض الحيوانات المستأنسة والمتوحشة تقوم بأكل روثها . لقد كان متبعا ومع اطلالة هذا القرن في كثير من البلدان ان تربي الخنازير مع الابقار لكي تستفيد الاولى من روث الثانية . وهذا لا يخفى على من سكن القرية عندنا اذ تربي الدجاج مع الاغنام والابقار .

ان استخدام فضلات الحيوانات في علفها لذو اهمية وفائدة اكبر من استخدامه كسماد طبيعي او كمصدر لانتاج غاز الميثان . لقد وجد بالتجربة ان نيتروجين الفضلات تكون كفاءة استخدامه والافادة منه اذا ما استعمل في علف الحيوانات ثلاثة امثال استخدامه كسماد طبيعي واستعمل من قبل النبات (٥) . لا نغالي اذا قلنا ان عمل سيلاج من زرق الطيور ومخلقات المحاصيل الحقلية وهذا بدوره يغذي الحيوانات ذات انتاج عال كابقار الحليب مثلا فلقد جرت عدة محاولات ودراسات لمعرفة افضل الطرق والوسائل لتحويل نيتروجين الفضلات الى بروتين (٤) . من هذه الطرق استخدام خميرة ، طحالب ، فطريات ، حشرات ، بكتيريا او ديدان الارض ، ولقد ثبت ان هناك امكانية لمثل هذا العمل ولو من الناحية النظرية الا ان هناك بعض المعوقات العملية مع أنه يمكن التغلب عليها باجراء مزيد من الابحاث وعموما وجد ان استخدام الطحالب من الطرق الجديرة بالاهتمام .

القيمة الغذائية للفضلات :

يمكن ترتيب ذلك تصاعديا وحسب قيمتها الغذائية تبعا لمصدرها كالتالي : فضلات الطيور الصغيرة (النامية) ، روث الخنازير ، زرق الدجاج البياض ، روث الابقار (٦) . ان هذا الترتيب يتطابق ولدرجة كبيرة مع تجارب مخبرية اجريت على معاملات هضم الفضلات . ولتوضيح الصورة اكثر للقارئ لا بد من معرفة القيم الغذائية لمثل هذه الفضلات .

لقد وجد بالتجربة ان اضافة زرق الطيور المجفف بنسبة ١٢ ٪ لعلف ابقار الحليب او ١٧ ٪ لعلف الاغنام لم تؤثر على انتاج الحليب من الابقار او معدلات النمو في الاغنام ، الا ان اضافة الزرق بصورته الرطبة دون تجفيفه ادى الى انخفاض معدلات النمو في الابقار وزيادة كمية العلف المستهلك (١٢) . ان السبب في ذلك يرجع الى انخفاض نسبة الطاقة في الزرق الرطب مقارنة بالجفاف .

لا بد من التنويه الى ان الدواجن لا يمكنها الاستفادة من مصادر البروتين غير العضوية بنفس الكفاءة كما في المجترات لذا فمجال استخدام الفضلات في علف الدواجن ممكن بل ممكن جدا الا انه ربما يكون محدودا .

جدول رقم (٣) : يبين القيمة الغذائية لفضلات بعض الحيوانات (١) .

العنصر الغذائي	مصدر الفضلات		
	دجاج لاهم	دجاج بياض	عجول تسمين
بروتين خام %	٣١ر٣	—	٢٠ر٣
بروتين حقيقي %	١٦ر٧	١١ر٣	—
الياف خام /	١٦ر٨	١٢ر٧	١٥
دهون %	٣ر٣	٢	—
مجموع المواد المهضومة %	٥٩ر٨	٥٢ر٣	٤٨
رمداد %	١٥	٢٨	١١ر٥
كاليسيوم %	٢ر٤	٨ر٨	٠ر٨٧
فوسفات %	١ر٨	٢ر٥	١ر٦
مغنيسيوم %	٠ر٤٤	٠ر٦٧	٠ر٤
صوديوم %	٠ر٥٤	٠ر٩٤	—
بوتاسيوم %	١ر٧٨	٢ر٣٣	٠ر٥
حديد جزء بالمليون	٤٥١	٠ر٢	١٣٤٠
نحاس جزء بالمليون	٩٨	١٥٠	٣١
منغنيز جزء بالمليون	٢٢٥	٤٠٦	١٤٧
خارصين جزء بالمليون	٢٣٥	٤٦٣	٢٢٤

رب سائل يسأل هل هناك اثار سلبية لهذه الفضلات على جودة اللحم وطعمه ونكهته نتيجة اضافتها لعلف الحيوانات . والجواب على ذلك انه لم يثبت ان هناك اثاراً سلبية وهذه نقطة هامة جداً خاصة للمستهلك المحلي عندنا اذ ربما يعثره الاشتراك عند سماعه انه سيأكل لحماً من حيوانات ربيت على علف به فضلات حيوانية خاصة اذا ما جرى انتاجها محلياً مما يعرض المنتج المحلي الى الخسارة ولكن ليعلم القارئ ان ما نستورده من لحوم مجففة او ما كان يستورد من اغنام او ابقار حية، هل ندرى اذا ما كانت تأكل مثل هذه الفضلات . ما اردت ان اخلص اليه هو طمأننة المستهلك من هذه الناحية النفسية .

بما ان فضلات الطيور قد استعملت على نطاق واسع في علف المجترات والدواجن على حد سواء لذا سأحاول ان استعرض بعض المعلومات الهامة في هذا الصدد .

جدول رقم (٤) : التركيب الكيماوى للفضلات الجافة للطيور مأخوذة من بلدان مختلفة (٢)

العنصر الغذائي /	الفضلات الجافة			
	هولندا	كندا	الولايات المتحدة	بريطانيا
رطوبة	٤٥	٩٥	٧٣	٩٦
بروتين خام	٢٤٣	٢٥٥	٢٤٢	٢٧
بروتين حقيقي	١٤٧	١٤٢	١٠٨	١٠٦
حامض اليوريك	—	٧٠١	—	٥٦
دهون	٤١	٣١	٢١	١٨
الباف خام	١٠١	١٢٠	١٣٧	١٤٩
رمد	٣٥٨	—	٢٦٩	٢٦٥
كالمسيوم	١٠٦	١٢١	٧٨	٧٤
فوسفور	٢٧	١٤	٢٦	٢١
بوتاسيوم	٢٤	١٨	١٩	١٣
نحاس	—	٠٠٠٦٣	—	٠٠٠٥٧
حديد	—	٠١١٣	—	٠١٨٠
منغنيز	—	٠٠٤٤	—	٠٠٢٩
خارصين	—	٠٠٦٨	—	٠٠٢٩
مغنسيوم	—	٠٤٢	—	٠٦٤

ان انخفاض نسبة البروتين الحقيقي من البروتين الخام في مخلفات الطيور يحد من امكانية اضافتها الى علف وحيدات المعدة. وما تجدر الاشارة اليه هنا ان نسبة البروتين الحقيقي في فضلات الطيور مساوية لما تحويه الحبوب كذلك فان مستويات بعض الاحماض الامينية كالارجنين، السستين والميثايونين في هذه الفضلات مقاربة لما يحويه الشعير من هذه الاحماض (٢). ولكن ما اثر استخدام فضلات الطيور في علف الدجاج البياض على انتاجها من البيض. لقد ثبت ان اضافة الفضلات حتى ١٠ ٪ من العلف لن يؤثر على انتاجيتها من البيض او على خصائص البيض المنتج .

ان اضافة زرق الطيور غير المجفف يمكن ان يحتوى على انواع ضارة من البكتيريا كالمونيلالا ان السواد الاعظم من البكتيريا الموجودة تعتبر من النوع غير الضار .

طرق معاملة الفضلات :

تشكل طرق المعاملة اهمية خاصة اذا ما رغبتنا في استخدامها كغذاء للحيوان لان الهدف من هذه العملية هو القضاء على كل او معظم الميكروبات الضارة وتسهيل عملية التخزين وتحسين خواصها لتكون مقبولة لدى الحيوان. من الطرق المتبعة هو استخدام الحرارة لتجفيف الفضلات الا ان ذلك يفقد الفضلات كثيرا من نيتروجينها كما انها مكلفة اذا ما تذكرنا ان اسعار الوقود اصبحت مرتفعة جدا. فالناحية الاقتصادية تلعب دورا مهما. ومن الطرق المهمة والتي يمكن تعميمها هو عمل السيلاج من الفضلات ومخلفات المحاصيل الحقلية وعادة ما تضاف لهذا السيلاج مواد حافظة كحامض التانيك والفورمالدهايد ومواد مساعدة على الهضم كهيدروكسيد الصوديوم .

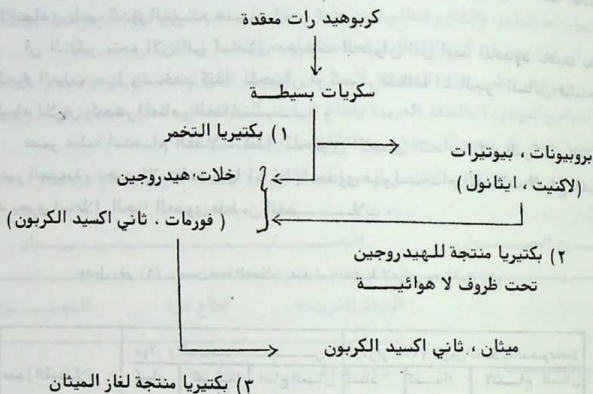
السؤال الملح في هذه المرحلة هو ما مصير الميكروبات والمواد الضارة والممكن وجودها في فضلات الحيوان. لقد وجد ان الفضلات يمكن ان تحوى على بكتيريا، فطريات، فيروسات طفيليات، مخلفات مبيدات حشرية، هورمونات، عناصر سامة وبقايا ادوية، والجواب على ذلك انه لم تظهر اية اعراض على الحيوانات التي غذيت بفضلات وتحت ظروف مقبولة، لكن لا بد من الحذر عند اضافة فضلات الطيور الى علف الالغنام لحساسية الالغنام لعنصر النحاس مما يؤدى الى ظهور اعراض تسمم النحاس وعموما تعتبر المعادن الثقيلة مصدر قلق عند اضافة الفضلات لعلف الحيوانات وينسب عالىة .

ج- مصدر لانتاج الطاقة

لا بد لسكان هذا الكوكب من البحث عن مصادر جديدة للطاقة لانه سيأتي يوم ينضب فيه البترول ومصادر الطاقة الاخرى. لا اريد ان يفهم من كلامي هذا ان استخدام فضلات الحيوان لانتاج الطاقة هو البديل بل يمكن اعتباره احد المجالات التي يمكن النظر فيها .

تحتوى فضلات الحيوانات على نسب عالية من المواد العضوية وهذه بدورها يمكن ان تستخدم لانتاج الطاقة اما مباشرة بحرقها كما هو متبع في عديد من دول العالم الثالث او بطرق غير مباشرة وذلك بتخميرها وانتاج غاز الميثان والذي بدوره يستخدم كمصدر للطاقة. ان عملية انتاج الميثان من روث الحيوانات ممكنة الا انها تصبح مجال تساؤل من وجهة النظر الاقتصادية مع ان هناك وحدات تسمى (DIGESTERS) قد انشأت في عديد من الدول الصناعية لهذا الغرض (٥). فلا غرابة اذا ما سمع القارئ ان مزرعة مكونة من ٦٠ رأسا من البقر تنتج من الفضلات ما يكفي لانتاج ههظم احتياجات هذه المزرعة من الطاقة على هيئة غاز الميثان وذلك باتباع نظم مطورة لمعاملة هذه الفضلات .

ان عملية انتاج الميثان هي ببساطة عملية حيوية اذ يتم فيها تحويل الكربوهيدرات في الفضلات الى غازي الميثان وثاني اكسيد الكربون بواسطة انواع من البكتيريا (١) . يمكن تلخيص العملية بالاتي :



لقد وجد ان عملية انتاج الميثان تكون اكفا عندما تكون نسبة الكربون : النيتروجين في المزيج ١٦ : ١ (١١) . كما ان نسبة غاز الميثان الناتجة داخل الهاضم (DIGESTER) تتراوح بين ١٣ - ٨٠ ٪ من مجموع الغازات الناتجة الا انها تكون ٦٧ ٪ في المتوسط (٨) . لاعطاء فكرة عن امكانية استخدام الفضلات كمصدر لانتاج الطاقة سأشير هنا الى كميات الحرارة الممكن انتاجها من فضلات بعض الحيوانات .

جدول رقم (٥) : كمية الطاقة الصافية الممكن انتاجها يومياً من الميثان الناتج عن عملية

تخمير الفضلات (٦)

نوع الحيوان الطاقة الحرارية الناتجة كيلوجول / ١٠٠ كغم فضلات

٦٣٠٠٠ - ٣٨٠٠٠

ابقار الحليب

٤٨٠٠٠ - ٤٢٠٠٠

ابقار اللحم

١٢٨٠٠٠

دجاج اللحم

١٠٥٥٠٠ - ٨٦٥٠٠

دجاج البيض

الارقام السابقة تمثل الانتاج في الولايات المتحدة فقط .

ان عملية استخلاص الطاقة من الفضلات لا زالت في اول الطريق وانها ليست بهذه البساطة كما اننا نحتاج الى مصدر خارجي للطاقة لرفع درجة حرارة جهاز التخمر . فقد وجد في احدى الدراسات ان انتاج كيلو واط / ساعة باستخدام غاز الميثان الناتج من تخمر الفضلات يكلف ٢ - ٣ اضعاف انتاج الطاقة بالطرق التقليدية (١١) . لذا فالعامل الاقتصادي يلعب الدور المهم هنا .

ان التفكير متجه الان الى استغلال مخلفات الحيوان الى ابعد الحدود بحيث يفصل الجزء الصلب منها ويستخدم كغذاء للحيوان او كمصدر للطاقة اما الجزء السائل فيستخدم كسماد للارض وكمصدر للعناصر الغذائية .

تعتبر عملية استخدام الفضلات كغذاء للحيوان الاجدى اقتصاديا لان المركبات العضوية وغير العضوية ، تجري الاستفادة منها اما اقلها جدوى فهو استخدام الفضلات لانتاج الميثان اذ يجري استغلال الجزء العضوي فقط من الفضلات .

جدول رقم (٦) : يبين قيمة الفضلات عند استخدامها لاعراض مختلفة (٦) .

مصدر الفضلات	دولار / طن			دولار / ١٠٠٠ طن من الفضلات المجموعة فعلا		
	كماد	كغذاء	انتاج الميثان	كماد	كغذاء	انتاج الميثان
ابقار اللحم	٢٥٠٦	١١٨ر١٤	١٢ر٧٣	٤١٦٨٠٠	١٨٩٢٤٠	٢١٩٦٨٠
ابقار الحليب	١٧	١١٨ر١٤	١٢ر٧٤	٣٤٨٠٨٦	٢٤٠٥٠٩٤	٢٥٩٣٦٠
دجاج اللحم	٢٦ر٥٤	١٥٩ر٥٧	١٦ر٢٩	٦٤٥٩٨	٣٨٨٣٩٣	٣٩٦٥٠
دجاج البيض	٣٦ر٤٥	١٥٥ر١٤	١٧ر٩٣	١١٨٧٩١	٥٠٥٦٠١	٥٨٤٠١

لا بد من الاشارة وفي هذه المرحلة الى ان استخدام الفضلات سواء على نطاق محدود او واسع يعتمد على عدة عوامل منها اسلوب التربية المتبع ومدى التقدم في طرق الانتاج كما ان اسعار مصادر الطاقة تلعب دورا مهما هنا مما يؤدى الى ارتفاع اسعار الاسمدة المصنعة لذا نجد ان استخدام الفضلات كاسمدة سيستمر كما ان استخدامها في علف الحيوانات يبدو انه سيتسع خاصة في اعلاف المجترات والسبب هو التناقض المستمر في مصادر الاعلاف والتنافس المستمر ما بين الانسان والحيوان على الحبوب بشكل خاص .

هل يمكن الافادة محليا من هذا الموضوع وما هي المعوقات

ان التوجه الى اضافة فضلات الحيوان الى الاعلاف قد يكون اكثر الحاحا في الدول النامية منه في الدول المتقدمة . اذ ان هذه الدول تقوم باستيراد معظم اعلافها من الخارج

لذا فالتوجه الى مثل هذا المجال يحتم على المعنيين وذوى الاختصاص ان يلجوا في هذا الموضوع ويخرجوا بنتائج وتوصيات مرضية. الا ان الوضع عندنا يقصر الاستفادة على مخلفات الطيور اذ تعتبر الوحيدة من مجمل الانتاج الحيواني والتي اتجه الى النظام المركز في تربيتها لذا فمن السهولة بمكان جمع فضلاتها اما الابقار فلا زال عددها محدودا في وحدة الانتاج اما الماعز والضأن فنظام تربيتها لا يخفى على احد لا زال نظام الرعي هو السائد. من كل هذا نجد ان كمية الفضلات المتاحة هي محدودة مع انه لا بأس بها . وللوقوف على هذه الحقيقة لا بد من التعرف على اعداد الابقار والاغنام والماعز والدواجن الموجودة بالضفة الغربية وقطاع غزة ثم التعرف على الطرق المتبعة في التربية واخيرا مقدار ما ينتجه كل حيوان من الفضلات يوميا .

جدول رقم (٧) : اعداد الحيوانات المزرعية بالضفة الغربية وقطاع غزة لعام ١٩٨١

(٥٠)

نوع الحيوان التعرف داد

المجموع	قطاع غزة	الضفة الغربية	
٢٥٣١٢٥	١٥٠٠٠	٢٣٨١٢٥	ضأن
١٩٢٠٥٧٥	٣٠٠٠٠	١٦٢٠٥٧٥	ماعز
١٩٥٠٤٨	٥٠٥٥٠	١٣٩٩٨	ابقار
			(بلدى، مهجن، عجول، عجلات)
١٢٨٠٤٥٠	١٦٠٠٠	١١٢٠٤٥٠	دجاج بياض
٤٦٢٠١١٧	١٦٩٠١١٧	٣٩٣٠٥٠٠	دجاج لاهم
			عدد مدور
٩٤١٨٨٦	٢٨١٦٨٦	٦٦٠٢٠٠	عدد فطسي

من المعطيات في الجدولين (١) و (٧) يمكننا ان نقدر بصورة تقريبية كميات الفضلات الناتجة سنويا من بعض الحيوانات المزرعية وهذه الفضلات تصل الى حوالي .

ابقار : ٣٣ كغم / يوم $\times$ ٣٦٥ يوم $\times$ ١٩٥٤٨ رأسا = ٢٣٥٤٥٥٠٦ طن

١٠٠٠

ضأن وماعز : ٢ $\times$ ٣٦٥ $\times$ ٣٣٥٧٠ = ٣٢٥٣٦١ طن

١٠٠٠

دواجن : ٣٦٥ $\times$ ١ $\times$ ١٠٧٠٣٣٦ = ٣٩٠٦٧٢ طن

١٠٠٠

المجموع = ٢٣٥٤٥٥٠٦ + ٣٢٥٣٦١ + ٣٩٠٦٧٢ = ٦٨٩٨٨٣٨ طن

فلو تمكنا من جمع ٥٠ ٪ من زرق الطيور الناتج و ٢٠ ٪ من فضلات الابقار والاغنام فاننا نكون قد وفرنا ما مقداره :

$$١٣١٦٩٦٩ \text{ طن} = ٢٢ \times ٥٦٠٨١٦٢ + ٥٠ \times ٣٩٠٦٧٢$$

وهذا رقم لا يستهان به اذا ما علمنا مقدار النقص الحالي في مصادر الاعلاف والتكلفة المادية الكبيرة ان تقدر تكاليف الغذاء ب ٥٠ ٪ من تكاليف الانتاج فان مثل هذه الفضلات ذات تكلفة بسيطة او بدون تكلفة اطلاقا وكل ما تحتاجه هو التجفيف تحت اشعة الشمس الطبيعية .

نقطة اخرى لا بد من اضافتها في هذا المجال وهي امكانية دمج مخلفات المحاصيل الزراعية مع فضلات الحيوانات للحصول على عليقة ذات مستوى غذائي لا بأس به وبذلك نكون قد حققنا عدة اهداف من اهمها تخفيض تكلفة انتاج المنتجات الحيوانية لعل وعسى ان يتمكن الفرد ذو الدخل المحدود من شراء هذه المنتجات .

فاذا ما علمنا ان اصحاب مزارع الموز يقومون بحرق الاوراق بعد قطعها للتخلص منها مما يشكل ضررا وتلوثا للبيئة كما ان اكثر من ٧٠ ٪ من محصول الزيتون والذي يدخل المعاصر يعتبر من المخلفات بعد اخذ الزيت منه وقد قدرت كمية الزيتون المعصور بالمعاصر لعام ١٩٨١ : ٢١٩٥٣ طن (١٦) فان كمية الجفت الناتجة والحالة هذه تبلغ حوالي ١٥١٦٠ طن وهذه كمية ضخمة ويمكن ان تكون مصدر علف لا بأس به خاصة للحيوانات المجترة واذا ما علمنا ان مساحات الاراضي المزروعة بالزيتون قد زادت كثيرا اذ بلغت ٦٩٣١٢٢ دونم وعليه فان كمية الانتاج ستزيد اذ بلغت ٥٠٦٠٨٤ طن وكذلك كمية الجفت الناتجة ستزداد تبعا لذلك مما يجعل من هذه المادة مصدر علف ثابت ورخيص . واذا ما علمنا ان نسبة الزيت في الجفت تتراوح ما بين ٣٣ - ٧٨ ٪ ونسبة الرطوبة من ٢٩ - ٤٣ ٪ (١٧) حسب نوع المعصرة فان المادة الجافة تبلغ ٧١ - ٥٧ ٪ .

بعد ذلك رب سائل يسأل هل فعلا يمكن ان توفر ما ديا من هذه العملية والتي تبدو غير مستساغة على الاقل من قبل بعض الناس رغم ان كثيرا من دول العالم قد اتجهت الى الاستفادة من كل انواع الفضلات ابتداء من فضلات المدن (الزباله) مروراً بفضلات الحيوانات وانتهاء بفضلات الانسان .

ولكل من يؤمنون بالارقام اود ان ابين لهم ما يلي . ان سعر طن الشعير هو ٧٠ دينار اردنيا ، ولكن لنفترض ان سعر الطن من مخلفات الحيوانات المزرعية الائمة الذكر هو ١٠ دنانير اردنية فبعملية حسابية بسيطة يكون ثمن الفضلات والتي افترضنا انه يمكننا فعلا الحصول عليها .

$$١٠ \times ١٣١٦٩٦٩ = ١٣١٦٩٦٩ \text{ دنانير}$$

ان الهدف من ايراد هذه الارقام هو وضع المهتمين امام حقائق ملموسة لعل وعسى ان

نستفيد منها ولو بصورة جزئية .

ان المجال المفتوح امامنا في الوقت الحاضر هو استخدام الفضلات سمادا طبيعيا في المقام الاول خاصة في مزارع الموز وتسميد الخضروات التي تزرع تحت البيوت البلاستيكية والتي اتسع نطاق استعمالها في المناطق الشمالية من الضفة ومنطقة الاغوار . اما المجال الثاني فهو حرق هذه الفضلات واستخدامها في تحضير الخبز سواء باستخدام الطابون او الماج رغم ان انتشار الكهرباء جعل معظم الناس ينتقلون الى الخبز على الاجهزة الكهربائية .

ان استخدامنا للفضلات كسماد طبيعي لا بد من ادخال بعض التحسينات على طريقة حفظها اذ نجد ان معظم هذه الفضلات تكون في اكوام مكشوفة وهذه من الممكن ان تشكل خطرا على الصحة العامة والاهم انها تفقد كثيرا من العناصر الغذائية سواء بالاكسدة او التخمر كل هذا لا بد من ان يراعي اذا ما اردنا ان نستفيد من هذه الفضلات الى اقصى حد ممكن .

من هنا تبدو اهمية انشاء مركز للابحاث بالضفة الغربية فلو وجد لباد الى اجراء مثل هذه الدراسات وبذلك نكون قد ساهمنا في تقليل احتمال تلوث البيئة المحلية كما اننا نعمل على استغلال ما هو موجود وتسخيره لدفع عجلة الانتاج الحيواني خطوة الى الامام . ان فضلات الحيوانات لثروة قيمة يمكن استغلالها في عدة مجالات الا ان ذلك يعتمد ولحد كبير على المردود الاقتصادي لها .

المراجع :

- 1) Bhattacharya, A.N. and J.C. Taylor, 1975, Recycling Animal Waste as a feedstuff: A review, J. Anim. Sci. 41:1438.
- 2) Biely, J., W.D. Kitts and N.R. Bully, 1980, Dried Poultry Waste as a feed ingredient, World Animal, No. 34:35.
- 3) Bryant, M.P., 1979, Microbial Methane Production - theoretical aspects. J. Anim. Sci. 48:193.
- 4) Clavert, C.C., 1979, Use of Animal Excreta for Microbial and Insect Protein Synthesis. J. Anim. Sci. 48:178.
- 5) Fontenot, J.P. and I.J. Ross., 1980, Animal Waste Utilization. Ini Livestock Waste: A renewable resource., Proce. 4th Inter. Symp. on Livestock Wastes, ASAE, St. Joseph, MI, P. 4.
- 6) Fontenot, J.P., L.W. Smith and A.L. Sutton, 1983, Alternative Utilization of Animal Wastes, ASAS, Vol. 57.

- 7) Jewell, W.J., 1974, Energy from agriculture waste-methane generation. Agricultural engineering extension Bulletin 397, New York State College of Agriculture and Life Sciences, Cornell Univ., Ithaca, New York.
- 6) Loehr, R.C., 1974, Agriculture Waste Management, Academic Press, New York.
- 9) McCollum, E.V., 1922, The Newer Knowledge of Nutrition, 2nd ed. Macmillan Col. Ny. P.77.
- 10) Pratt, P.F., 1979, Management restrictions in soil application of manure, J. Anim. Sci. 48:134.
- 11) Smith, R.J., 1980, Practicality of Methane Production from Livestock Wastes: State-of-the-art. Proc. 4th Inter. Symp. on Livestock Wastes, ASAE, St. Joseph, MI, P 109.
- 12) Smith, L.W. and W.E. Wheeler, 1979, Nutritional and Economic Value of Animal Excreta, J. Anim. Sci. 48:144.
- 13) Vanderhdm, D.H., 1975, Nutrient losses from livestock waste during storage, treatment and handling. Proc. 3rd Inter. Symp. on livestock wastes. ASAE, St. Joseph, MI, P 282.
- 14) Wilkinson, S.R., 1979, Plant Nutrient and Economic Value of Animal Manures, J. Anim. Sci. 48:121.

١٥) النشرة الإحصائية السنوية للمناطق المحتلة رقم (٢) ص: ٩٥، ٩٦، مركز الدراسات
الريفية، جامعة النجاح الوطنية - نابلس - ١٩٨١ .

١٦) المرجع السابق.

١٧) د . فراس صوالحة ومير عوض . اوضاع معاصر الزيتون بالصفحة الغربية ، ص ٤٩ . مركز
الدراسات الريفية ، جامعة النجاح الوطنية - نابلس - ١٩٨٢ .

الأديب المحلي الحقيقي



بقلم : محمد البطراوي - صبحي الشحروري

١- مدخل :

اننا في سعينا لترشيد وتاصيل حركة ادبية نرى ان من اول مسوء ولياتنا تقديم توصيف دقيق يعرف به الاديب المحلي الحقيقي .

ان اى تعريف للادب الحقيقي لا بد ان يتم على خلفية واقع ادبي معين موجود هنا فعلا ، و أبرز سماته نهوض ظاهرى يتجلى في الركام الكبير من الانتاج ، في ظل انعدام نظرية نقدية واضحة المعالم مبسطة تتجاوز النظرة الميكانيكة للادب وتتناوله من منظور دياكتيك .

وقد يكون توصيفنا للاديب المحلي خاصا بظروف الادباء في المناطق الفلسطينية المحتلة، وينطلق من واقع خصوصية مرحلة المواجهة والصدام مع الاحتلال ومخططاته لاحتلال عدمية ثقافية مستهدفة من ورائها تجميع التناقضات القومية والطبقية والالتفاف على الطموحات السياسية لشعبنا الفلسطيني . وما تحاوله بعض الاطراف ، على الساحة المحلية، من خلق معايير هروبية في الفكر والفن والادب .

وبهمننا ان نوضح ان التركيز على هذه الخصوصية المحلية لا يعني ، بأى حال من الاحوال انفصال الادب المحلي عن ادب الشتات الفلسطيني والادب العربي والعالمي عموما ، بل ان العكس هو الصحيح ، فان تحديد هذه الخصوصية وفهم مكوناتها وسر غورها يساعد على التكامل الجدلي بينها وبين بقية الخصوصيات الفلسطينية الاخرى التي نشأت في المهجر ضمن منظور الادب الفلسطيني العام . ومن نفس هذا المنطلق يمكن التأكيد ان فهم خصوصية ادب الارض المحتلة ودراستها يساعدان على توسيع نقاط التلاقي والالتحام مع الادبين العربي والعالمي .

٢- الادب الحقيقي هو الادب الواقعي :

ان خصوصية الادب المحلي لا يمكن ان تتجلى الا من خلال ادب واقعي يتحد فيه مؤثران :-

(١) الانعكاس بوصفه فعل النفاذ الى واقع اجتماعي معين بصورة ابداعية ، وهو هنا الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال .

(٢) الفعل الابداعي للاديب المحلي الحقيقي والذي لا بد ان يتفاعل في هذا الواقع وان يتمثله من خلال معاناة الاديب الانسانية واستخراجه من خلال عملية التمثيل الذاتية عملا ادبيا ذا مضمون جماهيري عام .

ان توفر هذين الشرطين في اي عمل ادبي كفيلا بان يحيله الى ادب حقيقي جاد تتوفر فيه شخصية الاديب الذاتية وصوته الادبي الخاص ، والشخصية الموضوعية للعمل ذاته كأدب واقعي حقيقي يعبر بصدق عن واقع معين وطموحات معينة .

ان اي كتابة واي تحديد لا يستند الى الواقع والحاجة الانسانية الملحة يسقط حتما في مستنقع الشكلية ، حيث يكون الاهتمام بالشكل هو الرصيد النهائي لعمل الكاتب . وكذلك فان الرصد الخارجي للواقع دون النظر اليه من خلال وعي جدلي تاريخي هو رصد بعيد عن الواقع السليم وحاجات الانسان ولا يمكن ان ننظر اليه بمنظار الابداع الفني الذي يحدد نوع الانسان المستمر وقفله للتغيير .

يتوقع البعض من كتابنا المحليين داخل شرنقة الذات ، مكررين الادعاء الاحوف الممجوج القائل بان الواقعية تنفي الذات الخاصة للاديب وتجعل الادب انماط لا ابداع فيها . ان مثل هذا الفهم للواقعية هو نتاج طبيعي للمدارس الهروبية الفردية ، وهو يتناقض تماما مع الادراك السليم للواقعية التي تؤكد ان لكل كاتب طريقته الابداعية الفردية الخاصة وان لهذه الطريقة أهمية كبرى في عملية الابداع ، كما ان استلهاهم التقاليد الانسانية الموروثة في الادب والفن والقيم الجمالية لتلك الذخيرة من المعارف التي توصلت اليها البشرية هي جانب اخر في عملية تقييم الابداع . ان لكل كاتب كل الحق في التعبير عن " طابعه الروحي " وهذا الطابع الروحي ليس مجرد انعكاس الشخصية المستقلة عن الواقع ، فالذاتية مشروطة بعوامل موضوعية ، بالمنطق الاجتماعي للواقع الذي يعيش فيه الاديب ويبدع ، ولا توجد في الواقع (ذات) معزولة عن واقع ما ، الا اذا كانت مخبولة تماما لا تتأثر بما حولها .

ونجد ، من ناحية ثانية ، وعلى النقيض المباشر ، ان بعض الكتاب المحليين قد جعلوا من اعمالهم " خطبا وعظية " وسموها اعمالا ادبية وطنية ، ومن المؤسف حقا ان يحلو لهذا البعض لباس ثوب " الواقعية الجديدة " او " الواقعية الاشتراكية " لهذه الاعمال على اعتبار ما تتحدث به من عواطف جياشة . ان الواقعية ليست على نقيض مع الفن ، بل العكس هو

الصحيح تماما . هنالك يون شاسع بين ان نفهم طبيعة الواقع فهما واضحا ، وبين ان نطبق عليه مقاييس مبتسرة ، تدور كما تدور الآلة ، فتعصر من الادب حياته بل وخاص مادته ، تحت ستار واقعية زائفة .

ان الواقعية ليست تبريرا لنقص الموهبة ، او لفقدان البناء الفني ، وليست احلال للحاقة والهراء محل رواء لغة الشعب وجمالها ، ولا تعني ان نسجن الفن في قالب جامدة ، او ان نستبدل التذوق الدقيق بالمقولات الجامدة او ان نضع محل الشعر لغوا ، او ان نؤثر على طلاقة الابداع قيد الوزن .

والواقعية ليست عدوة الخيال ، ولا هي خصم العاطفة الحارة والشعور الرقيق ، انها على العكس من هذا فهي جماع ما سبق كله .

والواقعية من ناحية ثالثة ، ليست تصويرا فوتوغرافيا سلبيا ينعدم فيه الواقع الحي المتحرك المتأجج بالفعل والتحويلات وتعتمد فيه الذات وتتغني معاناتها ، ذلك ان مثل هذا النقل الحرفي يهبط بالواقع الى مستوى الانعكاس البسيط الساذج كما تصوره مرآة ميتة .

٣- الصدامية ————— محور الادب :

ان وعي الاديب لاشترائه الشخصي والمباشر مع واقع الاحداث التي تحيط به وتدور من حوله كل يوم وتنعكس في وجدانه معاناة ذاتية جمالية لا تنفي قدرته كذات عاكسة مستقبلية ابدأ ، تبعد ادبا ديناميكيا يعبر عن حقائق جذيرة بالنضال من اجل الوصول اليها وتحقيقها حقائق يدركها القارئ / الجماهير بتمثله ادب تغيير في الاتجاه الصاعد ابدأ ، لا ادب تصوير مسطح مادته التهريج والمغالاة يكتب للقارئ الفرد وطريقه الهروب وهدفه التبرير لا التغيير .

والصدام هو مركز التصوير الديالكتيكي في الادب ، وهو وحده الذي يعطي العمل الفني توتره الضروري ، وكلما زاد الصدام حول امور محورية كلما زاد عمق الابداع الادبي وزادت اهميته . فالصدام (كما ندرك عن واقع الاشياء في حياتنا اليومية في خصوصيتها تحت الاحتلال) عامر بالفعل المضارع والمستقبل ، لا نضل ذات الاديب فيه حبيسة تقوقعها تجتر الماضي دون ممارسة الحاضر ، ونفرض بذلك اسلوبا خارجا عن الواقع ونقل من توتر اللحظة في العمل الادبي .

ياخذ الاديب موقعه الصدامي بمعطيات ابداعه المسند الى ثقافته الايديولوجية التي لا تتم الا من موقع واضح في عملية الصراع الطبقي . فالكتابة ، بهذا المفهوم ، تواصل بين الذات الصدامية القادرة على الروايات والتمثل ، وبين ذوات الاخرين القادرة على الفعل والمتفعة به . ونستنتج بهذا استحالة تعايش الصدامية والانعزالية او الغربة لانها تتنافى وجدلية التواصل .

والصدامية هي الوضوح ، هي ذكاء القلب وجرأته ، هي التي تجعل الادباء براكين مفكرة ،

فالاندفاع الاهوج هو صلع الفكر كما يقول شاعرنا الجزائري مالك حـداد .

٤ - الجدلية الوظيفية بين الشكل والمضمون والخاص والعام

ان الصورة الفنية الادبية القادرة على تحويل الواقع الفني الابداعي الخاص بالاديب الى واقع انساني تحمله الجماهير وتسعى به الى اهدافها وطموحاتها هو ما نحاول ان نجعل ادبنا المحلي قمينا — به .

ونحن في سعيانا الى جعل الادب اداة صدام انما نطلب من الادب مضمونا صداميا ، ولما كان هدف الصادم هوالتغيير الى الافضل ، فان هذا التغيير لا يتم فقط على الواقع المعيشي للجماهير بل ويجب ان يتضمن الواقع الروحي والذي يتجلى في وجدانها الفني .

اذن تتطلب عملية الصدام ان يحمل الاديب هما حيانيا يستند الى مركزا ايدولوجي وان يحمل في نفس الوقت هما جماليا فنيا يستند الى نفس المركز الايدولوجي وهنا نجد ان السعي الى المضمون الصدامي الاكثر تطورا نحو تلبية حاجات الناس المادية يتواجد مع السعي الى شكل فني هو في حد ذاته مضمون صدامي اكثر تطورا نحو تلبية حاجات الناس الروحية . والاديب هنا مطالب بايجاد الجدلية الوظيفية للادب بحيث يتساوى فيها ويتحد عنصران الهم الحياتي والهم الفني ويخدم كل منهما الاخر ، كمضمون عام للتكامل الايدولوجي ، وكشكل من اشكال النضال الطبقي .

ومن هنا نكتشف ارتباط الخاص بالعام ، وتغيير المواقع والتسميات حسب تغيير واتساع الاهداف . فالاسلوب هو شكل بالنسبة للادب ، ونفس هذا الشكل هو مضمون بالنسبة للتكامل الايدولوجي . والادب عموما (شكلا وموضوعا) هو شكل من اشكال النضال الطبقي . والتكامل الايدولوجي هو مضمون بالنسبة للنضال الطبقي ، والنضال الطبقي هو شكل ومضمون للنضال من اجل الغاء الطبقات .

ومن المعلوم ان القضايا والحقائق الجديدة تتطلب دائما اساليب جديدة في تناول ، هذه الاساليب التي نسميها في الادب والفن شكلا او صورة او قالبا . فالشكل اذن يتغير الى الافضل بما يلزمه به المضمون ، والمضمون لا يتم الا من خلال شكل ملائم له جماليا وايدولوجيا .

ان هذا التلاؤم الحتمي هو ما يمكن ان نسميه الجدلية الوظيفية للادب التي تخلقها التفاصيل والصور المتشبهة في ذات الاديب كقدرة فنية ايحائية لتجسيد واقع جديد متميز نحو الافضل عن الواقع المعاش ولكنه يتطابق مع الحركة العامة للعملية التاريخية التي لا تتوقف .

ولكن هذا الواقع الفني الجديد المتجسد ينتقل بالضرورة من الادب كمنهج مدع الى الجماهير التي تتمنله وتنتفع به ، لينعكس واقعا حاسما اكثر تقدما وليجاد الادب نفسه في مواجهة صدامية جديدة لأبداع واقع فني جديد ممبر نحو الافضل .

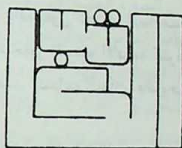
وهنا نكتشف ان الجدلية الوظيفية في احتوائها الشكل والمضمون نحوى ايما جدلية الخاص والعام لاحتوائها الاديب وجمهوره ، فالعلاقات هنا تتجاوز الصنعة الادبية كشرط من شروط الابداع الى تأثير العمل الادبي ذاته على القارئ ومدى انتفاعه المادى والروحي بذلك التأثير .

امام هذه الحقائق وامام الترابط في الجدلية الوظيفية للادب فاننا مطالبون دائما بشحذ ادوات فنية جديدة ، وخلق معايير وبلاغة فنية جديدة والابتعاد عن التجريد والغمييات والنهويمات الذاتية ، بل لا بد من ان تصور دائما عالما ادبيا محددا تماما (عياني) له رائحته الخاصة ومذاقه الخاص لا يمكن تفسيره على اكثر من وجه واحد ، ولا يكون المدخل اليه تفاصيل السيرة الشخصية لكاتبه .

علينا ان نعلم الحس بالتعرف على حقائق الحياة بالمعاناة والمعاشية واكتساب الخبرات . وبعد ، فان عملية الابداع لا يمكن ان تتأتى بكتابة مواصفات وانماط ومساطر تقاس بها الاشياء او طرائق ومناهج تحتذى ، ولكنها عملية تاريخية تدخل فيها في الاساس المرتكزات الايديولوجية والوعي جوانبها الجمالية والصدق الموضوعي والفني ، والمواجهة الجادة لمواجهة ما تخلف من معايير وتراث غير انساني لطبقات وايديولوجيات حكم عليها التاريخ بالعنف .

وشيقة بيان

عن اللقاء الثاني للأحزاب الشيوعية
والعمالية في منطقة شرق البحر
المتوسط والشرقين الأدنى
والأوسط والبحر الأحمر



التقى في مدينة نيقوسيا في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ ، مندوبون عن حزب العمال
الاثيوبي والحزب الشيوعي الاردني والحزب الشيوعي الاسرائيلي وحزب الشعب الديمقراطي
الافغاني وحزب تودة الايراني وجبهة التحرير الوطني البحرانية والحزب الشيوعي التركي والحزب
الشيوعي السوري والحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي في العربية السعودية والحزب
الشيوعي الفلسطيني وحزب (اكيل) في قبرص والحزب الشيوعي المصري والحزب الشيوعي
اليوناني . وغيرها من الاحزاب الشيوعية والعمالية في منطقة شرق البحر الابيض المتوسط
والشرقين الأدنى والوسط والبحر الاحمر وتباحثوا في الوضع في المنطقة .

ولاحظت الاحزاب الشيوعية والعمالية في المنطقة ، بقلق بالغ ، ان تطورات الوضع في العالم
وفي المنطقة تتسم اكثر فاكثر بطابع في غاية الخطورة . فمنذ لقاء عام ١٩٨١ ، وقع عدد من
الاحداث الجسيمة ، مثل العدوان الاسرائيلي - الاميركي على لبنان وتصادد التدخل والوجود
العسكري الامبريالي في المنطقة والاعتداء الاميركي ضد غرينادا والنشاط العدواني الاميركي ضد
نيكاراغوا وشعب السلفادور والتهديدات الاميركية ضد كوبا والبناء العسكري الامبريالي في منطقة
الخليج والمحيط الهندي وتطوير الاسلحة النووية من قبل الأنظمة الرجعية في جنوب افريقيا
واسرائيل والباكستان ونصب الصواريخ الاميركية النووية (بيرشغ وكروز) المصنحة في اوربا
الغربية وقيام الولايات المتحدة بتصعيد سباق التسلح النووي وتوسيع رقعته حتى الغطاء الخارجي
عبر مخططات (حرب النجوم) ، كل ذلك يقترب بالبشرية اكثر فاكثر نحو حافة الكارثة النووية .

وتؤكد الاحزاب الشيوعية والعمالية في المنطقة على ان المسوءول الوحيد عن هذا التدهور

- بحو الحرب الباردة في العلاقات الدولية، هو الامبريالية الاميركية بخاصة . والهدف من وراء ذلك:
- سعي الولايات المتحدة الاميركية المكشوف نحو الاخلال بتوازن القوى القائم لتحقيق التفوق العسكى الاستراتيجى على الاتحاد السوفييتى دافعة الى الامام بهدف الهيمنة على العالم .
 - تقويض حركات التحرر الوطنية والتقدمية وضرب بلدانها بشتى الطرق والوسائل بما في ذلك التدخل العسكى المباشر وعزلها عن حلفائها . الطبيعيين، الاتحاد السوفييتى وبلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى .
 - تعزيز هيمنة الولايات المتحدة الاميركية على العالم الرأسمالى ووقف كل اتجاه يرمى للافلات من سيطرتها والتنازعن سياستها ، وتشديد تماسك بلدان حلف الاطلسي وسواها من بلدان الاحلاف العدوانية الامبريالية .

هذا وعلى الرغم من ان السلام العالمى يهدد اليوم اكثر من اى وقت مضى وكما لم يحصل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فان الانفراج الدولى عميق الجذور . وتتنامى قوى السلام - للبلدان المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتى وحركة الطبقة العاملة - بحركة التحرر الوطنى، وحركات السلام ومناهضة الحرب فى العالم بأسره، وتعبىء قواها باستمرار لهدم المخططات الحربية الاجرامية للامبريالية، حتى ان اوساطا حاكمة معينة فى البلدان الرأسمالية تبدى قلقها وعدم رضاها عن السياسة المفامرة للولايات المتحدة الاميركية .

واذ يضع المشاركون فى هذا اللقاء فى الاعتبار :

ان القضية الاساس فى عصرنا هي منع نشوب الحرب ووقف سباق التسلح والنضال من اجل نزع السلاح وبالدرجة الاولى السلاح النووى ، وان قضية السلام مرتبطة بشكل مباشر بكل قضايا الطبقة العاملة وسائر الكادحين ، الاجتماعية والاقتصادية، وان الانفراج والتعايش السلمى يؤمنان ظروفا افضل للنضال الذى تخوضه الشعوب دفاعا عن مصالحها الحيوية، فانهم يجددون التأكيد على عزمهم على تصعيد نضالهم ورفعته الى اعلى مستوى ممكن ، جنبا الى جنب مع سائر القوى التقدمية والديموقراطية والمحبة للسلام فى بلدانهم، ومع كافة قوى السلام فى العالم للحيلولة دون عسكرة الفضاء الخارجى ولوقف نشر الصواريخ الاميركية بيرشنج وكروز المجنحة فى اوربا الغربية وسحب ما تم نصبه منها لدرء الكارثة النووية التى تهدد البشرية ومن اجل العودة بالعالم الى سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى . لذا فهم يؤيدون المبادرات السلمية للاتحاد السوفييتى وسائر بلدان معاهدة وارسو، كما يؤيدون التدابير الدفاعية الجوابية التى اضطرت الى اتخاذها للحيلولة دون تحقيق الولايات المتحدة الاميركية التفوق العسكى ودون خرقها لمبدأ الامن المتكافى، ويؤيدون كذلك مبادرات البلدان والاحزاب والشخصيات والحركات المحبة للسلام الاخرى التى تستهدف وقف سباق التسلح النووى اولا وقيل كل شيء ، ونزع السلاح التام والشامل ويؤيدون اقامة مناطق خالية من السلاح النووى فى البلقان والبحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط وغيرها من المناطق .

وتؤكد الاحزاب الشيوعية والعمالية المشاركة فى هذا اللقاء على ان التطورات فى كل من

بلدان المنطقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتطورات العامة الجارية في دول العالم بأسره وفي المنطقة ، فان الشعوب في بلدان المنطقة تجابه سلسلة من القضايا المشتركة الناجمة عن محاولات الامبريالية استعادة مواقعها وتعزيزها في هذه المنطقة الحساسة جغرافيا وسياسيا .

وتبرز سياسة الامبرياليين فيما يلي :

- في التحالف الاستراتيجي المتصاعد بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل .
- في تشجيع الغزاة الاسرائيليين على الاستمرار في اعمالهم العدوانية وفي تصعيد التهديدات بهجوم مسلح على سوريا وفي تدخل الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول الاطلسية عسكريا في لبنان وفي المحاولات المحمومة لمواصلة نهج كامب ديفيد ومشروع ريفان بهدف فرض الهيمنة الاميركية - الاسرائيلية على المنطقة وتصفية قضية الشعب الفلسطيني العادلة .
- تصعيد المحاولات لتحويل قبرص الى حاملة طائرات غير قابلة للاغراق تابعة للحلف الاطلسي في المنطقة عبر انشاء القواعد الجوية والبحرية والصاروخية في المنطقة الشمالية من قبرص اثر الاعلان عن دولة (دنكتاش) الامر الذي يشكل خطوة اخرى نحو تقسيم قبرص .
- في توسيع وتنشيط وتدعيم القواعد الاميركية في المنطقة وفي تطوير وتزايد المناورات التي تجريها قوات التدخل السريع بالاضافة الى تشكيل القيادة المركزية الاميركية الجديدة في المنطقة وعقد الاتفاقات العسكرية المحلية وتشكيل قوات التدخل السريع .
- في التهديدات والاستفزازات الموجهة ضد بلدان المنطقة التي تخلصت من السيطرة الامبريالية ومحاولات تقويضها وتصدير الثورة المضادة اليها ، وفي اثاره الحروب المحلية والحروب الاهلية والنزاعات الداخلية .
- في تشجيع استفزازات النظام الفاشي التركي وتعزيز دوره في خدمة المخططات الامبريالية في المنطقة وفي الدعم متعدد الجوانب المقدم للانظمة والقوى الرجعية المحلية المعادية للحرية .
- في تحويل الباكستان بنظامه العسكري الى رأس جسر للامبريالية الاميركية تنطلق منه للتآمر والتدخل والعدوان على بلدان المنطقة ولا سيما على جمهورية افغانستان الديمقراطية .

ورغم الهجمة المتصاعدة التي تقوم بها الامبريالية والصهيونية والرجعية ورغم الصعوبات الناجمة عن تعقد الوضع ، فان الحركة الشعبية والوطنية التحررية في المنطقة ماضية في النمو والاتساع . ويتنامى دور الطبقة العاملة الطليعي واحزابها معطيا للحركة الشعبية والوطنية التحررية مضمونا وتوجها معاديا للامبريالية اعمق ، كما يتنامى النضال ضد الامبريالية والانظمة والقوى الرجعية من اجل الاستقلال الوطني والديموقراطية والتطور الاقتصادي والتقدم الاجتماعي . وتتوطد الانظمة الثورية في افغانستان واشيوبيا واليمن الديموقراطي اكثر فاكثرا وتتقدم خطوات واسعة نحو استكمال مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية على الطريق الى الاشتراكية .

واحرزت القوى الوطنية في لبنان ، بمساندة القوى العربية والعالمية المناهضة للامبريالية ،

انتصارا كبيرا يتمثل بالغاء اتفاق ١٧ ايار (مايو) ١٩٨٣ وبابعاد القوات الاميركية والاطلسية الاخرى ، وهي تعزز الان وحدة العمل بينها وتصدع مقاومتها للاحتلال الاسرائيلي وللتدخل الاميركي وتحقق خطوات هامة في الطريق نحو افشال المخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وتقدم المساندة الشاملة المادية والسياسية والمعنوية التي تمنحها بلدان المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، للانظمة الثورية والوطنية ولحركات التحرر الوطني ، اسهاما كبيرا في قضية الشعوب وقضية الاستقلال الوطني والسادة وقضية التطور الاجتماعي والاقتصادي ، قضية السلام والامن في بلدان المنطقة .

وتدين الاحزاب الشيوعية والعمالية المشاركة في اللقاء ، بشدة ، الاحتلال الاسرائيلي في لبنان وتؤكد مجددا تضامنها ومساندتها النشطة للحزب الشيوعي اللبناني وجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية والجبهة الوطنية الديمقراطية وسائر القوى الوطنية والديموقراطية في نضالها من اجل الانسحاب الفوري والتام وغير المشروط للقوات الاسرائيلية من جنوب لبنان وصيانة استقلاله وسيادته الوطنيين وسلامة اراضيه ووحدة شعبه وعرويته وتطوره الديموقراطي .

وتؤكد مجددا تضامنها النضالي مع سوريا في تصديها الحازم للتهديدات والضغوط ومخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية الهدامة .

وتؤكد مجددا على تضامنها الكفاحي ومساندتها للحزب الشيوعي الفلسطيني والشعب العربي الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية وتؤكد على ضرورة صيانة وحدة منظمة التحرير الفلسطيني واستقلاليتها ، وعلى خطتها المعادي للامبريالية وتعزيز التصدي للمحاولات الجارية لجرحها الى حلول تصفية استسلامية وذلك بالتمسك باتفاق عدن - الجزائر وبمقررات المجالس الوطنية الفلسطينية ، وبخاصة الدورة السادسة عشرة . كذلك تؤكد مجددا دعمها لنضال الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة .

وتؤكد مجددا تضامنها مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ومع سائر قوى السلام في اسرائيل في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ومن اجل حل عادل ووطيد للقضية الفلسطينية ومن اجل السلام الشامل في المنطقة .

ويتطلب حل مسألة الشرق الاوسط وتحقيق سلام عادل وشامل ودائم في المنطقة اسحاب القوات الاسرائيلية التام من كافة الاراضي العربية المحتلة . منذ عام ١٩٦٧ . وصفحه كانه المستوطنات الاسرائيلية فيها والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني واحترامها وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة على الارض الفلسطينية واحترام حق كافة دول المنطقة في حياة مستقلة وسلمية في ظل حدود آمنة ومعترف بها دوليا . وعدم المقترحات السوفيتية الاخيرة لحل ازمة الشرق الاوسط ، عبر عقد مؤتمر دولي ، اسهاما حاسما في هذا الاتجاه .

ولا يخدم استمرار الحرب العراقية الايرانية سوى الامبريالية والقوى الرجعية في البلدين

والمنطقة بوجه عام . ويتحتم وقف القتال فوراً وحل الخلافات بين البلدين بالطرق السلمية على اساس مبدأ الاحترام المتبادل والاستقلال والسيادة الوطنيين وطبقاً لقواعد القانون الدولي . ان التحركات الاخيرة التي تقوم بها وحدات الاسطول الاميركي ودول امبريالية اخرى في منطقة الخليج والبحر الاحمر وكذلك الاجراءات المحمومة المعادية للشعوب والديموقراطية التي تتخذها بعض حكومات دول الخليج بذريعة الحرب ، تجعل ضرورة انهاء هذه الحرب اكثر الحاحاً .

ومن شأن سحب اساطيل الامبريالية وقواتها وقواعدها من منطقة الخليج والبحر الاحمر والجزيرة العربية وصيانة احترام الاستقلال الوطني والسيادة لدولها وعدم انحيازها والحد من الانفاق الضخم على التسليح ، ان يسهم في تطورها وتقدمها الاقتصادي ، وفي القضاء على التوتر في المنطقة وتحويلها الى منطقة سلام وأمن .

لقد آن الاوان ، خصوصاً الان ، على تطبيق الاقتراح الخاص بتحويل المحيط الهندي الى منطقة سلام . وتتسم ، في هذا الاتجاه ، بطابع ايجابي تلك الجهود المبذولة في اطار منظمة الامم المتحدة ، وكذلك الاقتراح الذي اقترته قمة حركة عدم الانحياز الاخيرة الداعي الى عقد مؤتمرمة خاص بالمحيط الهندي .

ويدين مندوبو الاحزاب الشيوعية والعمالية الاعلان عن الدولة التركية القبرصية غير الشرعية ، كما يدينون المحرضين والمؤيدين لهذه الفعلة غير الشرعية التي قام بها الشوفينيون الاتراك والامبرياليون الاميركان . ويدينون انشاء القواعد العسكرية الكبيرة لقوة الانتشار السريع الاميركية في المنطقة المحتلة من قبرص ، ويحيون التقدم الذي تم احرازه في المحادثات غير المباشرة التي تجرى برعاية الامين العام لمنظمة الامم المتحدة وبوأيديون جهوده من اجل تحقيق حل شامل للمشكلة القبرصية في اللقاء الذي سيتم على مستوى رفيع في نيويورك في ١٧ يناير (كانون الثاني) الجاري وذلك على اساس قرارات منظمة الامم المتحدة . ويدعمون نضال حزب (اكيل) والشعب القبرصي من اجل قبرص مستقلة وذات سيادة وموحدة الاراضي واتحادية وغير منحازة ومنزوعة السلاح الكامل ، وخالية من القوات الاجنبية .

ويدين المماركون في اللقاء استفزات الدوائر الشوفينية التركية والامبريالية الاميركية في بحر احمر وبروز ضرورة ان سوى الخلافات اليونانية التركية باسرع وقت ممكن بالطرق السلمية وعلى اساس قواعد القانون الدولي والبيان الختامي لهلسكي وميثاق الامم المتحدة وباحترام استقلال الطرس وسادسهما وسلامهما اراضيهما بعيداً عن وصاية او تحكيم امبرياليين .

ويخلق بطور اسرائيل للأسلحة الدرية وكذلك نصب الصواريخ النووية الاميركية في كوميزد بحريه صقلية عوامل بؤر اضافية ومهدداً مباشراً على بلدان المنطقة وعلى ما هو ابعد منها . وبطالب المشاركون بازالة الصواريخ النووية الاميركية من المنطقة وبأن تتوقف اسرائيل عن تطوير الاسلحة الدرية وبأن توقع على معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية .

ويحيي المشاركون في اللقاء النضال الذي تخوضه القوى المحبة للسلام في منطقة البحر الابيض المتوسط مؤكدين على ضرورة تصعيد الكفاح من اجل سحب صواريخ الضربة الاولى والنووية وغيرها من الاسلحة النووية من اراضي بلدان المنطقة غير النووية ومن اجل تصفية كافة القواعد والتسهيلات العسكرية الاجنبية بوجه عام ومن اجل تحويل حوض البحر الابيض المتوسط الى منطقة سلام دائم وامن وتعاون بين الشعوب .

ويسهم اسهاما هاما ، في هذا الاتجاه ، الاخذ باقتراح دول معاهدة وارسو الداعي الى سحب السفن الحاملة للأسلحة النووية من البحر المتوسط ،

ويدين المشاركون في اللقاء ، بشدة ، الاستفزازات والتهديدات والتدخلات ضد ليبيا وانغولا وموزمبيق وغرينادا ونيكاراغوا والسلفادور وبوء كدون مجددا تضامن احزابهم ومساندتها التامين لشعوب تلك البلدان وسائر الانظمة الثورية والوطنية والحركات الشعبية والوطنية والتحررية والمعادية للتمييز العنصري ولليدكتاتورية في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية .

ويدينون جرائم قوات الاحتلال الاسرائيلي ضد سكان الاراضي العربية المحتلة في لبنان وفلسطين ومرتفعات الجولان السورية المحتلة ، كما يدينون تصاعد النشاطات العنصرية والفاشية في داخل اسرائيل ، ويطالبون بأن توقع اسرائيل على الوثيقة الدولية لحقوق الانسان .

ويدينون جرائم التصفية الجسدية والاعتقالات والتعذيب التي يرتكبتها النظام الايراني الرجعي ضد حزب توده وضد غيره من القوى الديمقراطية والتقدمية في ايران ، كما يدينون الجرائم التي يقترفها النظام الديكتاتوري في العراق ضد الحزب الشيوعي العراقي وضد غيره من القوى الديمقراطية .

ويدينون حملات المحاكمة والتصفيات الجسدية الجارية ضد الاوساط التقدمية في تركيا ، كما يدينون مصادرة الحريات الديمقراطية وفرض الاحكام العرفية في الباكستان . ويعبرون عن تضامنهم مع الشعب الكردي الذي يعاني من الاضطهاد القومي في منطقتنا .

ويدين المشاركون . كافة الممارسات المعادية للحقوق والحريات الديمقراطية وخاصة اعمال العنف والتعذيب والملاحقات التي يمارسها النظام المصري ضد القوى التقدمية والديمقراطية والوطنية ، كما يدينون حملة الاغتيالات الاخيرة التي اقترفها وتقرّفها فرق الاغتيال المرتبطة باجهزة السلطة في اليمن الشمالي بحق العديد من الديمقراطيين هناك ، ويطالبون رئيس الجمهورية العربية اليمنية بحل فرق الاغتيال هذه وبمحاكمة مدبري ومركبي جرائم الاغتيال ، وباطلاق سراح بقية المعتقلين السياسيين وبالكشف عن المفقودين من بينهم .

وبلاحظ المشاركون ان مجلس التعاون الخليجي يتحول الى حلف عسكري في خدمة مخططات الامبريالية في منطقة الخليج . ويدينون التدابير القمعية التي تمارسها دول هذا المجلس ضد القوى الوطنية والديمقراطية وانتهاك حقوق الانسان وخاصة في السعودية والبحرين وعمان ويطالبون

بالكشف عن مصير المعتقلين السياسيين وباطلاق سراحهم وبالتوقيع على الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان وبيديون حملات المطاردة والاعتقال دون محاكمة وتعذيب ومصادرة الحريات العامة في السودان والصومال والاردن .

وتعتبر الاحزاب المشاركة في اللقاء عن اقتناعها الراسخ بأن صد هجمة الامبريالية وخصوصا الاميركية في المنطقة المستندة الى الدوائر الاسرائيلية والصهيونية والرجعية الاخرى وتغيير توازن القوى في المنطقة لصالح قوى السلام والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي امر ممكن التحقيق ، وان الشرط الاساسي لذلك يتمثل في تعاون اوسع للقوى المناهضة للامبريالية في المنطقة وبالمساهمة الفعالة للجماهير الشعبية من خلال الدفاع عن حرياتها وحقوقها الديمقراطية واطلاقها وتلبية احتياجاتها الاجتماعية والاقتصادية الاساسية ، كما يتحتم ان تُنحى جانبا الخلافات حول القضايا الثابته والتخلي عن التمييز ضد الشيوعيين وعن المحاولات المبذولة من قبل بعض القوى لعزلهم بحيث تقام جبهة واسعة مناهضة للامبريالية قادرة على لجم الهجمة الامبريالية وتخليص منطقتنا في النهاية من التبعية للامبريالية وفتح الطريق نحو الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي في كافة بلدان المنطقة والمساهمة في توطيد السلام في العالم .

وترى الاحزاب الشقيقة المشاركة في هذا اللقاء ان المعاداة للسوفييت وللشيوعية تستهدف بالدرجة الاولى ، الابقاء على اضطهاد الشعوب واستغلال الجماهير الكادحة واضعاف وحدة القوى الوطنية والديموقراطية والتقدمية ، واضعاف التضامن الاممي والنضال ضد الامبريالية والرجعية ، كما ترى ان وحدة الشيوعيين تشكل عاملا اساسيا للدفع الى الامام بقضية وحدة الحركة العمالية العالمية ووحدة كافة القوى المناهضة للامبريالية والحرب .

ويعبر المشاركون عن قناعة احزابهم بانه آن الازمنه واصبح ضروريا عقد مؤتمرات دولي للاحزاب الشيوعية والعمالية من اجل تطوير العمل المشترك ضد التهديد الامبريالي ومن اجل الانفراج الدولي والسلام .

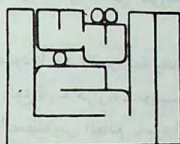
قــــــــــــــــــــــــــــــــار

بمناسبة الذكرى السنوية الاربعين للنصر على الفاشية

اللقاء الثاني للاحزاب الشيوعية والعمالية في شرقي المتوسط والشرق الاوسط والبحر الاحمر ، الذي عقد في نيقوسيا في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥ عام الذكرى السنوية الاربعين للانتصار على الفاشية :
- يحيي هذه الذكرى السنوية التاريخية ، ذكرى الانتصار على الفاشية المعلم العالي في التاريخ الحديث .

- يُكرّم القوى المعادية للفاشية في جميع انحاء العالم وخصوصا الاتحاد السوفيتي الذي كان يعكس مغالطات الدعاية الامبريالية - العامل الاساس والمقرر في تحقيق هذا النصر .
- يحيي ذكرى مبلّيين الابطال والضحايا التي قدمت حياتها ثمنا لهذا النصر .
- يرفض حملة التشويه الامبريالية التي تستهدف التستر على دور الامبريالية في الترويج للفاشية وفي خلق الظروف التي مكنتها من اشعال نار الحرب .
- يتعهد بأن تقوم الاحزاب المشتركة في اللقاء بتصعيد جهودها ضد الامبريالية وضد مختلف صنوف الرجعية ولمنع حرب عالمية جديدة ، للحيلولة دون وقوع كارثة حرارية - نووية .
- بهيب بجميع الاوساط الديموقراطية والمحبة للسلام في المنطقة وفي العالم بأسره ان تجعل من الاحتفالات بذكرى هذا الانتصار العظيم تظاهرة لم يسبق لها مثيل تعبر فيها عن ارادة منع نشوب حرب عالمية جديدة يحضر لها الامبرياليون .
- يدعو شعوب منطقتنا الى تصعيد كفاحها ضد القواعد والاحلاف العدوانية الامبريالية والى وقف الحروب المحلية وائى المساهمة في الكفاح العالمي من اجل نزع السلاح والانفراج الدولي والسلام الوطيد .

أزاهير



بقلم : اسامة العيسة

ماذا تريد يا محمد ابو عايشة . ؟؟

الا تعرف ماذا تريد ... وأنت أكثر الناس معرفة ان اصعب شيء على المؤمن ان لا يعرف ماذا يريد . ١١٠٠ ، ... فمنذ وصولك الى احدى "عواصمهم" وأنت لا تعرف غير السجائر التي تحرق الاعصاب والهموم التي تثقل القلب ... والتزلزلي والزئبقية ١١٠٠ لماذا يا محمد ... ؟؟

لماذا اقتنعت نفسك . انك وامثالك "سبب كل هزائمننا (هزائمهم) وانت الذي احببت فكرة الوحدة العربية . . . ، كما قالوا ١١٠٠ ماذا جراك يا "محمد" ١١٠٠

عندما هربت من "الديار" ، كنت تقول سأغير موقع نصالي بموقع متقدم آخر ١١٠٠ وكنت تقول

- أبا "الحنه" و "الزقاق" ، ابناء ... "باب العمود" ، وحان الحليبي " و "الحمدية" وسوق عمان الطلسماني " لا يعرفون الجبن ، ... وهم الصراط المستقيم ... ولا يسهمون . تذكر للحظة - أمك ، عندما كانت تقطع مسافة ٣٠٠ كيلو متر وتخرج من السادسة حتى السادسة ، كي تزورك في "سجن الزامون" ، ... وأحيانا يضربون خناجر في جسمها عندما يقول السجناء دائما الكثرة وذو الوجه القبيح .

- مسوع الزيارة . . . اصرا على الطعام . "محمد مساعب" ١١٠٠ لا تتركهم "عشوك" فالقدس ليست عروس عروستهم - فهذا مطبخهم فقط ... اما انت فكان مطفك دائما : "لسمد دوسكا في الشارع يا رفيق لعوبك يا حزنا هالله ... هالله"

لا تتركهم "غشوك" أي ان تدور الدائرة ويولي زمن الغربة ...

لا تملحهم

ملى سوى ان يرد

أ- فارس هذا الرمان الواحد

وسواك الموح ...

لا حالج ...

(الوصايا العشر) - امل دنقل

(٢)

في أحد اشهر السنة ، .. وفي منتصف الليل ، كنت افكر في حبيبتي ، .. فبعد يوم عمل مضى في دائرة "الاشغال" ووجد المسؤول "الذى لم يعرف البسمة في حياته ، والله .. لم يفارقني طوال اليوم ، ... لا احد يستطيع ان ينكر عليّ لحظة تفكير في حبيبتي وماذا سأقول لها غدا عندما نلتقي ، .. كان هدير نشيد "مرحي لمدركاتنا" و"النشيد الملكي" يملأ الحي من تلفزيوناتهم ، ... عندها كان الطرق الشديد يدب على الباب ، لينكر الباب ويتناولني العسكر ، ... وفجأة تفيق امي من النوم وتصرخ وتبكي بصوت يمزق قلبي ويفعل فعل "الذئاب" في جسمي ١١٠٠ ، كما افقت من قبلها وبعدها الام في "صبرا" و"دير ياسين" و"كفر برعم" والعروس "الهام" ابنة مدينة : الصابون والكفاح والنضال عندما فقدوا عريسها فجأة ...

اقتادني العسكر وأنا افكر في طريقة للاعتذار من "حبيبتي" ... ، فلا بد انها ستنتظر وتزعل ... وتغضب من اجلي ...

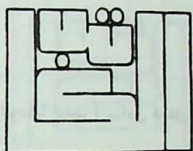
(٣)

"مريم العسلينية" ، ... الا تذكرها ، جارتكم في المخيم ، التي جاءت من القرية التي لا ترى على الخارطة وتسمى "عسليين" - قضاء الرملة ، حاملة ابنيها الصغيرين ، خرجت من بلدها المسكينة والقدرة على النار ، كانت تطهو للأطفال حتى يأكلوا مع والدهم الذي سيعود في المساء ... ، واستقر بها الامر في مخيمكم ، ... و"القدرة" ما زالت على النار في انتظار الوالد الذي كان في الحصيدة ولن يأتي ابدًا ، والطابون بجانب البيت اصبح بركة مياه صغيرة لأطفال الغير ... ، والبئر الغربي امتلاء بالحجارة ... ، من "مريم" وامثالها فتعلم يا "ابو عايشة" ، ... الا تذكرها في حرب الستة ايام عندما كانت ترقص وتغني وتعيش حالة فرح هستيرية امام الجيش الاسرائيلي وتقول :

"عاش الجيش العراقي ... عاش"

ولم تنتبه المسكينة لنفسها وتخرج من حلمها بسواد الوجه ... كسواد وجوههم ، الا عندما رأت مجندة كافرة لابسة "مزلط في مزلط" عندما اقتربت من مجموعة من الرجال فصعت لهم واخذت في قهقهة تشبه النهيق ١١٠٠
رما اغنى على "مريم العسلينية" ولكنها لم تعد مسكينة ...

الفارعة ... لن نهضي في الاتجاه الآخر!



بقلم سامي الكيلاني

تناول مفتاحا نحاسيا صغيرا من لوحة المفاتيح المثبتة على الجدار فوق المنصة الخشبية الكبيرة التي جهزت لتصبح مكتبا للاحوال، تحدث مع الجندي الجالس خلف مكتب الاحوال فلم تفهم من حديثه غير بعض الكلمات : موريه تسينوك، بعيوت ... معلم، ززانة مشاكل، فقامت بنفسك بربط هذه الكلمات في جملة مفيدة : رغم انه معلم فانه يصنع المشاكل وسيذهب الى الززانة. استمر الحديث بينهما حول امور كثيرة تفهم " نتفا " منه ويضع عليك اكثره، وانت واقف حيث اوقفك الجندي في زاوية الممر الطويل الذي تصطف على جانبية غرف السجناء، حاولت ان تجد تفسيرا مقنعا لما جرى فلم تنجح بكل ما في الامر ان الضابط الذي يطلب من الجميع مناداته بالكابتن، فتح كوة الغرفة، فوجد ثلاثة سجناء يقومون باداء بعض التمارين السويدية فبدأ يصرخ وأخرجهم ثم وجه صراخه اليك رغم انك كنت ملتفا ببطانياتك الثلاث وامرك بالخروج معهم، لبست الحذاء ولم تكلف نفسك عناء وضع كنزة الصوف التي تخلعها حين تلتف بالبطانيات، فوجودها على جسمك تحت البطانيات يشعرك بالاختناق رغم البرد الشديد. حين اصبحتم في نهاية الممر بدأ بضرب الآخرين وأخذهم الى مكان ما بعد أن اوكل امرك الى احد الجنود، في كل لحظة هناك جنود، ليسر جندي، مستعدون لتولي مهمات الضرب والشتائم، بعدما يقارب الساعة عاد الضابط وأخذك الى مكتبه وبدأ يصرخ. انت بتحضر الناس هون في السجن (يقصد السجن) زى ما بتحضرهم بره، انت شو ... انا بكرة بحكي للقاضي يحكمك سنة ... وبعد كلام كثير اكتشفت انه يقصد تحريض الناس بقوله " بتحضر الناس"، اذن عادت التهمة لتظل برأسها مرة أخرى بيدوان صداقة حميمة تربطها بك بعد ان تسببت بسجنك للمرة الخامسة. من اين جاء بهذا الكلام ؟ هل هي مجرد قراءة لامر التوقيف والتهمة التي كتبت فيه، لكن الكثير من الموجودين تحمل ملفاتهم هذه

التهمة فلماذا انت بالذات . لم تجب بشيء فعلا صراخه اكثر واكثر ، ها هو المحترم يريدك ان تحكي الصحيح وتقول ماذا قلت للناس وانت تحضرهم " وكرر تهديداته بأنه سيحكي للقاضي عنك ليحكمك سنة على الاقل ، بودك لو تحدثه بهدوء مثل الناس العقلاء : يا حضرة الكاتب هون عليك ، فانا اعرف ما بداخلك وما ستقول واعرف كل عقدك فوفر على نفسك هذا العناء ، لقد جريت محاكمكم وقضاتكم وقوانينكم ، يقولون عندنا : اسأل مجرب ولا تسأل طبيب ، وماذا يقولون عندكم ؟ . ثم تعرض عليه بعض تجاربك . لم تحدث المحترم بشيء مما دار في رأسك ، فهو طائر فوق السحاب يهوى المستطيلات الثلاث التي تجلس على كتافيه المكونة ولا يرى في هذه الدنيا غير سلطته وهذا المعتقل الذي يتسلم مأموريته ، فلا حاجة لأي رد على تهمة وليس أمامك سوى أن تشعو بانك اخذت تهديداته مأخذ الجد، وأن تنفي "تحضيرك" للناس عسى ان يعيدك الى غرفتك مع البقية، الى قصرك ، غرفة تحوي برشا وبطانيات هي قصر بلا شك في هذا البرد ، بالاضافة الى وجود من تتحدث معهم . ارسلك مع احد الجنود الى الطابق الاول ، اوقفك الجندى في طرف الممر وذهب الى مكتب الاحوال وما زال يثرثر مع صاحبه والمفتاح النحاسي الصغير في يده يهبط ويعلو مع نغمة الحديث الدائر بينهم .

اذن هناك زنزانة ، الزنزانة يهددون بها في الطالعة والنازلة ، تعلموا جميعا مقولة الضابط ... الزنزانة قاضية ، بيعتك عليها " الزنزانة وما ادراك ما الزنزانة ، تضحك بسرك وانت تتذكر الزنازين التي نزلت بهما واشكالها وحراسها . أنهى الجندى الحديث مع صاحبه وجاء اليك وأشار بأن تمشي ، في الممر التالي . كان سجين آخر يقف ووجهه الى الحائط



فدفعه بكتفه وطلب منه السر . سيكون لك شريك ، ايفرحك ذلك ؟ قد تقول انانيتك المختبئة انكما ستتساعدان على قضاء الليلة بالحديث ، لكن ما ذنب المسكين ، وجهه يدل على ان عمره لم يتعد السادسة عشرة وقد يكون اعتقاله الاول ولم يحرب الزنازين بعد ، وبدل ان يساعدك وجوده يصبح عبئا عليك ، تتذكر الكثير من هذه الامثلة ، تحت ضوء احد المصابيح تدقق في وجهه ، علامات الطفولة لا زالت حاضرة في كل تقاطع وجهه ، تمنى من كل قلبك ان يشاركك الزنانة ، وان يعود الى غرفته وأصحابه وبطاساته وان لا يدوق برد هذه الليلة ، امركما الجندی بالتوقف حين وصلت الساحة الخلفية للسجن ، اصاء الكشف الذي يحمله فظهر باب من الصاج في وسط الجدار المبنى بالحجارة البيضاء ، بدأ يعالج الباب بالمفتاح افتتح الباب ، طلب من الصبي ان يدخل الزنانة ويخرج كل ما في الداخل ، دخل وأخرج معه قطعة الاسفنج التي تستعمل كفراش وبطانية . امره ان يضعها على الارض وأدخله واغلق الباب ووضع القفل وذهب .

اذن ، ها انت في الزنانة ولم يستجب دعاؤك بان تجد فيها بعض الفراش ، ها هي زنانة لا مفروشة ولا مضأة يدخلها الهواء البارد من تحت الباب ، ليته اضاء بمصباحه داخلها للتعرف على قصرک المنيف ، على الاقل ارضيتها خالية من الماء ، اليس نعمة من النعم ، زنانة خاوية بارضية جافة ، افضل بكثير منها بارضية ملبئة بالماء . الخطوة الاولى التي تستهلك بعض الوقت هي تفحص المكان وعليك ان تستعمل قدمك لاستكشاف الارضية ، بطيئا تحرك ، الارضية خالية من اى شيء ، يا قديمي العزيرة التي ستتجمد من برد هذه الليلة ، ارجوك ، اعثرى بخرقه من بطانية ، بقطعة اسفنج منسية ، لا شيء ، تلوم الصبي ، يا صديقي لو تركت لي شيئا ، ألم تر ؟ فهو لم يدقق بعدك ، حتى ولو فعل ذلك ووجد بطانية لكان بإمكانك ان تعزو ذلك للظلام ، سامحك الله ، لا زلت غرا في مثل هذه الامور ، ان استمروا معك في لعبة الاعتقالات فسيصل بك الامر الى السير شمالا ان قالوا لك سر يميناء وحين ينتبهون ويصيحون بك سترد عليهم بسذاجة مصطنعة : لم اسمع الكلام جيدا . اترك صديقك الان وخطط لقضاء ليلتك بدل التخطيط لمستقبل . تلمح خيطا من نور يتسلل من الجدار ، تمد يدك ، انها قطعة بطانية حُشرت في طاقة صغيرة ، لا بد ان من وضعها هنا كان لديه فرشاة وبطانيات مما جعله يستغني عنها لمنع الهواء البارد من التسلسل ، أما لك فستكون لها فوائد اخرى تضعها على كتفك وتبدأ بالمشي والتفكير ، كيف ستقضي هذه الليلة ؟ تتفق مع نفسك في النهاية على ما يلي : لا بد من قضاء الليلة مستيقظا تماما وعدم السماح بأية اغفاءة لان ذلك يعني ان البرد سيقظ مفاصلك لتبدأ بصراخ الرومانزم وبواسيرك التي ولدت في السجنة الطويلة السابقة ستذكر ايام عزها وتعود للعب معك ، واذا استطعت ان تقضيها ماشيا باستمرار فذلك افضل ، قطعة البطانية التي وجدتتها تستعمل بالشكل التالي : تضعها على كعبك اثناء المشي او تلف بها كفيك وحين تقرر الاستراحة من المشي تجلس عليها ، ثم خطرت ببالك فكرة ، لماذا لا تقسمها الى قطعتين فتضع قطعة تحتك حين تستريح وتضع القطعة الاخرى بين رأسك الحليق والحائط البارد عند الاستراحة ، والنقطة الاخيرة هي عدم اليأس



افترض ان الساعة لا زالت السادسة مساء وانهم لا بد سيخرجونك للافطار ولدورة المياه في السابعة صباحا على اكثر تعديل ، اذن هي ثلاث عشرة ساعة وتنتهي وتلتقي مع بقية السجناء فتتسلى ليلتك ، وان اعاذوك بعدها تبدأ التوقيت من جديد تتخيل شخصا آخر ، نسخة منك ، يجلس قبالتك فتدفع اليه بنسخة من الاتفاقية ليقومها معك . تطلعات بيروقراطية توجد في داخلك يا محترم .

يوقظك من سرحانك تيار هواء بارد يتسلل من تحت الباب ، تحس وكأنه منشار قوي يقص قدميك ، واجه البرد يا زعيم ، نفذ اتفاقيتك يا محترم ، الامر ليس بهذه البساطة ، ليل الاغوار وبردها ، برد الفارعة ، معتقل الفارعة ، واجه البرد الان فهو وحده في الخندق ضدك بعد قليل سينضم اليه لواء النعاس ثم فيلق الروماتزم والبواسير ، يصبح امامك جيش عارم كما تقول ثقافتك ، هل ستكون معك هذه الثقافة ام ستترك وحيدا ، استحضر كل الشعر المقاوم والغناء المقاوم ، استحضر كل الكتب التي قرأت ، نصيبك فقط ليلة باردة من كانون الثاني في زنزانة عارية الجدران والارض ... الليلة ستمضي ، لكن هل ستمضي وانت انت ، دون ان تدق الابواب ويجيئك الجندي ويسخر منك حين تشكو بأن البرد قد قتلك ، او ياتيک الضابط نفسه ويسخر منك : تحضر الناس؟ شايف كيف؟ ام ستمضي ويأتي الصباح

وانت بكامل قوتك وعزتك امامهم وتنتظر في عينية وتسخر مه ، وتوفر شكواك وآلامك حتى تصل الى بقية السجناء وتخططون لخطوة ضد هذه الممارسات ، اضرب عن الطعام مثلاً . تقنع نفسك بالحسابات وبالعلم ان الجسد العاري يستطيع تحمل اكثر من ذلك ، فما بالك حين يكون مصمماً على التحمل ، تقف ثقافتك الى جانبك ويبدأ لسانك بالانشاد :

يا دامي العينين والكفين ان الليل زائل

لا غرفة التوقيف باقية ولا زرد السلاسل

نيرون مات ولم تمت روما

بعينها تقاتل

وحبوب سنبله تجف ستملاً الوادي سابل

نيرون مات يا ذا الكتامة المكوية والمستطيلات الثلاث

اين انت من نيرون

نيرون مات ولم تمت روما

لم تمت روما

وتبدأ بقطع الزنزانة من الباب الى الحائط وكل خلية في جسدك تبعث الدفء للهواء المحيط بها ، يخرج من الجدار وجه حبيبتك ، تقبلها وتغني لها :

معي انت ، معي انت ...

آه لو تسعفك الذاكرة ببقة الاغنية ، تشد على يدك ، تشد على يدها وتقطع على نفسك عهداً بان تبقى قويا بها ولها ، تستأنف السير من الباب الى الجدار تنتقي الطريقة التي تعجبك ، اما ان تدور الى الخلف في مكانك مقلداً العسكر " الى الخلف در " او تتعطف بقوس بمحاذاة الحائط . تنتبه لوجود ثقب صغير في الجدار بالقرب من اطار الباب ، تنظر منه عسى ان تجد علامة تدل على الوقت ، لا شيء سوى فضاء وضوء ضعيف ، هل هو ضوء القمر ام ضوء الكشافات المبروسة على ظهر البناية ، حين دخلت الزنزانة لم يكن هناك قمر ، هل طلع ، هل طلع ، هل طلع وغاب ، هل ... هل ... ، وتعود الى الجدار المقابل لتنتظر الى قطعة السماء التي تظهر من خلال الطاقة الموجودة فيه ، هناك شرفة لجزء ما من المبنى ، وهناك مجموعة من النجوم قريبة من بعضها البعض ، اية نجوم هي ، ليتك فلاحاً اصيلاً لتعرف الوقت من موقعها في السماء ، ... آه ، كنت تستلقي على ظهرك في الحقل وتبدأ بعذ النجوم فينهرك والدك عن هذه العادة ويحذرك بان وجهك سيمتلئ بالبثور بعدد النجوم التي تعذها ، ثم يشير الى مجموعة من النجوم لا تذكر اهي الثريا اما الميزان ، ماذا كان سميها ؟ لا يهم ، المهم كان يقول بأنها تذرع السماء وهي تحمل نعش أخ لها لتدفنه فلا تجد مكاناً لدفنه ، وانها في بداية الليل تكون هناك ، وفي منتصف الليل تكون هناك ، وعند الفجر تصل الى هناك ، منقلاً سبابته مع المكان الذي يشير اليه تتبعها عيناك . آه يا نجوم الحقل ، هل وجدتن مكاناً لدفن النعش ام ان النعش لا زال هائماً على وجهه مثلنا . أم انه مثل وجهي لا يجد مكاناً يختبئ به من هذا البرد ، برد

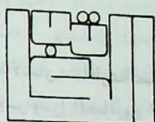


يا فارعة خففي هذا البرد ، يا فارعة الرحمن ، يا فارعة الانسان يا فارعة المياه الرقراقة
تنساب من العين فتقف بقربها السيارات القادمة من الجسر وينزل المسافرون لاطفاء الظما
وغسل العرق عن الوجوه ، يا فارعة الحاج حسين ابو العسل ، ابو السمن ، ابو شيء من هذا
القبيل الذي استصفتموه في القرية فاستضافك في بيته صبيا بائعا متجولا ، يا فارعة الاستاذ
خالد هانذا بين ضلوعك مرة اخرى وانت فارعة البرد والزنازة الانفرادية ، ها انت فارعة
القوانين العسكرية التي تقضي بوضع اليدين خلف الظهر اثناء المشي وارسال النوايا الى
الزنازين الانفرادية دون سبب . . . ها انت لا مياه رقراقة ولا حاج حسين ولا استاذ خالد .
ها انت قد اخترلت الى زنازة خالية من اي شيء سوى تنكة مربي فارعة استحالت الى وعاء
للبلول ، زنازة تقطعها جيئة وذهابا وتعد المرات التي انجزتها ثم تسأم العد فتبدأ مرة
اخرى تعد من الصفر ، يا فارعة ، يا صديقتي ، يا صديقة الطفل الذي يفور سعادة لانه اصبح
بائعا متجولا يركب الباصات يتنقل بين القرى والمخيمات ، فسكنت مخيلته بيوتا صغيرة متراسة
ودكاكين تتدلى من ابوابها الخشبية المفتوحة مختلف البضائع ، يا صديقتي اخبريني عن
طول ليلك ، هل يستمر الليل عندك عشرين ساعة ، ستين ، الف ، يا ليل الفارعة الطويل الا
انجل ، يا امرئ القيس غنيت ليلك الطويل وانت تخاف صبحه ، اما انا فاحتاج
الاصباح

تماسك ، تمسك بحبلك الامين ، فلا ليلك دائم ولا فجرك هارب ، والليل الطويل
سينجلي بصبح والاصباح منه بأمثل . وتطلق صوتك بالغناء حبلا قويا وسدا ضد البرد
المتسلل من تحت الباب ومن مسامات الجدار معي انت ، معي انت .

xxxxxxxx

إيه مراکش

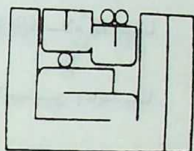


بقلم . محمد شريم

أدرکت کنهک فأخترقت ضبابا
 وهتکت سترأ قائمأ وحجابا
 ولقد تبینت الحقیقة کلها
 فکشفتم زیفاً داکنأ وكذابا
 قد زینت لکم السیاسة باطلا
 وکسوتموه من الخداع ثيابا
 فوعدتمو عربأ فرأتا شعبنا
 ومنحتموه تمنیا وسرابا !
 أنا لست هجاء ولكن فارس
 تحذ القمائد صهوة وركابا
 أنا لست هجاء ولكن ناصم
 رفض المدیح ولا یجید عتابا
 تعری نذبت علی الحراد صواعقا
 وزجوه نوق الحقول حابا
 ولعدت بالملک البلاد فلم اجد
 عسر العزیز حراره وعرابا
 ولربما صاق الحدیث بامرهما
 تلکم رأسا بالعزیز عجابا
 إيه مراکش قد رمیت برمرة
 کانت تعالی ظلمة ودنابا
 ملکوا الزمام تغصبا وتوسلوا
 من أجل ذلک اسیفا وحرابا
 ولطالما کبتوا البلاد بقسوة
 واستحلوا غمر البلاد عذابا

القتل والارهاب بعض سماتهم
 العدل أُمسى في الصميم مهابا
 حتى تبسّم غبطة وتملّقا
 ملك يُقَدِّم ذى الدماء شرابا
 زلفى لامريكا القتل وظلمها
 كلب يمالق في الظلام كلابا
 يا أيها الملك الذى لا يستحي
 مما أشان الأكرمين وعابا
 قد ارسنتك اميركا فوعدتّها
 بالانقياد كهولة وشابا
 فجعلت بيتك للجناة محجة
 ومددت ارضك للطفاة رحابا
 يا بعض " ديفيد " ان " كمبك " وصمة
 تندى الجبين ولا تصد سبابا
 قد كنت و " السادات " صفّاً واحداً
 وتخذتما جيش العدو صحابا
 وتركتما حق العروبة غائباً
 بئس الزعامة اذ تطيق غيابا
 واليوم ، بئس اليوم ما طالعتنا
 ولكم بنيت البؤوس قبابا
 اين الكرامة والشهامة والوفى
 لما منحت المعتدين حبابا ؟
 هل يستضاف الماكرون بدارنا
 وبقلبنا منهم مدى ونيابا ؟
 أم قد تراك سررت ممن ظامنا
 فجزوت طاعننا الحقود ثوابا
 فرضيت بالاسلاك حداً فاصلاً
 وتركت قدساً طاهراً وترابا ؟
 يا ايها الملك الذليل بعرشه
 سيُهدّ عرشك عنوة وغلابا
 وتقدم الكشف الوضيع بما مضى
 فيكون يوماً صاخباً وحسابا

حروف من نار



بقلم : عدنان الصباح



تحتار في الابدية
حين يقضي الامران احكي اليك
وتذوب كل الانجم
تذوى بجانب ناظريك
احتار ماذا في الكلام لدى
كي اهدى اليك
وكيف ارسم مقلتيك
وكيف ازرع احرفي عقدا لديك
وكيف اعجن مهجتي في راحتك

xxxxxxxxxx

هي لن تكون بحجم حبي
حجم حاجتنا اليك
هي احرفي
او ذبذبات الموت
او ضغط القلم

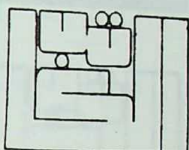
هي لن تكون بحجم حسرتنا وفرحتنا
بحجم السعي كل الوقت كي نأتي اليك
يا من على الصدر المرصع بالجراح ثقائلين وتكبرين
كما الحشائش فوق ماء النهر
يا من هنا تبدين رائعة
كالسهل ، كالزيتون ، كالوديان
كحجارة الوادي بعيد زخات المطر
وكما الوطن يبدو البريق بناظريه
بعيد الطعنة الاولى - قبيل الثانية

xxxxxxxxxx

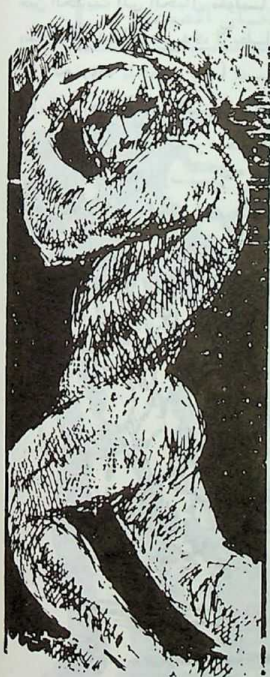
نحترق في الابجدية
ضعفها يبدو لدى مضعفاً في لحظتين
حين الحديث الى الجبال مقولبا فيها الوطن
وبلحظة الاتيان عندك لا يظل لدى حرف من حروف الابجدية
كل الحروف بلحظتي هنا قصار
كل الحروف هنا يعايشها الغبار
فلقد بكى العشاق اكثر دمعهم
كنبأً واشعاراً ونار
افلاموت الحرف ان لم يشتعل تحت الغبار ..



يوميات الجوع



بقلم : محمد ابولبن



اليوم الاول

شم الرجال وان نجوع نظل في قمم النسور
يا ايها التاريخ سجل
لن يهون كفاحنا بصموده الصلب الجسور
هذي الزنود تريد ان تحيا بعز لا بجور
هذي وجوه رجالنا نحلت ولكن ما انحنت جبهاتها
انظر تحديها الذي قد هداوهام الغرور
ندري بان الجوع قاس انما
صرنا هنا اقوى وما صبر الصبور
ومن ارتواء الارض من امطارها
وبغير فلاح الارض من فلاحها
ما اخضرت الاشجار في يوم ولا فاحت روائح الزهور
وبغير بذل دمائنا وبغير نبع جراحنا
لن يهزم الليل البغيف ضياء نور

اليوم الثاني :

صوت الجياع غدا بهذا العصر اقوى من قيود الظالمين

وعزة منا اعتى من الفولاذ صارت لا تلين
للموت أو للنصر قد سرننا
وما اهترت ارادتنا بحق صار كالصبح المبين
اكفاننا اضحت ضياء الشمس اما شهودنا
هذى السنين
يا ايها التاريخ سطر بالضياء نضالنا
واجعله سفر الخالدين
واذا شهيد قد هوى في دربنا
اجعله زيتا للسراج ودفعه للسائرين

اليوم الثالث :

ذبلت جسوم الناس من حول وأرهقها المسير
وعلى دروب الشوك بعض دمائنا
والجوع صار سلاحنا الصعب الميرير
نعلى بأننا مضربون عن الطعام ... عن الزيارة
ما نهاب الموت او سوء المصير
لا الجوع مرهبننا
ولا سوط يلوح بكف سجان حقيقير
عزم الرجال حوى الكثير
ويضيع من غل القيود شمس فجرهم الكبير

اليوم الخامس .

صباحا :

بدأوا يردون السلام
بدأوا يملون الكلام
بدأوا بمعرفة الحقيقة من تغوص الى العظام
وعلى شفاه البعض صرت ترى طيف ابتسام
لم تدر كيف تحولت
تلك الصقور الى حمام



اليوم السابع :

ظهرا

خسئت عيونك يا طبيب السجن
 انا لن نموت ولن يصير نضالنا اخسا هباء
 خسئت نضالك التي حملت بها سما
 يدثره البلاء

كفاك تخبرنا الحقيقة فالدماء على اظافرها طلاء
 لم ندركيف رجعت انسانا وعاد لك الحياء
 انسيت عجرفته وانت ترى الاسرى
 يسيلون الدماء

غرض برأسك فاضح مهمما حذفت الان
 باد في جلاء
 كسر الارادة ما تروم
 خسئت اننا في الارادة اقوياء

اليوم التاسع بعد الظهر

جاء الوزير

رجل الوزير

ما كان في اثوابه غير الحقارة والدناءة بالضمير
 ما قال في صلف لنا

غير الوعود الكاذبات وغير حقد غاص في كره كثير
 ماضية سد (١) لا يزال امامه

لم ينسد ما قد صار في خط كبير (٢)

لكن من هدم السدود جميعها
 لكن من عرف الكمائن كلها

لم يخش عاقبة المسير .

وكما السدود تهدمت

وكما الخطوط تحطمت

لا بد يوما سينتصر الاسير



تشرين جاء فقل له
ما صار في تشرين يوما قد بصير (٣)

اليوم العاشر

اهلا بصوتكم الذى قد شق من حولي الحجاب (٤)
واضاف فوق صمودنا املا واحلاما عذاب
اهلا بانفاس تبث الفخر في اعماقنا
وتبلل الشفتين ان عز الشراب .
انتم بذار الارض نحن ثمارها
انتم تراب الارض نحن حقولها
انتم مياه العين بشرى للتراب
اهلا بكم يا اهلنا يا شعبنا
اهلا بدعكم الذى لولاه لازداد العذاب
يا اهلنا يا ما لنا يا خبزنا
يا شمسنا تغلو على وهن الضباب
صارت بكم اعناقنا تسمو لاعنان السحاب
وصودكم هذا العظيم معلم
اعطى الدروس باننا
لن نحني في يوم رقاب

اليوم الحادى عشر بعد منتصف الليل ...

لاحت بشائر الانتصار
في الافق اطراف النهار
الشمس ما حجبت اشعتها ليالي الظلم
اوسحب الغبار
شق الشعاع عبادة الظلمات
ما عاد الظلام سيطار
تكوى ظهور السائرين الى الضياء
ومن قد خاض في الجوع القمار
انظر لهم
سقط القناع عن الوجوه الكالحات



وبانت القسمات باهتة يغلفها اصفرار
ها نحن في الفصل الاخير من الرواية
بعد حين
سوف نسدل له الستار
هذي ارادتنا وقد بدأت تخط
بان ليل الظلم حولي في اندثار
جاءت بشائر الانتصار
اهلا بصناع النهار

اليوم الثاني عشر عصرا :

بشر اهلينا وكل رفاقنا انا انتصرنا
رأبعت تحيات الرجال لكل من دعم المسيرة
أو دعمنا ... وأذكر لهم
نصرا صغيرا قد حصلنا
لكننا النصر الكبير القادم
ذاك الذي من اجله سنظل نعمل مثلما ... دوما فعلنا

اشـارات .

- (١) للإشارة الى ان بارليف وزير الشرطة الان رئيس اركان سابق .
- (٢) اشارة الى خط بارليف الذي حطمه الارادة العربية .
- (٣) اشارة الى حرب تشرين سنة ١٩٧٣ .
- (٤) اشارة الى مظاهرة اهالي المعتقلين حول السجن .

رسائل و ردود

يكتبها : محمد البطراري

● صاحب قصة " رسالة عشق الى فينوس " ● الصديق صاحب قصيدة (الحرية)

طير حزين يشكي
بيكي من العيش المهين
قد عاش دوما يمرح
بين الخمائل والنصون
لكن انسانا اتى
كي يفسد العيش الامين .

يقول بأن ما ارسله الينا قصة ، وقد لا
نتفق معه على ذلك ، لأن ما كتبه شكل من
اشكال رسائل المحبين الذين يحققون عشقهم
على الورق .

لا نحب تكرار الحديث عن الأخطاء
اللغوية ولكن ما حيلتنا مع الذين يتجاهلون
اللغة تجاهلا غريبا ويكتبون دون حرص على
سلامتها ، كما فعل صاحب الرسالة الذى يقول
" ان من روائع جمالك ، دمعتاك حين تذرفان
من عينيك ساعة الفراق عبر وجنتيك اليمنى
واليسرى لتلتقيان تحت شفتيك الكرزية في
دمة موحدة " ويتتبع صاحب الرسالة هذه
الدمة الى ما بين النهدين وما تحتها .
ونسأل نحن عاشق هذا (الجمال) اى انسان
يرى في الدموع والحزن جمالا ؟ ان الساديين
وحدهم هم الذين يعشقون الألم ويسعون اليه .
ولا ادري في النهاية كيف خطر ببال
صاحب الرسالة ان " الكاتب " هي ساعي
البريد الذى سيحمل رسالته .

اولا ، نحب ان نؤكد للصديق ان من
يفسدون العيش الامين لا يمكن ان يحلوا
صفة الانسان ، لانهم ضد الانسانية . هذا من
ناحية ، واما الاخرى فلماذا نتحدث عن الطير
والحقائق تملأ حياتنا ، فليست الطيور وحدها
التي لا ترضى ذلا او سجون ، ولكن كل الاحرار
المنافحين عن الحرية في كل بقاع الارض لا
يرضون ذلك .
قصيدتك ساذجة تصلح مقطوعة لتحفيظ
المبتدئين من الطلاب لغرس بذرة مفهوم
الحرية رغم كل ساذجة الغرس .
اكتب حول امور تعيشها انت ، وكن واضحا

كالنها، وسنشر لك .

موضوعا ولغة وإيقاعا ، لتنقل حالة شعورية متكاملة الى متلقيها . وهي ليست شعارات سياسية يمكن ان تقال بالنثر العادي، كالخاطرة او المفارقة او الطرفية .

وكم يسعدنا ان نلتقي بالاخ الصديق لنحدث معه عن انتاجه الشعري، ذلك اننا نؤمن ان من يمسك القلم ليكتب يمكن، من خلال التجربة والاطلاع والحوار، ان يصبح كاتباً أو شاعراً .

الصديق صاحب (قصيدة) كلمة حب

يقول الصديق :

ارسل اليك (شعاع) من الحب

ارسل اليك دماء القلب ؟!

كم تمنيت ان اكون اداه ؟

(اداه) تصنع الحب لكل الاطفال

اطفال فلسطين

وتكتب لنا الصديقة (ايمان) خاطرة بعنوان (حديث الى صديقة)

ولا احبذ هنا ان استشهد بمقاطع منها، للضعف البالغ في اللغة والذي ان نحن تقصيناه لتجاوز الحيز المحدد للرد . ولكننا نحب ان نناقش هنا مفهوم الصداقة . فالكاتبة ترى في خاطرتها ان ابتعاد صديقتها عنها أمر لا يمكن احتماله، بل سيحطم حياتها تماما وتحدث عن الاحزان والدموع وسنوات الضياع وما الى ذلك . ان الصداقة قضية نستطيع نحن ان نخلقها اذا ما حاولناها، وهناك علاقات نضالية وانسانية مشتركة تجمع الكثيرين وتدفعهم الى جعل حياتهم ذات قيمة وأثر . اما القول بان فقدان الصديق هو نهاية الحياة وانغلاق كل طرائق الامل، فأمر لا يقبله عقل بأي حال . يمكننا ان نحفظ بالاصدقاء رغم بعدهم عن طريق المشاركة الواعية بتحقيق الاهداف والافكار التي اجتمعت عليها الصداقة وتوسيع دائرة الصداقة الهادفة ذاتها .

تتسلل الرومانسية الى عقول الكثير من

ويمضي الصديق في (قصيدته) على هذا المنوال، واحب هنا ان اذكر الاصدقاء الذين يحاولون الشعر، بكلام الناقد الكبير محمد مندور، الذي اكد ان كتابة الشعر الحديث اكثر صعوبة من كتابة الشعر القديم، فضلا عن ان من لا يجيد القديم لا يستطيع ان يكتب الشعر الجديد . لقد اعطى مندور في رأيه هذا كثيرا من المسلمات التي يجب ان تتوفر في الشاعر الحديث، وهي معرفة القديم بأوزانه وقوافيه وصحة لغته، وقال ان الشعر الجديد اكثر صعوبة لانه يقوم على وحدة القصيدة ولا يرتكن الى البيت الواحد .

ما تقدم نجد ان الصديق صاحب القصيدة كان بعيدا كل البعد عن تقويم مندور للشعر، فالأخطاء اللغوية كثيرة في قصيدته (وقد بيتا بعضها في المقطع المنشور بوضع الخطأ بين قوسين) واستعمل اشارات الاستفهام والتعجب دونما ضرورة لها . وفي نهاية (القصيدة) تتحول المقاطع الى نثر عادي حافل بالأخطاء .

القصيدة ومضة خارقة في الوجدان تتشكل من خلال (مفهوم) واضح، وتنطلق بكاملها،

هذه الكتابات على موضوع واحد وتغذيتها من كل جوانبه والعودة الى مصادر البحث " بطريقة اعمق تكسب البحث قوة الانبثاق والافئاع .

لغتك لا بأس بها ، واسلوبك يحمل القدرة على البحث ، وافينا بانناجك باستمرار وأهلا بك

● الصديق صاحب خاطرة " امي "

ان اعمق مشاعر الانسان هي تلك التي يحملها تجاه من يحب ، والام هي اعظم من تحب ولكن الكتابة عن هذه المشاعر لا يمكن ان تعمق لدى القارئ مشاعره نحو امه ، فالقارئ يعرفها بحسه وعاطفته وعلاقاته . من هنا ، فاننا نعتقد ان مثل هذه الكتابة تخرج عن دائرة النشر ، وهي تصلح فقط لجلاء مقدرة الكاتب على الكتابة وتصوير مشاعره من خلالها وقد اجاد صاحب الخاطرة في ذلك ، فمشاعره صادقة استطاع ان يعبر عنها بلغة سليمة واسلوب متكامل .

" الكاتب " منبر ينطلق منه صوت الجماهير ، من اجل التغيير بالنضال المشترك تحية للصديق الذي يحمل كل هذا الحب العظيم نحو امه . ونأمل ان يكتب الينا باستمرار .

ابنائنا ، رومانسية حالمة محبطة ، من خلال تلك القراءات المريضة التي تشرد بذهن هؤلاء ، وتحطم فيهم روح التصميم على تحقيق الطموحات المشتركة التي تسعى اليها كل جماهيرنا العريضة . لنقرأ كثيرا وكثيرا جدا عن اولئك الذين صنعوا لشعوبهم اساطير نصالية وهم في سن الشباب ، لنقرأ عن اولئك الذين كرتوا حياتهم للنضال من اجل قضايا تتجاوز دائرة الذات فكانت حياتهم شيئا مذكورا .

ايها الصديقة ايمان ، تلفتي حولك وستجدين الكثير من الصديقات واكتبي لنا عما قمت به من منجزات ونحن في الانتظار .

● الاخت الهام ، شفا عمر

لقد طرحت في موضوعك " نافذة على المستقبل من خلال ما يقولون " مجموعة من الافكار العامة لموضوعات هامة يحتاج الواحد منها الى بحث عميق كقضية الانسان - والتعليم - والعمل وحرية المرأة ... الخ . . . مما جعل الموضوع موزعا في عدة اتجاهات وافقده معنى البحث وحوّله الى رزمة من الخواطر العامة . ونحن نرى ان التركيز في مثل





الفلسطينيين في الارض المحتلة -

xxxxxxxxxxxx

الفن التشكيلي الفلسطيني في الارض المحتلة

تحت هذا العنوان صدر مؤخرًا كتاب الفنانين عصام بدر ونبيل عناني، وجاء في مقدمة الكتاب للمؤلفين " أن

هذا الكتاب ليس تاريخًا للحركة التشكيلية الفلسطينية إذ تعوزه الوثائق والحقائق الكثيرة والربط التاريخي ليكون كذلك، ولكن اطلالة سريعة على ما يجري على ساحة الفن التشكيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد قدم الكتاب الناقد الادبي الزميل محمد البطاوي، تطرق فيها الى بدايات الحركة التشكيلية منذ سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى وعهد الانتداب البريطاني والاحتلال الاسرائيلي، ليخلص الى نتيجة مفادها ان ولادة الحركة التشكيلية جاءت قوية واعية، مرتبطة بالجماهير ارتباطًا عضويًا، وحملت همًا كفاحيًا ضد الاحتلال الاسرائيلي فنا مقاومًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى المقاومة . واستعرض الكتاب تحت

xxxxxxxxxxxx

الحركة التشكيلية الفلسطينية للفنان قاسم منصور

الى كل الذين يحبهم، الى ابنته "تالا" التي يرى فيها ولها المستقبل، اهدى الفنان قاسم منصور كتابه الجديد بعنوان " مدخل لدراسة الحركة التشكيلية الفلسطينية في الارض المحتلة" وجاء كتابه في خمسة فصول، استعرض في الفصل الاول جذور الحركة التشكيلية الفلسطينية وكرّس الفصل الثاني للحديث عن نشأة وتطور الحركة التشكيلية تحت الاحتلال، وانفرد الفصل الثالث بالحديث عن الصحافة والحركة التشكيلية مستعرضًا فيه نظرة الاجهزة الاسرائيلية رسميًا وصحافيًا للفن التشكيلي الفلسطيني وتطرق في الفصل الرابع الى ازمة الحركة التشكيلية والمشاكل والصعوبات التي تواجهها، واختتم كتابه بالتعريف بالفنانين

عنوان البواكير الاولى، بوادر الحركة التشكيلية الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧، ثم المعارض الشخصية منذ عام ١٩٧٢م، ومن بعدها المعارض المشتركة منذ عام ١٩٧٥م، وخصص جزء من صفحات الكتاب للحديث عن "جاليري ٧٩" واهمية انشائه، وما حققه

الجاليري على صعيد العرض والنتائج ومن ثم اغلاق المعرض من قبل سلطات الاحتلال وكما قال الناقد الادبي محمد البطاوي في تقديمه الكتاب " ان العكس لا يحبون الثقافة . فالعكرها يحملون بالاضافة الى روحهم العسكرية نزوعًا شوفينيًا ضد الوجود الفلسطيني والطموحات الفلسطينية من تعزيز لهذه الطموحات . . . " . واستعرض المؤلفان المعارض الخارجية لفناني الارض المحتلة، من معرض عمان ١٩٧٦م، وحتى معرض لندن والولايات المتحدة .

وتحدث الكتاب عن اتجاه بعض الفنانين التشكيليين الى تصوير احوال الانسان الفلسطيني عبر التكوينات والتجسيدات التحتية او ما يطلق عليه الجداريات ومنها

المحاميين الديموقراطيين
دعوى عاجلة امام القضاء
المستعجل ضد قرار مشاركة
اسرائيل بالمعرض ووافقت
نقابتا الصحفيين والمحامين
المصريين على اقامة معرض
بديل للكتاب، وقد شرع في
تجهيزه بمقر النقابتين. كما
وأكد مؤتمر نوادي هيئات
التدريس بالجامعات المصرية
على قراره بمقاطعة التعامل مع
اسرائيل، ووجه الدعوة الى
الهيئات التدريسية بالجامعات
للالترام بمقاطعة الجناح
الاسرائيلي. ومن ناحية اخرى
فقد اعلنت العديد من دور
النشر المصرية الكبرى
انسحابها من المعرض احتجاجا
على قرار الخارجية المصرية
الذي تجاهل في دعوته
لاشتراك اسرائيل ان الموافقة
يجب ان تكون عن طريق
الهيئة العامة للكتاب .
وفي تعليق لصحيفة
(الاهالي) حول هذا الموضوع
تقول " بينما تسمح الحكومة
المصرية بالتواجد للكتاب
الاسرائيلي تحظر السلطات
الاسرائيلية تداول اكثر من
٣ الاف كتاب في الارض
المحتلة . . وانا نحن العربي
هناك يتنفس الاضطهاد في كل
لحظات حياته .

بالابتعاد عن الانفرادية
والتزوير في عضوية النقابة
من اجل الحصول على اصوات
"مزيفة" في الانتخابات . هذا
بالاضافة الى العديد من
المقالات التحليلية التي تفصح
نوايا واعمال الهيئة الادارية
الحالية، التي هي ليست في
صالح العمال اعضاء النقابة، وقد
وثقت هذه التحليلات
بالارقام .

معارضة قوية لاشتراك اسرائيل
في معرض القاهرة الدولي
○ للكتاب

القاهر - حصلت اسرائيل
على موافقة وزارة الخارجية
المصرية باشتراكها في معرض
القاهرة الدولي السابع عشر
للكتاب وقد تسلمت قوى
الامن الجناح الاسرائيلي في
المعرض تمهيدا لفرض طوق من
الحماية عليه ، وقد واجه
القرار معارضة شديدة من
الايواسط الشعبية والحزبية
والنقابية في مصر . ووقع
رؤساء احزاب التجمع والوفد
والعمل والامة بيانا احتجاجيا
على استئناف خطوات التطبيع
والسماح لاسرائيل بالمشاركة في
المعرض ورفع عدد من

جدارية بلدية رام الله للفنان
عمام بدر وهي اول عمل
جداري من نوعه في الارض
المحتلة ومن ثم جدارية جمعية
اناث الاسرة "الجيل الجديد"
للفنانين نبيل عناني وسليمان
منصور، وهي العمل الجداري
الثاني لغاية الان .

وتحدث الكتاب عن
المعرض المشترك بين فنانين
فلسطينيين وتقدميين يهود
عام ١٩٨٢ م، واختتم
المؤلفان الكتاب بالتعريف
ببعض فنانين الارض المحتلة
من كان لهم دور ريادي في
اليهوض بالحركة التشكيلية.

ج النقابة

نشرة لمرة واحدة صدرت
عن "التحالف الديموقراطي
العالي (الكتلة العمالية
التقدمية وجهة العمل النقابي
في نقابة عمال الفنادق
والطعام والمقاهي بالقدس)
وينضم المقال الرئيسي
للسنة موقف التحالف
الديموقراطي من القضية
الوطنية ومن المشاريع
الاستعمارية المرفوضة والتشديد
على وحدة م.ت.ف. على
اساس اتفاق عدن الجوائر
وكذلك دعوة باقي الكتل

المشتركة بين أطفالنا وجميع
اطفال العالم نضع بين ايدي
اطفال شعبنا العربي المجيد
هذه السلسلة :

- (١) البطة الثرثارة .
- (٢) قيس والتنين .
- (٣) جميلة بنت صفر .
- (٤) النحلة النشيطة
- (٥) نص نصيص .
- (٦) الارنب الشجاع
- (٧) الشقيقة
- (٨) ألكسلان

○ كاريكاتير ناجي العلي

اصدرت لجنة النشاطات
لنقابة العاملين في جامعة
بيروت كتابا يحتوي على جزء
من كاريكاتير ناجي العلي الذي
عرض مؤخرًا في جامعة بيروت .
وتطرق مقدمة الكتاب
الى الفنان ناجي العلي ،
الفنان الفلسطيني العربي ،
الظاهرة الانسانية ، ذلك
الرادار اليومي الذي يسجل
ادق احساس وعواطف
الجماهير ومشاعرها الصادقة
في حركتها نحو التحرر
والتقدم .

وقد تم تصميم الغلاف
الخارجي الأخير للكتاب من
آراء زوار المعرض وجاء فيه ان
" ناجي العلي صعلوك نائر ،

ومن الجدير بالذكر ان
دار الاسوار التي يديرها
يعقوب حجازي قدمت للقارئ
العربي خدمات كبيرة حيث
نشرت روائع الادب التقدمي
وظلت صامدة رغم الصعوبات
العديدة التي تواجهها .

○ قيس والتنين
قصة للأطفال

القدس : ضمن سلسلة قصص
المستقبل الجديد صدرت قصة
الاطفال " قيس والتنين"
للكاتبين هشام الخطيب
ومحمد بحيص وتحتوى عدة
رسومات لمحمد بحيص وقام
بتخطيطها عارف حجاوي
ويعرف الكاتبان على القصة
بقولهم :

" في سلسلة المستقبل
الجديد سوف نقوم بنشر بعض
الحكايات الشعبية التي صيغت
بالاصل بلسان بعض الشعوب
لنقدمها لطفلتنا العزيزة - امل
المستقبل - املين ان تساعد
قلدا في سد الفراغ في كتب
الاطفال ذات المحتوى الجيد
انطلاقا من حاجة طفلتنا الماسة
لادب فعال وبناء وفق اسس
تربوية صحيحة ، من اجل ترسيخ
المفاهيم الانسانية السامية

مجموعة من الاصدارات
الجديدة عن دار الاسوار بعكا

صدر مؤخرًا مجموعة من
الكتب عن دار الاسوار بعكا ،
منها .

○ وداعا ايته الحرب
وداعا ايها السلام
رائعة محمود درويش النثرية

○ ثلاث علامات في الرواية
الفلسطينية دراسة في اعمال
غان كنفاني ، اميل حبيبي
جبرا ابراهيم جبرا ، للكاتب
فاروق وادي .

x سربية الصحراء
لسميح القاسم
x كمال ناصر شاعرا ومناضلا
لمحمد حمادة .

x صدر عن منشورات الاسوار
عكا - يعقوب حجازي معين
بسيو شاعر فلسطيني خالد
في ذاكرة الوطن . اعداد
وتقديم : يعقوب حجازي

x يحيي يخلف ، عز الدين
المناصرة ، بسام ابو شريف ،
سميح القاسم ، محمود درويش
سالم جبران ، علي عاشور ،
شاكر السماوي ، شوقي العمري
نزبه ابو نضال ، يضم الكتاب
اخر قصيدة لمعين بسيو
الغلاف باللون لناجي العلي

نار على كل الرموز وشيوخ القبايل، ناجي العلي التحم بالفقراء وبفلسطين، كما التحم عروة بالصحراء....".
 "... وكما تحدى ناجي العلي كل ادوات القمع، تحدى هذا المعرض كل الثقافة السائدة المشبوهة، وساهم بشكل نسبي في نقل الصورة الصادقة للثقافة التي يجب وبالضرورة ان تسود....".



التأمين قلعه الحصينة وكالة أبوشاوش للتأمين

جميع أنواع التأمينات
حريق ، سرقة ، حياة ، حوادث شخصية ،
صحة ، سيارات ، عمال

١٩٨

رام الله/ البيرة شارع القدس الرئيسي

ص.ب ٩٨٨

تلفون ٩٥٣٣٤٣
٩٥٩٨٥١

مارجوا الفراء الفامش بزياركم البازار الدائم زيتون اخوان

الأسعار الخيالية لكافة أنواع الملابس
والهدايا والعاب الأطفال

ملاحظة: وصلتنا كمية محدودة من الأحذية

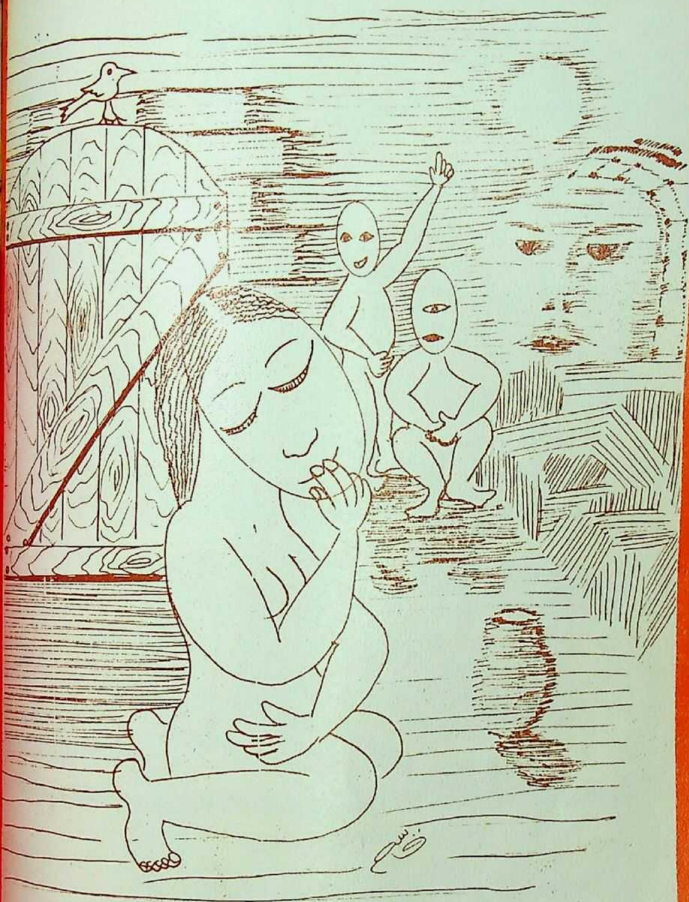
مقاسات من ٢٨ - ٣٩

سعر الحذاء ٢٤٠٠ شكيل فقط !!

رام الله المنارة بناية البنك العربي الطابق الثاني

ت : ٩٥١٤٥٦ * بأسعار البازار وأهلا وسهلا





AL-KATEB

for human culture
and

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel. 256931

58

الكاتب
للثقافة الإنسانية والحضارة